

- ١٩٧٥ : عام المرأة العالمى
- الإسكان فى مصر ومشاكله
- أزمة مجتمع وأزمة ثقافة
- العالم الثالث :

العلم والتكنولوجيا

السنة الثالثة
١١

نوفمبر ١٩٧٤



تحالف قوى الشعب العامل هو الضمان الوحيد لاستمرار المسيرة





مجلة شهرية ● تصدر عن دار الهلال ● السنة الثالثة "١١" ● نوفمبر ١٩٧٤

تحالف قوى الشعب العامل

هو الطريق ولا طريق غيره

علينا أن نحافظ على الوحدة الوطنية

كما نحافظ على حبات عيوننا

الشعب المصرى لا يعطى ثقته بسهولة . الشعب المصرى لم يخطىء مرة واحدة ولم يعط ثقته مرة واحدة لمن لايستحق هذه الثقة . الشعب المصرى وطوال تاريخه الذى امتد آلاف السنين لم يعط ثقته للطغاة بل أعطاها دائما لمن وقفوا فى وجه الطغاة . هذا ما تعلمه جيلنا طوال مراحل حياته وماتعلمناه وتعلمته أجيال الشباب التى جاءت بعدنا وأعنى بالتحديد شباب العمال والفلاحين والنساء العاملات وشباب الطلبه التى تفتح وعيها وادراكها على مصر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ومصر الجمهورية ومصر الاصلاح الزراعى ومصر ملكية الشعب للبنوك وشركات التأمين ووسائل الانتاج وارساء اسس الاستقلال الاقتصادى ومصر مجانية التعليم ومصر السد العالى والحديد والصلب والصناعات الثقيلة ومصر الحد الادنى للاجور والتأمينات الاجتماعية ، واجمالا مجتمع الـ ٩٩٫٥ فى المائة وليس مجتمع النصف فى المائة والذى يشق طريقه وبكل ما يعترضه من مصاعب وعقبات لبناء الاشتراكية ولفرض الحكم الذى يمثل مصالح وآمال وطموح ملايين العمال والفلاحين من أبناء شعبنا .

الشعب المصرى لا يعطى ثقته بسهولة . وكم من الحكام والطغاة فرضوا وجودهم وسيطرتهم واستغلالهم سنين طويلة واستخدموا مع الشعب كافة أساليب التهديد والتزييف والخداع والتضليل ومع ذلك لم يتمكنوا من أن يكسبوا ثقة هذا الشعب يوما واحدا . كانوا دائما فى موقف الخوف من الشعب وكان الشعب دائما فى موقف المتربص بهم . وآخر المحاولات التى واجهها الشعب المصرى فى السنين التى سبقت ثورة يوليو ٥٢ هى أن مصريا واحدا من ملايين الناس البسطاء لم يصدق أن الملك فاروق الذى كان يحكم باسم عصابة الاقطاع والرأسمالية المستغلة الخادمة لقوات الاحتلال هو فى نفس الوقت العامل الاول أو الفلاح الاول او الجندى المجهول الذى تبرع بآلاف أو مئات الالوف من الجنيهات للفدائيين فى القنال . ولم تكد تمر شهور قليلة على هذا التضليل حتى ظهر الملك فاروق على حقيقته حين لم يجد نظام حكمه الذى كان قد وصل الى أقصى درجات التحلل الا تدبير مؤامرة حريق القاهرة لضرب الحركة الوطنية التى كانت قد وصلت الى عنفوان قوتها والتى كانت قد أدركت أن الاستعمار لا يتمثل فقط فى قوات الاحتلال بل يتمثل أيضا وأساسا فى القوى الداخلية التى تحكم باسمه وتشاركه فى نهب عرقه واستغلال ثرواته وسد اى طريق أمامه لبناء حياة حرة كريمة على أرضه .

وكما سبق أن ذكرنا ، الشعب المصرى لايعطى ثقته بسهولة وأيضا لايتخلى عن الثقة التى أعطاها بسهولة لانه لا تجوز عليه أساليب البهلوانات ولا الشعارات الطنانة البراقة مهما كانت حلاوتها . ساذج أو أبله أو مغرض أو عبيط من يظن أن فى مقدوره أن يكسب ثقة الشعب المصرى بسهولة أو أن يضلله بسهولة .. ساذج أو أبله أو مغرض او عبيط من لم يدرك حتى الان أن هذا الشعب الذى تحمل طوال تاريخه الذى امتد آلاف السنين كل هذه المعاناة وواجه أقصى المحن لم يخرج من كل ذلك بخبرات وتجارب مكنته من أن يدرك ويحس لايخطىء هؤلاء الذين ينطقون باسمه فعلا وهؤلاء الذين يحاولون خداعه بشعارات لا ترتبط من قريب أو بعيد بواقعه واحتياجاته وآماله وطموحه .

ساذج أو أبله أو مغرض أو عبيط من لم يدرك ان الشعب العامل كان يتابع المناقشات التى دارت ونشرت حول تطوير الاتحاد الاشتراكى من موقعه وليس من مواقع هؤلاء الذين وصل بهم الاستهانة بكل التغييرات التى حدثت فى وطننا طوال تاريخ الثورة وخاصة بعد اجراءات ١٩٦١ والتحولات الاجتماعية الهائلة التى تلتها الى نسيان احداث ١٩٥٤ والمزايدات باسم الحرية والديموقراطية والتى وصلت الى حد المطالبة بحكومة ائتلافية من الاحزاب السابقة ووصلت الى حد اختيار رئيس لهذه الحكومة وقد كان المصرى الوحيد الذى قبل وهلل لمشروع ايزنهاور ، كما اعلنت جريدة الشعب فى الاستفتاء الشعبى الذى اجرته فى ذلك الوقت لقد وقفت قوى الشعب العامل والطبقة العاملة المصرية أساسا مع

الثورة ومع جمال عبد الناصر وأدركت بوعيها الطبقى ان البديل الذى يريدونه بوعى من البعض وبفقدان للاتجاه من البعض الاخر والذى يختبىء وراء شعارات الحرية والديمقراطية هو العـــودة الى حكم الاقطـاع والرأسمالية المستغلة .

ومنذ اليوم الاول الذى طرحت فيه ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى كانت قوى التحالف تعرف وتدرك عن يقين أن تنظيمنا السياسى باعتباره الصيغة التى اخترناها والتى أصبحت احدى مواثيقنا الدسـتورية فى حاجة الى تغييرات جذرية لتجعله حقيقة لا قولا القوة الضاربة لمواجهة أعباء معـركة تحرير الارض العربية التى ما زالت محتلة وأعباء السـيــر قدما فى طريق التغييرات الاجتماعية لصالح العمال والفلاحين وملايين الكادحين من أبناء شعبنا . كانت القوى الوطنية والقوى التقدمية تعرف وتدرك عن يقين أن ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى تهدف أول ما تهدف بالاقتراحات الايجابية والجذرية التى طرحت بها الى أن يتحول العمل السياسى الى واجبـات نضالية وان ترتبط تلك الواجبات بالمهام العاجلة الى تواجه مجتمعنا والتى لايمكن تحقيقها الا بتأكيد وحدة القوى الوطنية والتقدمية فى الداخل وتأكيد دور الشعب المصرى ودور نظام الحكم فى مصر كفصيلة وفصـيلة أمامية فى الجبهة المعادية للامبريالية . كنا نتوقع أن تسير المناقشات وأن تطـرح الاقتراحات حول ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى فى هذا الاتجاه ولـكن ما حدث من البعض أدى الى أن تسير المناقشات فى طريق يؤدى الى تفتيت واضعاف وحدة القوى الوطنية وليس الى تدعيم تلك الوحدة وتأكيــد تماسكها لتصبح قادرة فعلا على حمل أعباء بناء تنظيمها السياسى وهـو الهدف الرئيسى الذى طرحت من أجله ورقة التطوير .

ونحن ندرك انه لا أحد منا قد نسى بعد الاخبـار التى لم يجف مدادها بعد عن الانقلاب الدموى أو المجزرة التى دبرتها الرجعية فى شيلى مستعينة بأموال واجهزة المخابرات المركزية الامريكية والتى ادت الى الاطاحة بالحكم الدستورى والتقدمى واستشهاد سلفادورالليندى. ونحن ندرك انه لا أحد منا يمكن أن ينسى ان الليندى وهو الذى كان يحكم، ظل حتى آخر أيامه مصرا على الحفاظ على دستورية حكمه وترك جيوب الرجعية تتآمر فى وضح النهار وتؤلب قوى الشعب ضد حكمه . وكانت التحركات ضد حكم الليندى من مواقع اليمين والطبقات المعادية ومن مواقع اليسار المغامر فى نفس الوقت. كانت الرجعية تمول اضرابات العمال وكان اليسار المغامر يرفع شـعارات براقة تؤدى لنفس الغرض . وكانت الرجعية هى التى ترفع شـعارات الحرية والديمقراطية وبرفع أجور العمال والكادحين . واستشهد الليندى واستشهد وقتل عشرات الالوف من الوطنيين والديموقراطيين والشيوعيين وقادة الحركة النقابية معه وتحولت شيلى الى معتقل كبير. ولعل الدرس الذى كان ينقص الليندى والذى تعلمه فى الساعات الاخيرة قبل استشهاده هو أن هناك فارقا كبيرا بين الحرية والديمقراطية للقـوى الوطنية بكافة

اتجاهاتها وفى اطار اهداف محددة لا يمكن الخروج عليهـــا أو طعنها وبين الحرية لاعداء الوحدة الوطنية وأعداء التغيير الاجتماعى وأعداء الخلاص من التبعية للامبريالية وأعداء استمرار ودعم التحالف الوطنى الذى لا يمكن بدونه أن تحقق أية ثورة أى هدف من أهدافها. هذا هو الدرس الذى تعلمه الليندى قبل استشهاده والذى تستوعبه الآن دول أمريكا اللاتينية بل ودول عدم الانحياز كلها . وسيؤدى هذا الدرس حتما الى أن يتحول استشهاد الليندى واستشهاد الالاف من أبناء شيلى الابطال الى شعلة جديدة للحرية وللحذر واليقظة من أعداء الحرية تزيد الطريق نورا أمام شعوب أمريكا اللاتينية كلها وأمام دول عدم الانحياز التى واجهت فى المـاضى وستظل تواجه مؤامرات مماثلة .

ان العدو الاسرائيلى ما زال يحتل أجزاء من أراضينا .

ان الامبريالية العالمية وأجهزة مخابراتها لن تتوقف عن استغلال كل ثغرة تنفذ منها لضرب النظم التقدمية فى الوطن العربى .

وعلينا ــ وكما نصت كل مواثيق ثورتنا والتى أصبحت الاسس الدستورية لمجتمعنا ــ أن نحافظ على وحدة القوى الوطنية بكل اتجاهاتها ومواقعهـــا الفكرية كما نحافظ على حبات عيوننا. وعلينا ان نحمى ونطور وندعم تحالف قوى الشعب العامل لانه الطريق ولا طريق غيره لمواجهة المهام البـــالغة الصعوبة والتعقيد والخطورة التى نواجهها . وهذا هو الموقف الذى أعلنه هذا المنبر بوضوح وبتحمل كامل للمسئولية فى عدد سبتمبر بعد اعلان ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى مباشرة . لقد جاء فى الافتتاحية مانصه :

ها نحن امام وثيقة جديدة من وثائق ثورة ٢٣ يوليو . واذا كان البعض يعتبر هـــذه الوثائق مجرد عبارات كتبت للاستهلاك المحلى او الخارجى وليست للتطبيق وللممارسة فان الشعب المصرى وملايين العمال والفلاحـــين والكادحين اساسا ينظرون الى مواقف ثورة يوليو منذ بيانها الاول نظرة مختلفة . ان ثورة يوليو تمثل بالنسبة لهم وبادراك وحس طبقى ووطنى لا يخطىء الحياة والعمل والجســرية والامل فى مستقبل اكثر ســـعادة واشراقا لملايين الكادحين ، وتمثل بعد كل ذلك دور الشعب المصرى الذى لم يتـــوقف يوما عن النضال الذى تخوضه الشعوب العربيـــــة والافريقية والشعوب الاخرى التى تواجـــه نفس ظروفنا ومشاكلنا من أجـــل تصـــفية الاستعمار وانهاء استغلال الانسان للانســـان وضمان الامن والسلام لعالمنا .

من هذا الموقع وبكل المسئولية والجـدية ننظر الى ورقة التصحيح . اننا نعتبرهـــا وثيقة جديدة وهامة لانها تجيب على التساؤل الذى ظل يؤرق القـوى التقدمية والثـورية فى مصر طوال السنين الماضية وخاصة بعـد هزيمة ١٩٦٧. لقد كان هذا التساؤل يشبه الى حد كبير الموقف الذى طرحه شكسبير على لسان هاملت « نكون أو لا نكون » .

وهكذا وبعد ان طرحت ورقة التطوير هذه المسائل الاساسية والمبدئية للمناقشة (أسس التحالف ـ العمال والفلاحون وموقعهم فى التحالف ـ العضوية اختيارية ولا وصاية على النقابات ـ واجبات العضو ـ الالتزام) أصبح السؤال الاول المطروح حاليا هو الطريق الذى يجب ان نسلكه لبناء مثل هذا التنظيم .

اننا نعتبر ان المشكلة الاكثر خطورة التى تعرضت لها ورقة التطوير هى العضوية الاختيارية لمن يأنسوا فى انفسهم الاستعداد للنضال والتضحية ، وضرورة بناء التنظيم من القواعد الجماهيرية وبالتمثيل الذى يعبر عن قوتها وليس من اعلى كما كان يحدث فى الماضى . ان التصدى لحل هذه المشكلة يتطلب أول ما يتطلب اعادة انتخابات النقابات العمالية والتعاونيات وتنظيمات الفلاحين ومجالس القرى والنقابات المهنية وتنظيمات الشباب والطلبة بروح جديدة وباسس جديدة تتفق مع ما جاء فى وثيقة التطوير . ان اعادة الحياة الى التنظيمات الجماهيرية بكامل الحرية ودون وصاية من التنظيم السياسى او السلطة التنفيذية وبالتزام واحد منها هو الالتزام بمواثيق الثورة هو الطريق الذى لا طريق غيره لاكتشاف العناصر القادرة على اعادة بناء التنظيم السياسى وعلى حمل اعباء المهام الخطيرة التى يواجهها وطننا فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا ومن حياة ثورتنا .

***

ونعود ونكرر أن الشعب المصرى لا يعطى ثقته بسهولة . ساذج أو أبله أو مغرض أو عبيط من يظن ذلك . والشعب المصرى قد أعطى ثقته لثورة يوليو٥٢ منذ يومها الاول وأعطى ثقته لقائدها ومفجرها جمال عبد الناصر وأكد تلك الثقة فى أخطر الازمات التى واجهت الثورة ـ أحداث ١٩٥٤ ـ عدوان ١٩٥٦ ـ وهزيمة ١٩٦٧ ـ والشعب المصرى يعطى ثقته الان وبكل التأييد وبكل الاستعداد للبذل والتضحية للرئيس والقائد أنور السادات ، وهذا ما أكدته المناقشات التى دارت أخيرا والمواقف التى أعلنتها تنظيمات الطبقة العاملة المصرية والفلاحون وهى القوى الرئيسية فى تحالف قوى الشعب العامل .

فقط ...

علينا ألا نغفل عيوننا لحظة واحدة عن الجبهة الداخلية ووحدتها وتماسكها . لقد كانت أساس الصمود فى معارك أكتوبر وستظل أساس الصمود لكل المعارك التى سنخوضها فى المستقبل . وعلينا أن نوقف وبحزم ومن أجل حماية الحرية والديمقراطية للملايين الكادحين كل ما من شأنه أن يحرف

جماهير شعبنا وأن يعطى الشعوب العربية والشعوب الصديقة صـــــورة لا تتفق مع حقيقة الوضع فى بلادنا .

وهذا ما دفع الرئيس السادات الى أن يؤكد فى حديثه الاخير مع رئيس تحرير مجلة الاسبوع العربى اللبنانية على مسائل تعتبر من الاسس السياسية والدستورية لمجتمعنا .

لقد جاء فى حديثه :

هناك التباس فالبعض يحاول ان يفسر الانفتاح على انه تغيير فى هيكل الايديولوجية التى نسير على دربهـا وهى الاشتراكية وهذا خطأ فادح .

هل هذا فيه عودة عن مكاسب الفـــلاحين والعمال . ابدا هذا مجرد تشكيك يراد به لوم وغدر . ذلك لان مكاسب العمال والفـــلاحين غير قابلة للمناقشة على الاطلاق والقطـاع العام هو الاساس وهو العمود الفقرى للتنمية خذ مثلا فى الخطة الانتقالية استثمارات القطاع العام هى الف مليون جنيه بينما استثمارات القطاع الخاص ١٠٠ مليون جنيه . ايـــن سيذهب القطاع الخاص ؟ ان اساســـات القطاع العام هى فوق الـ ٧٥٠ مليون جنيه

الرئيس السادات : الاساس عندى هــو المواطن المصرى . أنا عنـــدى المصرى الوطنى فقط وانا استعين بالعديد من اليساريين نريد ان ننتزع هذه العقدة وننهيها ونلغيهـا ويبقى الحكم بيننا تراثنا وارضنا ووطننا ومصلحة مصر .

***

لقد سرنا خطوات كبيرة الى الامام والبشرية التقـــدمية تكسب كل يوم مواقع جديدة ومسيرة شعبنا والشعوب العربية الشقيقة لن تتوقف ولا أحد فى مقدوره أن يعيدنا خطوة واحدة الى الوراء .

« ابراهيم عبد الحليم »

رسالة خاصة من موسكو

الشرق الأوسط ورائحة البارود

بقلم : ن . كودريافتسيف

يثير الوضع فى الشرق الاوسط مخاوف معينة . فاسرائيل لم تكف عن تحركاتها العدوانية ليوم واحد . وتتضح تلك التحركات فىالاعمال التخريبية المستمرة ضد لبنان ، وخاصة فى الجزء الجنوبى منه ، والتى لا تقتصر على نشاط الطائرات الحربية ، وانما تمتد الى قصف المدفعية المنتظم . وتواصل اسرائيل حشد قواتها المسلحة على مرتفعات الجولان ضد سوريا . كما أجرت منذ فترة تجربة لتعبئة الاحتياطى ، روعى فيها ان تكون متطابقة لاقصى درجة مع ظروف العمليات العسكرية . وجرت مناورات للقوات المسلحة والوحدات المدرعة فى الاراضى المحتلة لسوريا ومصر .

وكل تلك التحركات تصاحبها تصريحات محمومة تدعو للحرب من جانب ممثلى الحكومة والقوات المسلحة حول رفض اسرائيل سحب قوات الاحتلال من الاراضى العربية المحتلة ، واستعدادها لاستئناف العمليات العسكرية ، مستغلة عنصر المفاجأة . وفى كلمات ، فكل شىء يتجه نحو المحافظة على التوتر فى الشرق الاوسط ، والاحتفاظ به فى ظروف تكفى فيهـا شرارة بسيطة لاشعال نار حرب خامسة .

وكما يعرف الجميع ، فقد تم التوصل الى اتفاقيات فصل القوات ، أولا ، بين اسرائيل ومصر ، ثم ، بين اسرائيل وسـوريا بعد ذلك ، بهدف تعزيز وقف العمليات العسكرية التى اندلعت فى أكتوبر ١٩٧٣ . ووضعت قوات الامم المتحدة فى مناطق عازلة لضمان مراعاة تنفيذ الاتفاقيات السالفة الذكر . ومنذ ذلك الوقت والاتحاد السوفييتى ينبه مرارا وتكرارا الى أن اتفاقيات فصل القوات يمكن أن تكون عملا ايجابيا فحسب فى حالة ما تكون خطوة أولى نحو تنفيذ قرار مجلس الامن بانسـحاب القوات المسلحة الاسرائيلية الكامل من جميع الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل واعادة الحقوق القومية المشروعة الى الشعب العربى الفلسطينى .

وقيل أن الجانب الاسرائيلى بمساندة حماته فيما وراء البحار يحيـك مخططات لكى يستعيض عن قرار مجلس الامن باتفاقيات مؤقتة حول فصل القوات . وربما يريد المعتدون بهذه الطريقة ان يحققوا النتائج التى فشلوا فى تحقيقها باستخدام السلاح .

والشهور تمضى منذ التوصل الى اتفاقيات فصل القوات ، ومن الطبيعى أن تساور أوساط الرأى العام التقدمى فى العالم ، مشـاعر القلق حول المستقبل ، وتفكر فيما يمكن أن يحدث بعد ذلك . وتتعجب تلك الاوساط لأن تعنت المعتدين الاسرائيليين لم يتأثر بدروس حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وانه رغم تزايد عزلة المعتدين ، فانهم يزدادون تهورا .

والاجابة على هذه التساؤلات قد تجد لها جوابا فى المساندة التى تقدمها الدوائر العدوانية فى الولايات المتحدة الى المعتدين . اذ لم يقم البنتاجون بتعويض اسرائيل عن كل خسائرها فى العتاد الحربى خلال الحرب الرابعة فحسب ، بل لقد زادت شحنات الاسلحة الى تل أبيب بدرجة كبيرة .

وكما تشير الصحافة الاجنبية ، فانه نتيجة للزيارة الاخيرة التى قام بها اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل لواشنطن ومباحثاته هناك ، ستزداد

شحنات الاسلحة المرسلة الى اسرائيل شهرا بعد آخر ، وسيكون معظمها من الاسلحة الهجومية . وقد اكدت واشنطن لرابين ان اسرائيل يمكنها ان تعتمد تماما على مساندة الولايات المتحدة .

وترتبط أحداث قبرص التى دبرتها دوائر حلف الاطلنطى العدوانيــة ارتباطا مباشرا بالسياسة التى ينتهجها العسكريون فى الحلف فى الشرق الاوسط . وكان من المفترض ان يؤدى الانقلاب فى قبرص ، حسب تخطيط من وضعوه ، الى نقل القواعد العسكرية للحلف الى منطقة اقرب من مسرح العمليات العسكرية فى الشرق الاوسط ، وعلى ذلك فان مغامرة قبرص يمكن ان تعتبر تشجيعا عسكريا ومعنويا للمعتدين الاسرائيليين وليس من قبيل الصدفة انه عندما اتضح فشل مخططات حلف الاطلنطى فى قبرص ، واصبح انسحاب اليونان من المنظمة العسكرية للحلف حقيقة واقعــة ، سارع المعتدون الاسرائيليون الى اقتراح بان تنقل الولايات المتحدة قاعدتها البحرية الى حيفا . وهم بذلك يحققون مباشرة احد اهداف زعماء حلف الاطلنطى التى كانوا يريدون تحقيقها من خلال مغامرة قبرص : وهى مساندة اسرائيل فى اعمالها العدوانية ضد البلدان العربية .

...

وقد اشارت الصحافة الغربية الى ان محادثات رابين فى واشنطن تناولت عددا كبيرا من المسائل المتعلقة بالوضع فى الشرق الاوسط . ولا يفوتنا فى هذه المناسبة أن نشير الى ما جاء بالنيويورك تايمز ، استنادا الى « مصادر موثوق بها » ، « بأن كلا الجانبين يوافقون على أن أى تنــازلات اقليمية (٤) من جانب اسرائيل يجب أن يصاحبها تنـــازلات من جانب البلدان العربية تزيد من شعور اسرائيل بالامن . » نفس النغمة القديمة ! ثم مضت الجريدة فى تعليقها لتزيح الستار جزئيا عن مخططــات دوائر معينة .

...

وباختصار ، فان المسألة تتعلق بضمان أمن المعتدى الاسرائيلى ، رغم ان البلدان العربية وحدها هى التى كانت ضحية العدوان الاسرائيلى : فى ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ عندما انتهكت اسرائيل قرار الامم المتحدة واحبطت اقامة دولة عربية بل واحتلت جزءا هاما من أراضيها ، وفى عام ١٩٥٦ خلال ازمة السويس حينما أرادت اسرائيل خلسة أن تحتل مدينة شرم الشيخ المصرية ، وفى عام ١٩٦٧ عندما احتلت اسرائيل أراضى عربية واسعة ، واخيرا فى أكتوبر ١٩٧٣ حينما كانت تل ابيب وراء قيام الحرب الرابعــــة . واذا ماتحدثنا من أرض الواقع فان التاريخ يوضح ان البلدان العربية هى على وجه التحديد التى تحتاج الى ضمانات أمن ، وأن ضمان أمن اسرائيــل

يكمن فى الحقيقة لا فى توسيع رقعة البلاد على حساب دول أخرى ، وانما فى التخلى عن السياسة العدوانية ، واقامة علاقات جوار طيبة وسوية مع جيرانها .

ومن المعروف أن قرارات مجلس الامن توفر التدابير اللازمة لتأمين كل ضمانات الأمن المطلوبة لكافة بلدان الشرق الاوسط . ورفض اسرائيل تنفيذ قرارات مجلس الامن انما يكشف فحسب أن زعماءها لا يرغبون فى أن يكفوا عن خط سياستهم الخارجية العدوانية .

ويشكل موقفهم من مشكلة الشعب العربى الفلسطينى كذلك مؤشرا لنوايا تل أبيب . لقد خلقت اسرائيل ازمة مستمرة فى الشرق الاوسط عام ١٩٤٨ حينما منعت بقوة السلاح خلق دولة فلسطينية عربية باحتلال جزء هام من الاراضى المخصصة لهذه الدولة وفقا لقرارات الامم المتحدة . والزعماء العرب الذين يرون انه من المستحيل وضع حد لأزمة الشرق الاوسط دون اعادة العدالة الى الشعب العربى الفلسطينى ، التى داستها أقدام المعتدين الاسرائيليين ، هم قريبون الى الحقيقة ، رغم أن وضع الأزمة قد ازداد تدهورا فى الشرق الاوسط خلال السنوات الاخيرة . وعلى وجه التحديد ، فقد كانت تلك هى النتيجة التى خرج بها مجلس الامن حينما جعل من اعادة الحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى أحد الشروط التى لا غنى عنها لخلق وضع سوى فى الشرق الاوسط .

وسواء فى النضال من أجل انسحاب اسرائيل من كافة الاراضى العربية المحتلة أو فى الجهود من أجل حل المشكلة الفلسطينية تلعب الوحدة المعادية للامبريالية للبلدان العربية دورا هاما بالطبع معاستبعاد الاعمال والمشاعر الانقسامية التى تفيد على الدوام اسرائيل وحماتها . ومن المعروف أن نضال الفلسطينيين تتزعمه منظمة التحرير الفلسطينية التى تعترف بها عدد من المؤتمرات الدولية كالممثل الوحيد للشعب العربى الفلسطينى .

ان الضفة الغربية للاردن التى احتلها المعتدون الاسرائيليون عام ١٩٦٧، كان من المفروض حسب قرار الامم المتحدة عام ١٩٤٧ أن تكون جزءا من الدولة العربية الفلسطينية ، ولكنها الحقت عمليا بمملكة شرق الاردن التى اتخذت اسمها الحالى منذ ذلكالوقت . ومن المنطقى أنيخرج الفلسطينيون بأن الضفة الغربية للاردن يجب أن تكون جزءا من الدولة التى ستنشأ

نتيجة لاعادة الحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى . ولذلك فمن المهم أن يتحدد الى من تئول تلك الاراضى بعد انسحاب اسرائيل منها .

فالى ما يشير الوضع الخطير فى الشرق الاوسط ؟ انه يقنع كل مؤيدى الانفراج والسلام أن الوضع فى الشرق الاوسط لا يمكن اعادته الى حالة سوية دون انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية غيرالمشروط من كل الاراضى العربية المحتلة ودون اعادة الحقوق القومية المشروعة الى الشعب العربى الفلسطينى بشكل كامل .

وما تقوم به اسرائيل ، بمساعدة وتشجيع الدوائر العدوانية الامريكية ، انما يتناقض بشكل صارخ وتخفيف حدة التـــوتر الدولى ، ولذلك فان الدوائر الحاكمة فى اسرائيل تقف بوضوح ، فى نظر الرأى العام التقـدمى العالمى ، لتشكل تهديدا متزايدا بالحرب على كل البلدان والشعوب .

ان رائحة البارود تفوح فى الشرق الاوسط ، وواجب كل قوى الســلام أن تتخذ كل الاجراءات الممكنة كى تعيد المعتدين المتغطرسين الى صوابهم وتطفىء النيران التى ترقد تحت الرماد والتى تنفخ فيها السياسة المتهورة للدوائر الامبريالية ، التى يتزايد الان حديثها عن امكانية حرب خامسة فى الشرق الاوسط .

●

رسالة خاصة من نيويورك



بقلم : جون بيتمان

اعطت الاحداث التى جرت فى الفترة الاخيرة فى الولايات المتحدة الامريكية تاكيدا جديدا لاهمية وتشابك عدد من قضايا السلام والديموقراطية فى اللحظة الراهنة من التاريخ .

كانت استقالة الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة فى ٨ اغسطس الماضى ، لاحباط اتهامه وادانته بجرائم خطيرة ، وباساءة التصرف ، هى الحدث الاول من نوعه فى تاريخ البلاد الذى يمتد مائتى عام . وقد ابرزت هذه الاستقالة الى المقدمة من اهتمام العالم مسائل تتعلق باستمرار السياسة المؤدية الى الانفراج الدولى . وهى السياسة التى ارتبطت بحكومة ريتشاردميلهوس نيكسون. وقد انعكست هذه السياسة فى الزيارتين اللتين قام بهما نيكسون الى موسكو ، وتوقيعه الاتفاقيات المعقودة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، التى تلزم حكومة الولايات المتحدة بالتعايش السلمى . وكان الحكم على الزيارتين ونتائجهما فى الولايات المتحدة وخارجها انها هى الاعمال الايجابية التى قامت بها حكومته .

وهذه الاحداث لم تسلط الاضواء فحسب على الترابط العضوى بين الانفراج وبين ظروف حياة الشعب ومستوى معيشته ، ولكنها وضعت كذلك النضال فى سبيل الانفراج فى مركز كل معارك الدفاع عن حريات الشعب واحواله المعيشية . وقد أشار السكرتير العام للحزب الشيوعى، جاس هال ، فى تقريره الذى أقرته اللجنة المركزية فى آجتماعها فى ٢٩ يونيو ، الى ان « مسألة الانفراج » قد ظهرت فى الولايات المتحدة كمركز للنضال المصيرى الاساسى الذى يؤثر فى كل طور من أطوار حياتنا ... والحقيقة انه يمكن ان يوجد ضمان حقيقى للسلام أو ضمانات ضد حدوث كارثة نووية بغير الانفراج ... والحقيقة انه لايمكن أن يوجد نضال ناجح لخفض التضخم بغير الانفراج ، لان الانفراج يجعل فى الامكان النضال ضد ميزانيات الحرب الضخمة ... والحقيقة انه لايمكن ان يوجد نضال هادف لخفض الضرائب بغير الانفراج » .

وفى ٩ اغسطس ، حذر هال ، فى الوقت الذى اعتبر فيه اقصاء نيكسون « نصرا هاما للقوى الديموقراطية فى بلادنا » ، بأن « الشعب ينبغى أن يكون يقظا ازاء المؤامرة الجديدة التى تنسج خيوطها عصابة الحرب الباردة ، التى تحاول استخدام اقصاء نيكسون لاعادة عقارب الساعة الى مسالك الحرب الباردة ، بسياستها للتوتر وحافة الهاوية النووية ... والحركة الشعبية المناضلة هى وحدها التى يمكن أن تكفل سير الولايات المتحدة نحو الانفراج والحركة الشعبية وحدها هى التى تستطيع النضال فى سبيل الغاء ميزانية الحرب التى تبلغ مائة مليار دولار » .

وتأكد ان تحذير هال جاء فى الوقت المناسب ، لان اقصاء نيكسون أدى الى أن تكشف عن وجهها القوى المعارضة للنضال فى سبيل الانفراج فى الولايات المتحدة ، وهى الساحة القومية الرئيسية لهذا النضال العالمى . ويسعى جاكسون وولاس وستيفنسون وروستو فى الحزب الديموقراطى ، مع حلفائهم فى هيئة منظمة « الاتحاد الامريكى للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية » ، ومن يسمون بالليبراليين ، والاشتراكيين الديموقراطيين ، والصهاينة والتروتسكيين والماويين ، وأقسام من وسائل الاعلام العامة ، لتقديم أنفسهم باعتبارهم «أمميين» يؤيدون الانفراج ، ولكن بشرط ان تنتهج البلدن ذات الديموقراطية الاشتراكية طرقا رأسمالية فى الحياة . وهذا هو المضمون الرئيسى لمطالبهم الخاصة ب « حرية المعلومات » و « حرية الهجرة » فى أسرة الدول الاشتراكية ، وهى المطالب التى يقرنونها بالحط المستمر من شأن الاشتراكية القائمة ومنجزاتها .

وقد أظهرت الاغلبية فى الحزب الجمهورى ، التى لا تزال تحتفظ

بالمناصب العليا فى الادارة التنفيـــذية ، فى تحركاتها الاولى ، الى انها ستلتزم بسياسة حكومة نيكسون ، واعلنت عزمها على مواصلة سياسة حكومة نيكسون فى تقوية التعاون الاقتصـــادى والسياسى مع الاتحاد السوفييتى والبلدان الاخرى الاعضاء فى أسرة الدول الاشتراكية . وقد قدم الرئيس فورد هذا التأكيد لليونيد بريجنيف ، السكرتير العام للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، فى رسالة خاصة بعث بها بعد توليه منصب الرئاسة مباشرة . وتلا ذلك محاولة فورد أن يحمل الكونجرس على الاسراع باقرار قانون التجارة الذى سوف يضع موضع التنفيذ الاتفاقية المعقودة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ، الخاصة بتوسيع العلاقات الاقتصـادية بينهما بغير قيود تتسم بالتمييز . ومن الناحية الاخرى ، تواصل حكومة فورد ـ كيسنجر ـ شـــليزنجر ، التى اتسعت الان لتضم نائب الرئيس نلسون روكفلر ، الاتفـاق العسكرى الضخم . وقد وصف جاس هال هذه السياسة بوضوح بأنها « تحاول امتطاء حصانين يسير كل منهما فى اتجاه مضاد لاتجاه الاخر » .

ورغم الفرص التى يتيحها اجتماع الضدين فى التحركات الاولى التى اتخذتها حكومة فورد ، لقوى الحرب الباردة ، فقد ضعفت هذه القوى الى حد بعيد ، فقد جردت الان من اشتراك نيكسون فى فساد وجرائم مؤامرة ووترجيت ، وهو الاشتراك الذى استخدموه لمهاجمة سيـاسة حكومته التى تؤيد الانفراج . وتوجـد كذلك ضـغوط قوية فى الولايات المتحدة والعالم لاستمرار سياسة تأييد الانفراج وتطويرها .

والعملية العالمية الموضوعية لتدويل الحياة الاقتصادية وضغوطها ، وهى العملية التى تعززها الثورة العلمية والتكنيكية ، من أجل توسيـع التقسيم الدولى للعمل والتعاون الصناعى لتطوير الانتاج ، سوف تمارس نفوذا متزايدا على سياسة رأسمالية الدول الاحتكارية فى الولايات المتحدة . ان القوة المتزايدة باضطراد للاتحاد السوفييتى وأسرة الدول الاشتراكية ، والنفوذ المتزايد لسياستها الداخلية وسياستها الخاصة بالســلام ، فى الوقت الذى يصدان فيه خصوم الانفراج ، فانهما يعززان جاذبية البلدان الاشتراكية باعتبارها شريكة دائمة فى التعاون الاقتصادى والسياسى . يضاف الى ذلك ، ان ازدياد نفوذ حركة التحرر الوطنى والبـلدان غير المنحازة فى إتجاه الشئون الدولية قد ساعد على ايجاد جو مضاد لتكتيكات التوتر والمواجهة الخاصة بالحرب الباردة . وبالاضافة الى هذه الضغوط فان القوى القاهرة نفسها التى أجبرت امبريالية الولايات المتحدة على التخلى عن سياستها فى العدوان المباشر واتباع سياسة ملائمة للانفراج ، لم تضعف ، بل انها على العكس ، ازدادت قوة ، ويستمر تآكل الموقـع الدولى لرأسمالية الدولة الاحتكارية فى الولايات المتحدة كلما دفعت العملية

الثورية العالمية ميزان القوى العالمى لان يميل بشكل اكبر لصالح الاشتراكية والسلام .

والمحاولة التى تقوم بها امبريالية الولايات المتحدة للحصول على أرباح فاحشة عن طريق العمليات التضخمية الخاصة بزيادة الانفاق العسكرى على حساب الخدمات الاجتماعية التى تقدم للشعب ، تلاقى مقاومة متزايدة . وتشكل معارضة الميزانية العسكرية المتزايدة حافزا لتذمر الشعب من تلاعب الاحتكارات فى شئون التموين وفرض الاسعار، وتشديد هذه الاحتكارات للارهاق فى العمل الى الحد الذى يودى بحياة الانسان، وهجومها ، باشتراك الدولة ومساعدة البيروقراطية النقابية التى تدعو الى التعاون بين الطبقات ، على مستوى معيشة العمال وحرياتهم . وقد اندمج نضال الشعب للمحافظة على أحواله المعيشية وحرياته الديموقراطية مع الضغوط الجماهيرية من أجل الانفراج وقواها .

ولم يؤد تغيير حكومة الولايات المتحدة الى ازالة هذه الضغوط أو التقليل منها . ومظاهر الوضع الاقتصادى الخطير الذى ينشأ عن ازدياد عمق الازمة العامة للراسمالية ، ويؤثر فى جميع البلدان الراسمالية لاتزال واضحة . وفى الربع الثانى من هذا العام ، حدث انخفاض فى معدل النمو السنوى مقداره ٢ر١ ٪ ، وذلك عقب انخفاض مقداره ٧ ٪ فى الربع الاول . وقد صحب هذا استمرار التضخم الذى يرتفع سريعا ، وقد وصل ارتفاعه الى معدل سنوى مقداره ١٢ ٪ . وقال بنك فيرست ناشونال سيتى ، وهو الثانى بين أكبر بنوك الولايات المتحدة ، فى العدد الصادر فى ٢٢ يوليو من نشرته « الاسبوع الاقتصادى » ، ان « الاقتصاد قد أصبح فى قبضة انكماش مفسد » لم يسبق له مثيل منذ الهبوط الذى حدث عام ١٩٥٧ — ١٩٥٨ ، وتنبأ بأن الهبوط سوف يستمر فى عام ١٩٧٤ . وزيادة على ذلك ، فقد نشرت جريدة انترناشونال هيرالدتريبيون الصادرة فى ٩ اغسطس ان احد المحللين فى المكتب القومى للابحاث الاقتصادية الذى يوجد مقره فى نيويورك يقول ان « انخفاضا ملحوظا فى النمو سوف يحدث فى أواخر السبعينات ويستمر فى الثمانينات » .

واتسع الصراع الطبقى فى مداه وازدادت حدته بسبب تزايد تهديد الهجوم الذى يقوم به رأس المال الاحتكارى على معيشة وحريات الجماهير لصالح الغالبية الساحقة من السكان . وشمل السخط الجماهيرى كل مجال من مجالات حياة الشعب . وقام الرجال والنساء العاملون بأكبر موجة اضرابات منذ الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية . وقامت المنظمات التى تضم فئات متعددة من المستهلكين ، والاقليات ، وأنصار السلام ، والنساء ، والاباء والاطفال ، والمستأجرين ، والمهتمين باصلاح الضرائب والحكومة ، بأعمال جماهيرية لتأييد مطالبهم . وتكررت المسيرات والمظاهرات وتجمعات الاحتجاج وحملات التقدم بالمطالب والاحتشادات

والاجتماعات التى لاحصر لها ، وغير ذلك من أشكال معارضة الاحتكارات والحكومة فى كل انحاء البلاد بصـــورة اكبر من أى وقت مضى . وتعكس مطالب الشعب اتساع النضال . وتتلخص هـذه المطالب فى : خفض الاسعار ، وتأميم احتكارات البترول ، واصلاح الضرائب لنقل العبء من الفقراء الى الاغنياء ، وانشاء مرافق رعاية أطفال الامهات العاملات أثناء النهار ، وخفض الايجارات ، وتوفير المساكن ذات الايجار المنخفض ، والمساواة الكاملة للنساء ، ووضع حد للقمــع العنصرى والسـياسى ، وخفض الانفاق العسكرى ، والتضامن مع الشعوب المناضلة فى سبيـل الحرية .

فهل تنجح حكومة فورد فى اعادة الاستقرار النسبى الى اقتصــاد الولايات المتحدة ؟ ان اجراءات حــكومته الاولية لكبح جماح التضـخم ، وهو ما أعلن انه هدفه الاسمى ، شبيهة بالسياسة التى كان يتبعهـا سلفه . وعزمه على خفض النفقات الحكوميـة لاينطبـق على الانفـاق العسكرى ، ولا يعنى الا خفض الانفاق على الخدمات الاجتماعية التى حرم منها الشعب طويلا : وعلى التعليم والاسكان والصحة والمساعدة التى تقدم لاربعين مليونا يعيشون فى حالة فقر . وخططه الخاصة بخفض الاجور ، وهى التى يصورها على انها التحكم فى الاجور والاسعار، سوف تؤدى الى زيادة تدهور مستويات معيشة الجماهير ، وزيادة انخفاض القوة الشرائية لاجور العمال ، وهى القوة التى انخفضت بمقدار ٦ر٧٪ فى الفترة الواقعة بين ابريل ١٩٧٣ وابريل ١٩٧٤ ، وانخفضت مرة اخرى فى يونيو للشهر الثامن على التـوالى . يضـاف الى ذلك ، أن حـكومة الولايات المتحدة التى ينبغى ، كما جاء فى اعلان الاسـتقلال ، أن تكون « حكومة برضاء المحكومين » ، سوف يرأسها ، فى عشية الذكرى المائتين لانشائها فى سنة ١٧٧٦ ، رئيس ونائب رئيس لم ينتخب الشـعب أيا منهما . وهذه حالة تنذر بسوء أكبر بسبب وضع وسجل نائب الرئيس . فروكفلر ، وهو أغنى من شغل هذا المنصب الرفيع ، اذ يقدر دخله السنوى بأكثر من خمسة ملايين دولار ، ينتمى الى عائلة تقف فى قمة الهرم الاحتكارى ، ولها نفوذ واضح على الحكومة الاتحادية ، وعلى معظم حكومات الولايات والمدن ، وعلى الحزبين الديموقراطى والجمهورى .

لقد اصبحت هناك حاجة ماسة الى الدفاع عن الحكومة الدسـتورية وحرية الشعب بعد ما كشف عنه التحقيق فى مؤامرة ووترجيت . فقد بين ما أفشى ان الرئيس نيكسون قام ، فى أثناء الســـنوات الخمس والنصف التى تولى فيها منصبه ، بعملية تركيز السلطة فى الجهــاز التنفيذى ، واعادة تشكيل المحاكم لاسباغ طابع قانونى على القمع ، أكثر مما فعله أى من أسلافه . ورغم ان هــذه العملية قد بدأتها حكومة روزفلت ، فقد تطورت بشكل جدى عند ما كان ترومان رئيسا للجمهورية

وتمت بشكل أكبر أثناء حكم الرؤساء ايزنهاور وكينــدى وجونسون ، ومنحها نيكسـون طابعا خاصا .

وفى شهرى يونيو ويوليو ١٩٧٠ تآمر نيكسون مع رؤساء المخابرات المركزية ، ومكتب التحقيقات الفيدرالى ، ووكالة مخـابرات الدفاع ، ووكالة الامن القومى ، لتنفيذ ما يسمى ب « خطة هستون » لانشـاء بوليس شخصى بالغ السرية للاشتراك فى المراقبة السياسية ، والاشرطة المسجلة والسـطو ، ووضع أجهزة للتصنت ، وفتح الخطابات ، والتجسس العسكرى على المدنيين ، والاسـتفزازات والتسرب الى المنظمات الديموقراطية والتقدمية ، وتنظيم المظاهرات وغيرها من عمليات انتهاك قوانين الولايات المتحدة ودستورها . وكانت هـذه الخطة تطبق بصورة كاملة أثناء انتخابات رئاسة الجمهورية فى سنة ١٩٧٢ ، واظهرت اشتراك رأس المـال الاحتكارى فى تنفيذها التبرعات البالغة عدة ملايين من الدولارات التى قدمتها الشركات واصحاب الملايين للجنة اعادة انتخاب الرئيس . وما تم الـكشف عنه بعد ذلك بشأن النشاط الاجرامى للجنة اعادة انتخاب الرئيس ، ألقى الشك على صحة ما يسمى ب « الانتصـار الساحق » لنيكسون فى سنة ١٩٧٢ .

والحقيقة ان رأس المـال الاحتكارى قد ارتكب ، باشتراك نيكسون بشكل مباشر ، جرائم أكثر خطورة الى حد بعيد أثناء فترة ووترجيت . ويقول جاس هال فى آخر كتبـه « اندلاع أزمة الطـاقة ــ الاسـباب والعلاج » دار انترناشونال للنشر ، نيويورك ــ ١٩٧٤ ــ ص ٥٤ ــ ان أكبر جرائم ووترجيت كانت ... فى مجال التجمع السياسى ــ الصناعى ــ العسكرى ، والغزو غير القانونى لـكمبوديا وقصفها سرا بالقنابل ، والقصف الاجرامى لهانوى وهايفونج بالقنـابل من الجو بهدف ابادة سكانهما ، والتعـاون مع شركة التليفون والتلغراف الدولية وشركة كونيكوت فى تنظيم الانقلاب الفاشى الدموى فى شـيلى . والجرائم الاكثر خطورة هى الجرائم التى ارتكبت فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى ــ أى تجميد أجور العمال فى حين ان الاسـعار ترتفع بشكل حاد ووقف انفاق عشرات الملايين من الاعتمادات المخصصة للاحتياجات الاجتماعية ، والهجمات غير الدستورية وغير القانونية التى تشن على السـود ــ فى جبهة العمل ووجهة التعليم ــ والهجوم القاتل على الشعب الهندى فى العملية المروعة الثانية بعد وونلدنى . ونقص البترول ومعالجة حكومة نيكسـون لهذا الامر من أكبر الجرائم الاقتصادبة التى ارتكبت ضـد الشعب الامريكى على الاطلاق » .

وقد ألقى الضوء على بعض جوانب العمليات التى دارت أثناء الحمـلة الانتخابية . ولـكن جميع التحقيقات الرسمية سمعت الى منع الـكشف.

عن تمويل رأس المال الاحتكارى لهذه العملية والسيطرة عليها . أما فيما يتعلق بنيكسون فقد كان ميله للخداع سببا فيما حل به من خراب. فالاشرطة السرية التى سجل عليها محادثاته مع جميع أعوانه بغير معرفتهم أو موافقتهم كانت دليلا لايدحض على قيادته وادراكه لعملية ووترجيت ومحاولاته التستر عليها . ان ما تكشف من نزعاته التعسفية قد أطلق حركة ديموقراطية كاسحة لاتهامه وادانته الى حد ان التأكد من اقصائه أصبح شاملا .

واتخذ هذا المطلب شكل أعمال جماهيرية قامت بها مئات المنظمات فى كل أنحاء البلاد ، وهزيمة المرشحين الجمهوريين فى انتخابات تجديد نصف أعضاء المجالس الاتحادية ومجالس الولايات والبلديات ، وفيض البرقيات والرسائل التى أرسلت الى البيت الابيض والصحافة وفى هذه الحركة ، كانت النقابات كل على حدة فى الطليعة ، وقد جعلت مسألة الدفاع عن الحكومة الدستورية فى مركز حملة الاتهام . وانضم عمال الشحن والتفريغ فى الساحل الغربى ، وعمال المناجم المتحدة ، وعمال المواصلات ، وعمال السيارات المتحدون ، وعمال الكهرباء المتحدون ، وعمال الجزارة وعمال الفراء ، والعمال العاديون فى نقابات اخرى ، بما لهم من نفوذ ، الى حركة الاتهام . وفى مؤتمر « الاتحاد الامريكى للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية » فى سنة ١٩٧٢ ، كان الشعور بتوجيه الاتهام غالبا الى حد أن زمرة مينى — فيتز سيمونز — ايبل التى تضم قادة الدعوة الى التعاون الطبقى أجبرت على اقرار الموافقة الرسمية للاتحاد الامريكى للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية على حركة الاتهام .

ولم يصبح المضمون والوزن المشئومان لهذه الازمة الاجتماعية والسياسية معروفا بشكل سريع للرأى العام داخل الولايات المتحدة أو خارجها . وقد أعلن الحزب الشيوعى ان جهاز نيكسون السرى يزيد من خطر الفاشية الجديدة . ولكن هيئات التحقيق الرسمية ووسائل الاعلام العامة فى الولايات المتحدة اشتركت فى التغطية الضخمة على الجذور الطبقية لووترجيت ، ومنبعها الكامن فى رأسمالية الدولة الاحتكارية ، وأساليبها العنصرية والصهيونية ، والمساعدة التى تلقتها من هيئة الاتحاد الامريكى للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية التى تدعو الى التعاون الطبقى ، وروابطها مع قادة حزبى الاحتكار السياسيين ، وتنشيطها للمجموعات اليمينية المتطرفة مثل جمعية جون بيرش ، وجماعة الحرية ، وحزب حقوق الولايات القومية ، والحملة الصليبية المسيحية القومة ، وتحالف الشباب القومى ، وحزب الاستقلال الامريكى ، ومجلس المواطنين البيض ، وكوكلوكس كلان ، وحزب البيض الاشتراكى القومى .

وبذلت وسائل الاعلام العامة محاولاتها لايهام الناس بأن المؤامرة مجرد

قضية سطو ، أو مجرد فضيحة أخرى من فضائح الفساد التى تتكرر فى التاريخ السياسى للولايات المتحدة ، او مجرد مشاجرة بين الجمهوريين والديموقراطيين . وهذه « التفسيرات » كان يلتقطها الموظفون الرسميون ووســـائل الاعلام العامة فى البلدان الرأسمالية الاخرى وينشرونها على شعوب هذه البلدان .

واتبعت أسرة الدول الاشتراكية خطها المستقل فيما يتعلق بالتطورات السياسيةداخل الولايات المتحدة . وقد التزمت بدقة ، كما هو عهدها دائما ، بمبادىء التعايش السلمى ، التى تتضمن عدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلدان الاخرى . وتركز اهتمامها ، نتيجة لوعيها بالمضــمون الطبقى لآخر الاحداث فى الولايات المتحدة ، على السياســة الخارجيــة لحكومة نيكسون ، وخاصة فى السياسة المؤدية الى الانفراج . ويقتضى التنفيذ الثابت لبرنامج السلام الاشتراكى دعم التغييرات الايجابيــة فى العلاقات الدولية ، وهى التغييرات التى عززتها الاتفاقيــة الســوفييتية الامريكية . ويعرف الشيوعيون ان هــذا يساعد على ازالة خطر الحرب ، ويزيد من فرص التعاون بين البلدان ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، وهو بذلك فى صالح غالبية البشرية .

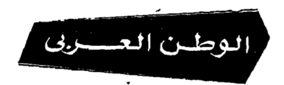
والمفارقة الظاهرية فى كيف تستطيع حكومة تعمل على اقامة جهــاز طوارىء للقمع داخل حكومة الولايات المتحدة ، أن تتبع فى الوقت ذاته سياسة تؤدى الى الانفراج الدولى ، أمر تفسره المصالح المتضــــاربة لرأسمالية الدولة الاحتكارية . فاحتكارات الولايات المتحدة فى حاجة الى مساندة الحكومة فى هجومها القوى على مستويات معيشة الجماهير العاملة فى الولايات المتحدة وحرياتها الديموقراطية ، وفى نشــاطها فى الساحة العالمية. ومساندة نشاطها العالمى ضرورى بصفة خاصة بسبب الانخفاض التدريجى فى المــكانة الدولية لرأس المــال الاحتكارى الامريكى . وعنــدما واجهت الجماهير بالمقاومة حملة الاحتكار الى جنى الارباح الفاحشة ، عن طريق بث النزعة العسكرية والتضخم والاسراع فى الانتاج بعد استمرار تدهور المكانة الدوليــة للولايات المتحــدة تحت تأثير العمليــة الثــورية العالمية ، تحولت امبريالية الولايات المتحدة الى اليمين فى الســيــاســة الداخلية . وسعت فى الوقت نفســه ، الى التلاؤم مع ميزان القوى المتغيرة فى العالم نتيجة لسياسة الانفراج التى بينت الحقائق أن الاوســـــاط الاحتكارية ذات النفوذ لها مصلحة محددة فيها ، وقد حاولت الحكومة السابقة بغير طائل أن تحقق هذه الاهداف المتناقضة .

وقطع نيكسون الطريق ، بتخليه عن رئاسة الجمهورية على العمليــة الديموقراطية للاتهام والادانة ، التى كانت تتحرك لــكشف المجرمين فى

مؤامرة ووترجيت وتعزيز الحركة الجماهيرية التى شملت البلاد كلها لمنع حدوث ووترجيت آخرى . ويضع رأس المـــــال الاحتكارى فى اعتباره احتمال أن تؤدى صورة فورد باعتباره رجلا « شريفا » ، رغم انه رجل له سجل تشريعى رجعى فى الـكونجرس ، وصـــورة نائبه ، باعتبـــاره « اداريا متمرسا لايمكن افساده » ، الى استعادة ثقة الشعب بالنظام القائم . وينبه الحزب الشيوعى فى الولايات المتحدة الى انه من الخطـأ الاعتماد على « شرف » فورد أو « عدم قابلية روكفلر للفساد » ، فى صيانة حريات الشعب . وقد قال جاس هال : « ان وجود حركة شعبية ديموقراطية مناضلة هو وحده ، الذى يصـــون الحقوق الديموقراطيـــة ومؤسسات البلاد » .

وفى هـــذا الوضـــع ، فان نتيجة النضال فى الساحة القومية للولايات المتحدة لاستقرار الانفراج السياسى ودعمه بالتعاون الاقتصادى والانفراج العسكرى ، سوف تتأثر بشكل متزايد بنشـــاط الجماهير التى نهضت الآن ، ونمو نشاط الطبقة العاملة . وسوف تنشأ فرص جديدة للنشاط الجماهيرى عندما يصبح الانفراج مرتبطا بصورة أقوى بالنضال للدفاع عن معيشة الشعب وحرياته الديموقراطية . وســوف يكشف النضـــال بصورة متزايدة قوى الحرب الباردة ، باعتبارها العدو اللدود لتحسين المستوى المعيشى وللديموقراطية والانفراج .

●



المؤتمر الأول للمرأة العاملة العربية

بقلم : امينة شفيق

مع بداية عام ١٩٧٥ وفى فترة ـ لم تحدد بعد ـ من شهر يناير أو فبراير على الاكثر سيعقد الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب المؤتمر الاول للمرأة العاملة العربية فى الوطن العربى . فذلك هو المؤتمر الذى صدر بصدد عقده قرار من المؤتمر الاول للثقافة العمالية فى الوطن العربى والذى عقد فى مدينة طرابلس فى شهر سبتمبر عام ١٩٧٤ . وهو كذلك المؤتمر الذى سيعد له الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ويستضيفه اتحاد نقابات عمال الجمهورية العراقية . وفى النهاية المبادرة العمالية العربية للمساهمة فى الجهد الذى ستخصصه الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة للمرأة العاملة فى كل أنحاء العالم طوال عام ١٩٧٥ .

ولا شك أن طرح وضع وقضايا المرأة العـــاملة العربية فى مؤتمر عربى تساهم فيه كافة الاتحادات العمالية القطرية يشكل عملا جديدا على المنطقة العربية ككل وكذلك لهو مبادرة عظيمة من قبل الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب . ذلك أن بعض الاقطار العربية كانت منذ عقدت مؤتمرات عامة لنسائها العاملات . ناقشت تلك المؤتمرات المشاكل العـامة للمـرأة العاملة . ولكن لم تجتمع جهود عربية موحدة من أجل طرح قضـــايا المرأة كجزء من قضايا مجتمعها . وذلك هو الجديد الثانى فى مؤتمر بغداد القادم .

فمؤتمر بغداد .. عربيا .

ثم وهذا هام .. له موقفه الطبقي لانه مؤتمر ، تم اقراره ويعـــد له ويستضاف من الطبقة العاملة العربية .

ومن هنا جاء الاهتمام أثنـــاء مناقشته فى طرابلس ، منصبا على المرأة العاملة فى الزراعة . فقد أعطى المؤتمرون من القيادات العمالية جل تقديرهم للمرأة العاملة عامة .. فى الصناعة والخدمات .. ثم شددوا على العاملات الزراعيات ..

والسبب يتبلور فيما يلى :

١ ــ ان العاملات الزراعيات يشكلن نصف العمالة الزراعية الماجورة .

٢ ــ ان العاملة فى الزراعة تاتى فى نهاية سلم كل شرائح الطبقة العـاملة العربية فى مجال التقدم .

٢ ــ ان العاملة فى الزراعة .. رغم تخلفها هذا .. فان دورها الانتاجى معترف به بالنسبة لحجم الانتاج الزراعى ككل .

ومن هنا فان الاهتمام بقضايا المرأة العاملة مسألة حيوية .. ولكن يجب توجيه اهتمام زائد ومتزايد للقاعدة الواسعة من العاملات المأجورات واللاتى لم تمتد اليهن أى يد الى الان وهن عاملات الزراعة .

هذا بالاضافة الى حقيقة جوهرية أخرى .. وهى تلك التى تؤكد ــ دون أى شك ــ ان حركة المرأة جزء من حركة الجماهير الكادحة فى أى وطن . لذلك فان مناقشة قضايا المرأة الجوهرية سيقود ــ سواء شاءت بعض العناصر المتخلفة أم لم تشأ ــ الى مناقشة طبيعة العلاقات الاجتماعية التى تدفع بحركة الجماهير أو تعيقها ، والتى تنعكس مباشرة على وضع المرأة كجزء

من هذه الجماهير . ومن هنا تبنى العديد من القيادات العمـــالية العربية الكثير من الآمال على نتائج هذا المؤتمر .

***

وفى محاولة مبدئية منى أود فى هذا المقال أن أقدم صورة عامة عن وضع المرأة العاملة العربية فى عدد من الا قطار العربية التى سهل الى الان تجميع بعض المعلومات عنها . فهذه المعلومات قد تساعد فى تقديم « مسودة » غير مفصلة عن وضع المرأة العاملة العربية دون الوصول الى حقيقة العلاقات الاجتماعية التى تشكل أساس تلك الصورة . فذلك لا يمكن أن يتم ـ أى دراسة العلاقات الاجتماعية لكل قطر عربى ـ الا من خلال دراسة راسية تفصيلية لابد أن تتم عمليا . ومن ثم فان محاولتى هنا تنحصر فى اعطـــاء الصورة العامة .. وليس أكثر .

والاطار العام لهذه المسودة يوضح أن العلاقات الاجتماعية تختلف درجة نموها من كل قطر عربى الى اخر . وأكثر من ذلك فانها تتداخل فى كل قطـر على حدة . فبشكل عام .. تمر الاقطار العربية كلها وبلا استثناء فى حلقة من حلقات التحرر الوطنى . فكلها تواجـــه بدرجات متباينة عـــدوانا استعماريا جديدا ومستحدثا .. وفى نفس الوقت تعيش تلك الاقطـار وبشكل عام فى مرحلة تدعيم استقلالها الوطنى من خـــلال ترسيخ أسس استقلالها الاقتصادى . وتختلف بعضها البعض فى درجة ثرائها .. فمنهـا من تفجرت لديه الثروات البترولية .. ومنها من اعتمدت اقتصـــادياته المحدودة على الانتاج الزراعى المستقر منذ القدم .. ومنها من يعانى من قلة الموارد الطبيعية وكذلك ضعف الاقتصاد الزراعى الذى بدونه لايمكن تحقيق الفائض اللازم للصناعة . والقليل منهـــا من امتلك الثروات الطبيعية مع الاقتصاد المستقر القديم . فهى من ناحية الاقتصاد متباينة الدرجات . ذلك التباين الذى ينعكس على درجة تطور المرأة الاقتصادى . فحيث توجـــد الامكانيات والصناعة والزراعة المستقرة .. توجد دائما المرأة العـــاملة فى حالتى نمو وتطور .

وبجانب ذلك فهى من الناحية السياسية والاجتماعية ، بلدان حـــديثة الاستقلال .. فهى بشكل عام تحتسب من البلدان النامية التى تلهث وراء التقدم التكنولوجى والانجازات العلمية وبسبب حداثة استقلالها وصراعها الطويل معالمستغلين الاجانب والمستعمرين وأعوانهم من الراسماليين المحليين فان البعض منها قد اختار طريق التحول الى الاشتراكية كطـــريق للنمو الاجتماعى . وحتى درجات التحول الى الاشتراكية ـ من خلال التـأميم وبناء القطاع العام ـ تختلف درجات نموه من قطر الى قطر .

ومن ثم فان العلاقات الاجتماعية التى تسود الاقطـار العربية ليست متجانسة فى درجاتها .. فانها تبدأ من العلاقات القبلية وترتفع الى العلاقات التى تتباور خلال التحول الى الاشتراكية . وذلك أيضا له انعكاسات على

تطور المرأة كجزء من الجماهير التى تعيش فى ظل تلك العلاقات .

ومن هنا اختلف وضع المرأة من قطر عربى الى قطر آخر .. وأكثر من ذلك قد يختلف وضعها فى القطر الواحد من مجال عمل الى مجال عمل اخر ـ مثلا يختلف وضع المرأة فى الزراعة حيث لا تزال تعيش فى ظل بقـــايا السلافات الاقطاعية وشبه الاقطاعية عن وضع المرأة التى تعمل فى الصناعة المؤممة والتى تشكل العمود الفقرى للقاعدة الاقتصادية لمرحله التحول الى الاشتراكية .

ومن الناحية السياسية فان المرأة العربية تعيش فى ظل نظم سياسية تختلف بعضها عن البعض . ففى بعض الاقطار العربية (العراق وسوريا مثلا) تتم ممارسة العمل السياسى من خلال الاعتراف بتعدد الاحزاب التى تتوحد فى جبهة سياسية بقيادة حزب البعث . وفى لبنان مثلاتسير السياسة حسب نظام تعدد الاحزاب السياسية . وفى اليمن الديمقراطية تمـارس السياسة تحت نظام الحزب البروليتارى فى اطار تنظيمات ونشاط الجبهة القومية . وفى مصر تمسكت ثورة يوليو ٥٢ الوطنيـــة بنظـام التنظيم السياسى الواحد المكون من تحالف القوى العاملة (كذلك ليبيا) بينما اختارت الجزائر طريق الحزب الواحد ـ حزب منظمة التحرير الجزائرية ـ وهـــو حزبالبرجوازية الصغيرة . تلك هى نماذج النظم السياسية التىتقود العمل الوطنى فى الاقطار العربية والتى تؤثر فى حركة المرأة السياسية والاجتماعية تأثرا مباشرا .

لذلك فان الحصيلة النهائية لقدرة المرأة العاملة العربية فى التـــأثير فى مجتمعها تمثل الانعكاس النهائى لكل تلك العوامل . فالمرأة كقوى انتاجية واجتماعية لا يمكن بأى حال من الاحوال أن تسبق مجتمعها او أن تسبق الجماهير التى هى جزء منها . فبقدر ما تتحرر الجماهير من العـلاقات الانتاجية الاستغلالية بقدر ما تتحرر المرأة كقوى منتجة . وبقدر ما تتسع الحركة السياسية فى أى مجتمع بقدر ما تتسع حركة المرأة فيه . وبقـدر ما تسارع المجتمعات بتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية بقدر مايتزايد حجم المرأة العاملة .

وبعد تلك المسيرة الوطنية للاقطار العربية ككل جاءت الاحصائيات التى تجسد حركة المرأة العاملة المنظمة والمدفوعة الاجر لتدلنـا الى أن البنيان الاقتصادى للمرأة العربية لا يزال هشا . والجدول التالى يؤكد ذلك .

فمشاركة المرأة العاملة العربية فى البناء الانتاجى لا يتناسب مع حجمها فى التعداد العام . وهذه حقيقة تبرز لنا السبب الذى يكمن وراء ضـعف البنيان الاجتماعى والسياسى للمرأة العربية بشكل عام . ففى أكثر الاقطار

القطر	عدد النساء العاملات	القوى العاملة العامة	النسبة
المغرب	٦٠٥ر١٥٥	٣ر٩٨٠ر٥١٨	٨ ٪
الجزائر	١٠٩ر٤٥٣	٢ر٥٦٤ر٦٦٣	١ر٨ ٪
تونس	٦٦ر٤٦٩	١ر٠٩٣ر٦٣٧	٣ ٪
ليبيا	١٩ر٨٦٥	٣٨٧ر٦٩٩	٢ر٧ ٪ *
مصر	٨٣٨٠٠٠	—	٨ر٥ ٪ (١)
الاردن	٣٠ر٣٠٠	٥٤١ر٠٠٠	٢ر٦ ٪
سوريا	٣٠٧ر٤١١	١ر٦٤٥ر٧٢١	٩ر٦ ٪
الكويت	١٦ر٥٩٦	٢٣٩ر٢٧١	٥ر٢ ٪
البحرين	٣ر٢٤٩	٦٠ر٣٠١	٣ر٣ ٪ (٢)

العربية تقدما لم تتجاوز نسبة قوة عمل النساء ١٠٪ من القوى العاملة العامة من الجنسين . وذلك يعنى أن المرأة العربية لا تزال تعيش فى مجتمعاتها كمستهلكة ولم يثبت بعد دورها كمنتجة فعالة فى اقتصاديات بلادها .

ان هذا الوضع لا يعود فى الدرجة الاولى الى أن المرأة العربية لا تصلح للعمل .. بل يعود فى المقام الاول الى ان النظم العربية وخاصة التقدمية منها لم تعترف بعد عمليا بالخطط الانتاجية الاجتماعية الشاملة التى تستطيع من خلالها تلك النظم أحداث تغيير جذرى فى المجتمع ، يشمل المرأة ضمن ما يشمل من جماهير . هذا رغم اعتراف هذه النظم نظـــريا بالتخطيط الاقتصادى كوسيلة وحيدة للتعبئة والتنمية فى مجال الاقتصاد .

كذلك كان واجبا على الثوريين العرب من رجال ونساء أن يطالبوا أولا بخطط انتاجية اجتماعية شاملة تمس الريف والعلاقات السـائدة تنبه فى نفس الوقت الذى تمس الحضر والعلاقات السائدة فيه ، فتلك الخطط هى الوسيلة الوحيدة ــ وتثبت ذلك تجارب كافة بلدان الاسرة الاشتراكية ــ لاحداث التغييرات الجذرية التى تواكب تطور العصر . ويوم أن تصبح هذه الخطط أسلوبا سائدا فى كل قطر عربى .. يومها فقط لن تبقى المرأة العربية أسيرة دائرة الاستهلاك وانما ستكون ــ من خلال حقها فى العمل ــ عنصرا فعالا فى الاقتصاد الوطنى .. ثم .. وتحت قدميها كمنتجة ستجرف كل عوائق وعقبات التخلف لانها ستكون واقفة باقدام ثابتة على قاعدة اقتصادية قوية .

ولا شك ان هذا المطلب سيكون أحد المحاور الاساسية للدراسات التى ستطرح فى المؤتمر القادم للمرأة العاملة فى بغداد .

* يضم هذا الاحصاء الايدى العاملة غير الليبية .
(١) وزارة التخطيط ــ المـــوارد البشرية فى الجمهورية العـــربية المتحدة ١٩٧١ منها
(٢) يضم هذا الاحصـــاء الايدى العاملة الغير بحرانية .



١٩٧٥
عام المرأة العالمى

بقلم : كاترينا منديس

نص قرار اصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة منذ عامين على اعتبار عام ١٩٧٥ عاما عالميا للمرأة ، ويبدو ان ما تضمنه القرار من أن يكون عام المرأة العالمى حافزا للجهود لتحسين وضع المرأة ، يتحقق بدرجة كبيرة . وتحظى خطوة الامم المتحدة تلك بتأييد التقدميين والقوى الديموقراطية والثورية فى بلدان كثيرة . فهم يعتبرونه اعترافا بالحاح قضية المرأة لان الوعى العام لايمكن أن يتخذ موقف اللامبالاة من حقيقة ان النساء ، اللواتى يشكلن نصف سكان العالم وينتجن ثلث البضائع المادية ((بالاضافة الى وظيفة الامومة الاجتماعية ذات الاهمية الشاملة)) ، ما زلن خاضعات للتميز فى عدد غير قليل من البلدان .

والشيوعيون المناضلون الثابتون ضد الظلم ، يساهمون فى تطوير عام المرأة العالمى ، لانهم يقدرون الغرض الرئيسى منه ، وهو ليس تطوير الاعتراف القانونى فحسب ، بل وكذلك المراعاة الفعلية لمبدأ المساواة بين الرجال والنساء .

ومن المؤكد انه لايمكن تحقيق التحرير الكامل للنساء بين يوم وليلة أو حتى خلال اثنى عشر شهراً . فعند خمسة وخمسين عاما ، قال لينين ان مخلفات « القوانين الشائنة التى تضع النساء فى وضع عدم المساواة .. وهى عار البرجوازية والرأسمالية ، موجودة فى كل البلدان المتدينة » ـ المجلد ٢٩ ، ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ـ وما قاله لينين فى ذلك الوقت ، ما زال صحيحا الان . فحالة النساء الاجتماعية فى ظل الرأسمالية تقدم صورة لعدم المساواة الفعلية ، صورة جديدة من بعض الوجوه ، لكنها بشكل عام تدعو للأسى بالدرجة ذاتها .

من المعترف به ان مئات من السنوات من نضال الديموقراطيين والثوريين وحركات النساء التقدمية ، قد أعطت ثمارها . لكنها ، فى ظل المجتمع الرأسمالى لم تستطع أن تحقق ولم تحقق بصورة كاملة المثل الانسانى حول مساواة النساء . فالنساء ما زلن يعانين اكثر من الرجال من الاستغلال ، ومن العمل والتدبير المنزليين المرهقين ، ومن التمييز فى التعليم والحياة السياسية والاسرة .

وكما حدث فى الماضى ، عندما كان عمل النساء والاطفال النتيجة الاولى للاستخدام الرأسمالى للآلات « ماركس » ، تؤدى الثورة العلمية والتكنيكية المعاصرة الى التوسع فى استخدام عمل المرأة ، وتدفع بالنساء الى أعمال كانت تقليديا خاصة بالرجال . وهذا فى جوهره شىء تقدمى لانه يرفع دور المرأة فى التطور الاقتصادى والاجتماعى . لكن النساء فى المجتمعات الرأسمالية من ناحية اخرى ، أكثر تعرضا للآثار السلبية للثورة العلمية والتكنيكية . فهن أول من يعانى من نمو البطالة ، لان مؤهلاتهن المهنية عادة أقل ، وذلك نتيجة للتميز فى التعليم العام والخاص. يضاف الى ذلك ان تركز الانتاج المستمر ، ونمو قوة الاحتكار ، يلحقان الخراب بالصناعات الصغيرة والمتوسطة والمزارع التى تستخدم العمل النسائى منذ قرون . والنساء اللاتى يعملن يعانين من كثافة ورتابة العمل الذى يقمن به ، ومن الضغوط العصبية التى تضر بشكل خاص بصحة النساء الحوامل ، والامهات الرضع .

ما زالت حماية الامومة قضية ملحة . فرعاية المؤسسات ان وجدت لا تشمل الفلاحات أو العاملات فى المنازل ، أو خادمات المنازل فى كثير من البلدان . ومع ذلك فهؤلاء هن ، بشكل عام ، الاقل حصانة ، ويفتقرن فى العادة الى الدخل المنتظم ، والحماية النقابية ، وحقوق

التقاعد . ولا غرابة فى ان النضال فى البرتغال ضد استغلال النساء ، بوصفه أسوأ أنواع الاستغلال ، يعتبر من بين الاولويات الاجتماعية المطلقة للحكومة المؤقتة : لقد ادخل نظام الاجور الثابتة لخادمات المنازل، وهى أعلى من الاجور الهزيلة وغير المنتظمة السابقة ، كما تعهدت النقابات بحماية حقوقهن .

يتفاقم الاضطهاد الرأسمالى للنساء العاملات بغياب الضمانات الحقيقية لمساهمتهن فى الحياة العامة والسياسية . وفى هذا الصدد ايضا ، فان حالة المرأة « توضح بصورة صارخة الفارق بين الديموقراطية والبورجوازية والديموقراطية الاشتراكية » ـ لينين ـ المجلد ٣٠ ص.١٢٠ لقد أكد المؤتمر النقابى العالمى الثامن ـ فارنا ـ ١٥ ـ ٢٢ اكتوبر١٩٧٣ فى قرار يحيى فيه قرار الامم المتحدة حول عام المرأة العالمى انه « بينما حققت النساء العاملات المساواة فى البلدان الاشتراكية ، ما زال على النساء ، فى البلدان الرأسمالية والنامية أن يناضلن ضد التفرقة حتى ولو كانت حقوقهن منصوص عليها فى الدستور » .

يدرك الشيوعيون ان القضاء على الاضطهاد الاجتماعى والسياسى للنساء سوف يستغرق وقتا ويحتاج الى مثابرة . بيد انهم يعتبرون عام المرأة العالمى خطوة هامة نحو هذا الهدف . وهم يرفضون المبدأ الانعزالى الجامد ـ كل شىء أو لاشىء . فمع ثباتهم فى الدفاع عن مصالح النساء العاملات ، « لا يسبحون بطلبات النساء » . وكلارا رتكين، التى نقلت كلمات لينين فى هذا الصدد فى مذكراتها ، قد سجلت أيضا استطراده « كلا ، فمن الواجب علينا ، استنادا الى الظروف القائمة ، ان نناضل من أجل هذا المطلب حينا ، ومن أجل ذاك المطلب حينا آخر ـ ولكن دائما بالتأكيد ، فى ارتباط مع مصالح البروليتاريا العامة . وبالطبع ، فان كل مواجهة تؤدى بنا الى نزاع مع العصبة البورجوازية الموقرة ، ومع عملائها الاصلاحيين الاقل وقارا . والاخيرون مضطرون اما الى النضال الى جانبنا وتحت قيادتنا ـ وهذا ما لايريدون ـ أو الى نزع قناعهم.. وهكذا يفصل بيننا الصراع ، **مبينا شخصيتنا الشيوعية**».

هذه الكلمات ، وخاصة التى شددت عليها ، ذات أهمية قصوى للتعريف الواضح بالموقف الشيوعى . فلينين يدافع فى نقاء المبادىء الماركسية ، القائمة على العلاقة الوثيقة بين قضية النساء والنضال الطبقى البروليتارى . ومع ذلك فهو يحذر من الانعزال ، الذى قد ينسف وحدة الحركة الجماهيرية ضد كل أشكال الاضطهاد الموجودة فى ظل الرأسمالية . فهل نحن فى حاجة الى توضيح مدى أهمية معتقداته اليوم ؟ انها ليست صحيحة تكتيكيا فحسب ، ولكنها تقوم أيضا على معرفة عميقة وعلمية للقضية ، وتوضح الطريق الحقيقية الى مساواة النساء الحقة .

تكتسب المبادىء الماركسية اللينينية لحل قضية النساء اهمية أوسع بكثير ، مع تعاظم مساهمة النساء الان فى الحياة السياسية بدرجة أكبر ، ومع زيادة وعيهن اليوم بدرجة اكبر . ففى البرتغال كان الكثير من النساء تشاركن بنشاط فى الحركة الديموقراطية . وبعد ٢٥ ابريل، عندما أطيح بالنظام الفاشى أصبحن أكثر نشاطا . ورغم هذا ، كان من الصعب على المرء أن يتوقع حضور مثل هذا العدد الكبير من النساء ، الاجتماعات التى تنظمها الاحزاب الديموقراطية والتقدمية ، أوالاشتراك فى مظاهرات تؤيد الحكومة المؤقتة . وخلال عهد الفاشية كانت معظم النساء عبيدا لعبيد . وكان ٣٥ ٪ من السكان البالغين من الاميين ، ومعظم هذه النسبة من النساء . والنساء قوة حقيقية نامية فى عملية اشاعة الديموقراطية فى البلاد ، اذ انهن يعانين من الفقر المدقع ، حيث يدفعن ثلث الدخل الهزيل كأجر للسكن ، وتعيش عائلات كاملة فى حجرة واحدة وتنام على الارض ، ويعقب يوم العمل الوطنى عمل فى المطبخ ، طهى وغسيل ، لا يقل ارهاقا . والان تستطيع النساء العاملات أن يأملن فى العدالة لهن ولعائلاتهن . لكن الامل يغذيه الافق الواضح . وحزبنا وعيا منه بهذه الحقيقة ، قدم برنامج تحسينات أساسية فى وضع النساء العاملات ، ونساء الفئات المتوسطة . وقد ادرجت فى برنامج الحكومة المؤقتة نقاط هامة من برنامج الحزب الشيوعى البرتغالى حول قضية المرأة لانها ترتبط ارتباطا أساسيا بالاتجاهات العامة لعملية اشاعة الديموقراطية .

ورغم ذلك توجد حتى لدى بعض الشيوعيين أفكار مشوشة حول مكانة المرأة فى المجتمع وهذا سبب آخر يدعونا الى ضرورة اتباع المبادىء الماركسية اللينينية فى ممارستنا اليومية ، الى ضرورة الدعاية لها والنضال من أجلها . فالمفكرون الرأسماليون الذين ، كما قالت كلارا زتكين « يرتدون قناع الدفاع عن حقوق النساء لخدمة رأس المال » فحسب، يؤثرون بقوة فى الوعى الشعبى . وكان دافعهم الاساسى دائما هو اخفاء أو حجب الطبيعة الطبقية لقضية المرأة ، واعاقة نمو الوعى السياسى لجماهير النساء العاملات . ويجب ان نتذكر انه كان على الشيوعيين طوال عشرات السنين ، ان يعملوا سرا ، فى ظروف غير قانونية أو شبه قانونية ، ويجب الا نسىء تقدير البلبلة التى خلقتها كافة أشكال الاوهام حول التحسينات الضخمة التى يمكن للنساء العاملات الفوز بها فى اطار المجتمع الرأسمالى الاستغلالى . وما زال علينا ان نقوم بقدر هائل من العمل قبل أن تفهم كل الجماهير العاملة المبادىء الماركسية اللينينية .

ـ ان « درجة تحرر النساء فى اى مجتمع هى مقياس للتحرر العام » (انجلز) .

ـ ان « المساواة الفعالة بين النساء والرجال لن تتحقق الا بعد

تصفية الاستغلال الرأسمالى لكليهما » (انجلز) .

ــ انه ما لم تجذب النساء الى الحياة السياسية ، « ما لم ينتزعن من بيئة المنزل والمطبخ المبلدة للاحساس ، سيكون من المستحيل ضمان الحرية الحقيقية ، سيكون من المستحيل بناء حتى الديمقراطية ، ناهيك عن الاشتراكية (لينين المجلد ٢٣ ص ٣٢٩) .

انني متأكدة من ان هذه المسلمات الشيوعية وغيرها ، ليست مناسبة للعاملين والعاملات فى بلادى وحدها ، بلادى التى لم تتخلص من العبودية الفاشية الا منـــــذ وقت قريب فحسب . وكتب لينين يقول : « ان المشتركين فى كل حركات تحرير المرأة فى أوربا الغربية قد رفعوا ، لا طوال عشرات السنين الماضية ، بل طوال قرون ، المطلب الخاص بالمســاواة القانونية بين المرأة والرجل ، لكن لم تنجح فى تنفيذه اى دولة من الدول الاوربية الديموقراطية ، حتى ولا اكثر الجمهوريات تقدما .. لانه حيثما توجد الرأسمالية ... حيثما يحافظ على سلطة راس المــال ، يحتفظ الرجال بامتيازاتهم » (المجلد ٣٠ ص ٤٠ ــ ٤١) .

وتقدم الحقائق الراهنة دليــلا جديدا على ذلك . فلنأخـذ ما نشرته الصحافة فى الاونة الاخيرة عن ان معظم النساء فى بريطانيا لا يحصلن الا على نصف ما يحصل عليه الرجل ، لقاء العمل ذاته ولم يصــدر وطن الديمقراطية « الـكلاسيكية » هذا الا مؤخرا قانونا يقضى بمساواة الاجور للنساء والرجال فى نهاية عام ١٩٧٥ . وبالمناسبة ، فان تطبيق مثل هذه القوانين يواجه كل أنواع العقبات لان أرباب العمل لهم مصلحة فى عمل النساء الارخص . وحقائق أخرى كثيرة فى احصائياتنا تبرهن على صحة كلمات لينين. ففى١٩١٣ قال لينين ان النساء هن من **«يرحب الرأسماليون كثيرا باستخدامهن كعاملات فى منازلهن ، فهن على استعداد لقبول أجر بالغ الانخفاض للحصول على زيادة صغيرة لانفسهم ولعائلاتهم ، من اجل كسرة خبز » (المجلـد ٣٦ ص ٢٣٦)** . وبعد ستين عاما نشرت الصحافة الايطالية عن هذا الشكل الوحشى لاستغلال النساء العاملات فى منازلهم والمحرومات من الحماية النقابية .

يجب أن يقال هــذا كله ، فيما يقال ، لان الـكتاب الرأسماليون فى الحديث عن عام المرأة العالمى كثيرا ما يشيرون الى التفرقة التى تتعرض لها المرأة وكأنهم يكتشفون شيئا جديدا . والبواعث واضحة : انهم يريدون توجيه السخط المتنامى على النظام القائم فى قنوات مقبولة لدى الطبقات الحاكمة ومن هنا ، يأتى تشجيع أفـكار الحركة البرجوازية حول نضال المرأة فى سبيل حق جنسها فى الاقتراع فقط ، وكذلك مطـالب النساء « غير السياسية » والتغاضى عن منجزات البـلدان الاشتراكية البارزة التى تضمن مساواة المرأة فى العمل ، والحياة السياسية والعامة

والتعليم والاسرة ، مساواة حقيقية وليس من الناحية التشريعية فقط.

وتستغل البرجوازية واحدا من أكثر الجوانب تعقيدا لمساواة النساء ـ ذلك هو الاعتراف بالامومة بوصفها أهم وظيفة مساوية لاشتراك النساء في انتاج القيم المادية والثقافية . لقد اثبتت ضرورة هذا نظريا مؤسسو الماركسية : « ان انتاج الحياة ، حياة المرء ذاته من خلال العمل وحياة آخر من خلال انجاب طفل ، تبدو في الحال كعلاقة مزدوجة ، علاقة طبيعية من جهة ، وعلاقة اجتماعية من جهة أخرى » (ماركس) . والمسألة العملية المرتبطة بمساعدة النساء على الجمع بين العمل النافع اجتماعيا وتربية أطفالهن ، موضوع لمناقشة حامية في العالم الحديث . ويطرح علماء الاجتماع حلولا « متهورة » مقترحين « رواتب عامة » للامهات غير العاملات أو اقامة « عائلات محترفة » تربى الاطفال نظير رسم يدفعه الوالدان . وليس في هذا ما يربطه بالاعتراف الحقيقي للأمومة كوظيفة اجتماعية ، لانه يستبعد ، أوتوماتيكيا ، النساء من الانتاج

الاجتماعي والحياة العامة . **ويرى الماركسيون اللينينيون الحل، أولا وقبل كل شيء ، في توفير الظروف اللازمة للتطور المتناسق للنساء كأفراد ، كأعضاء متساوين في المجتمع وكامهات . وكانت هذه هي المعالجة الاساسية للقضية في البلدان الاشتراكية ، ولو ان الطريق هناك ايضا ليس ممهدا.**

وباختصار ، وكما هي الحال بالنسبة لمعظم قضايا عصرنا البارزة ، تعكس قضية النساء المواجهة التاريخية بين العالمين ، بين النظامين الاجتماعيين ، الرأسمالية والاشتراكية . والمعالجة الماركسية اللينينية العلمية الواضحة لقضية النساء هي المعالجة الصحيحة الوحيدة . وهذا هو الضمان في ان النساء العاملات ستختار الاشتراكية والشيوعية باعتبارها الطريق الحقيقي الوحيد الى التحرر الحقيقي .

حقائق وارقام

جمعها معهد حركة الطبقة العاملة العالمية

اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي

عمل النساء : تشكل النساء ثلث قوة العمل تقريبا في البلدان الرأسمالية المتطورة . ويدفع ارتفاع تكاليف المعيشة للنساء الى البحث عن دخل مستقل لمساعدة أسرهن . وهذا واضح بشكل خاص في الولايات المتحدة حيث زاد عدد الوظائف في ١٩٦٠ ــ ١٩٧٠ ، ١٢ مليون وظيفة وشغلت النساء ٦٥ ٪ منها ، والنساء اليوم يبلغن ٣٨ ــ ٤٠ ٪ من قوة العمل

فى البلاد (١) . وفى السويد شكلت النساء العاملات ٣٠ ٪ من مجموع النساء من السكان ، فى ١٩٦٠ و ٥٣ ٪ فى ١٩٧٣ . ومن المتوقع ان تزيد نسبتهن الى ٦٠ ٪ فى ١٩٨٠ (٢) .

فى فرنســــا ارتفع عدد العاملين فى ١٩٦٢ ـ ١٩٦٨ بنسبة ١٠ ٪ والعاملات ١٥ ٪ . وبلغت الزيادة فى ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢ ، ٣ ٪ و ١١ ٪ على التوالى . (٣)

وعمل النساء أكثر ما يكون استخداما فى الخدمات العامة ، كما يحتل المرتبة الثانية فى الصناعة والثالثة فى الزراعة .

البطـالة بين النســاء : فى ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ الغت صنـاعة النسيج فى اليابان ١٠٠ر٠٠٠ وظيفة تحتلها النساء (٤) . وفى فرنسا سيؤدى التشغيل الذاتى فى ١٩٨٥ الى الغاء ١٣٥ر٠٠٠ وظيفة فى صناعة الملابس و ١٧٠ر٠٠٠ فى صناعة النسيج . (٥)

وفى الولايات المتحدة بلغت نسبة البطالة فى ١٩٦٨ ، ٢ر٦ ٪ بالنسبة للرجال و ٣ر٧ ٪ بالنسبة للنساء (٦) . وفى فرنسا كان معدل البطـالة بين النساء أعلى بنسبة ٦٠ ٪ منه بين الرجال (٧) .

وفى ايطاليـــا انخفضت العمالة بين النساء فى ١٩٥٩ ـ ١٩٧٢ ، ب ١ر٢٢٥ر٠٠٠ امرأة وأساسا فى الزراعة والصناعة . (٨)

الاجر والسلامة الصناعية : على الرغم من ان مبدأ الاجر المتســاوى لقاء العمل المتساوى منصوص عليه فى دساتير البلدان البورجوازية ، ويؤكده عدد من القوانين العالمية ، يواصل أصحاب الاعمــال التمييز ضد النساء .

---

(١) انظر الشئون السياسية العددان ١٠ ـ ١١ نوفمبر ١٩٧٣ ص ٣١ .
(٢) افانتى ٢٤ مارس ١٩٧٣ ص ٣ .
(٣) انظر المؤتمر الوطنى الخامس للاتحاد العام للنقابات ١٧ ـ ١٨ مايو ١٩٧٣ باريس ص ٧ .
(٤) انظر الحركة النقابية العالمية رقم ٣ ـ ١٩٧٣ .
(٥) لانوفيل كريتيك رقم ٥٢ أبريل ١٩٧٢
(٦) كتيب حول العاملات ـ واشنطن ١٩٦٩ ص ٧٢ .
(٧) لانوفيل كريتيك العدد ٥٢ ابريل ١٩٧٢ .
(٨) افانتى ١١ ديسمبر ١٩٧٣ ص ٣ .

ففى جمهورية المانيا الاتحادية تتقاضى العاملات ٦٠ ٪ فقط من متوسط الاجر الذى يأخذه الرجال لقاء العمل ذاته (٩) . وفى فرنسا ، يقل متوسط أجر النساء عن الرجال بنسبة تتراوح بين ٢ر١٤ ٪ الى ٣٥ ٪ (١٠) . وفى الولايات المتحدة تساوى أجور النســـاء ٥٨ ٪ من أجور الرجال (١١) .

لقد انتشر فى السنوات الاخيرة العمل فى المنازل ، وتقوم به النســـاء أساسا . فحوالى ٠٠٠ر٧٠٠ر١ من الايطاليين يعملون فى المنازل (١٢) . وهذا النمط من العمل ، وهو نوع من الانتاج الرأسمالى الحديث ، قد بعث من جديد نتيجة حدوث تحولات فى هيكل الصناعة . فهو يمـــكن أصحاب العمل من تقليل الاستثمار وتخفيض تكاليف العمل ، باستغلال العاملين فى المنازل استغلالا مكثفا من أجل استخلاص أرباح اضافية لايمكن تحقيقها فى المؤسسات لان العمال يقومون بمقاومة منظمة . ويســتأجر أصحاب الاعمال العمال فى المنازل بدون عقود ومن ثم يتجنبون كثيرا من الالتزامات الناتجة عن مكاسب الطبقة العاملة .

لقد سجل الاتحاد العام للنقابات الفرنسى حالات عديدة للنقص البالغ فى حماية العمل النسائى . ففى أحد مصانع الاغذية تضطر النساء الى العمل فى درجات حرارة تقل عن الصفر ، وفى الصناعة المعدنية تشــكو النساء من التوتر العصبى ونوبات الاغماء فى العمل (١٣) . وفى ١٩٦٧ عقد اتحاد النساء الايطاليات مؤتمرا وطنيا حول « صحة النساء العاملات » قدمت فيه معلومات حول عجز النساء فى الصناعة . ولقد اتضح أن الأمراض العامة قد حجبت النساء عن العمل بمعدل مرة ونصف من معدل الرجال تقريبا والامراض العصبيـــة بمعدل يبلغ ثلاثة أضـــعاف معدل الرجال تقريبا (١٤) .

التمييز فى التعليم : على الرغم من انعدام القيود القانونية على التعليم فان الطالبات ما زلن قليلات خاصة فى المدارس التكنيكية .

ولقدكشف استعراض للتعليم فى فرنسا فى ١٩٧١ ان ٦٤٪ من النساء اللائى يعملن ينقصهن التدريب الخاص . ومعظم الشـــابات اللائى حصلن على

---

(٩) ر. لامبرخت (دور النساء فى مجتمعنا) ، شتوتبارت ، ١٩٧٢ ، ص ٧ .
(١٠) المؤتمر الخامس ص ١١
(١١) ديلى وورلد ٢٧ يونيو ١٩٧٢ .
(١٢) البوبلو ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ ص ٣ .
(١٣) انظر المؤتمر الخامس .
(١٤) اتحاد النساء الايطاليات ، تحية الى النساء العاملات ، تورنى ١٩٦٧ ، ص ٤٦١ .

تدريب مهني يشغلن وظائف « نسائية » . وفي اسبانيا في ١٩٦٨ لم تكن هناك امرأة واحدة موظفة في الحكومة كمحام أو موثق عام ، وكانت هناك ثلاث طبيبات للاطفال فقط (١٥) . وفي بريطانيا العظمى توجد ٥٠٠ مهندسة فقط .. وثلثا المحاكم في انجلترا وويلز مغلقة في وجه المحاميات (١٦) .

ومعظم النساء العاملات غير ماهرات ، وعاملات تكنيكيات متوسطات أو ذوات مستوى منخفض ، وبائعات وحلاقات وما الى غير ذلك . ولقد شهدت السنوات الاخيرة ، ازالة تدريجية للفوارق بين وظائف « الرجال» و « النساء » . ففي الولايات المتحدة تشكل النساء من ٢٠ ٪ الى ٦٠ ٪ من قوة العمل في انتاج الصلب والالومنيوم ، وهن الاغلبية في كثير من الورش في بعض مصانع السيارات . وينمو ، وان كان ببطء شديد ، عدد النساء التكنيكيات ، والمهندسات ، والعاملات في التخطيط والعاملات الميكانيكيات .

رعاية الأمومة : تفتقد البلدان البورجوازية الى نظام فعال لمساعدة النساء العاملات ، اللائي يجمعن بين العمل وواجبات الاسرة . فشبكة دور الحضانة ورياض الاطفال غير كافية ومعظمها ملكية خاصة ، ومن ثم فهي بعيدة عن متناول كثير من العاملين . ففي فرنسا يمكن لدور الحضانة ورياض الاطفال قبول ٣٢٫٨٢٨ طفلا فقط بينما طبقا لمعدلات منظمة الصحة العالمية فان بلدا يقطنه ٤٠ مليونا من السكان (وفرنسا واحدة من هذه البلدان) يجب أن يكون لديه ٢٠٠٫٠٠٠ مكان (١٧) . وفي ايطاليا يلقى الرعاية في رياض الأطفال العامة ١٤٠٫٠٠٠ ، وفي رياض الاطفال الخاصة ١٫٣١٦٫٠٠٠ طفل . وهناك مليون طفل بين ثلاث وست سنوات ليس أمامهم سبيل لدخول دور الحضانة (١٨) . وفي أوائل ١٩٧٤ لم يحصل حوالي مليوني طفل على مكان في دور الحضانة التابعة للبلديات (١٩) . والوضع مشابه جدا في بريطانيا والمانيا الغربية واسبانيا وبلدان أخرى كثيرة .

المشاركة في الحياة العامة والسياسة :

تكشف نتائج الانتخابات في السنوات الاخيرة عن التناقض المستمر في عدد النساء في الاجهزة الحكومية . فقد كان في الجمعية الوطنية الفرنسية

(١٥) ماريا انجلييز دوران ، عمل النساءفي اسبانيا ، دراسة سيكولوجية ، اديتوريل تكنوس ، س ، أ ـ مدريد ١٩٧٣
(١٦) كومنت العدد ١١ ، ١٠ ابريل ١٩٧١ص ١٩٦٧ .
(١٧) انظر دفاتر شيوعية العدد ٢ فبراير ١٩٧٤ ص ٦٢
(١٨) لونيتا ٣١ مارس ١٩٧٣ .
(١٩) جيورني ـ الحياة الجديدة العدد ٣ـ ٢٣ يناير ١٩٧٤ ص ٣٧ .

٣٩ عضوا من النساء فى ١٩٤٦، و ٣٣ فى ١٩٥١ ، ١٩ فى ١٩٥٦ ، و ٩ فى ١٩٥٨ ، وثمانيــة فى ١٩٦٢ و ١١ فى ١٩٦٧ و ٨ فى ١٩٧٣ (٢٠) . وفى البرلمان الايطالى انتخبت ٤٨ امراة فى ١٩٤٨ ، ٣٥ فى ١٩٥٨ ، ٣٢ فى ١٩٦٣ ، ٢٩ فى ١٩٦٨ و ١٩٧٢ (٢١) .

اما برلمان ألمانياالغربية فكان يضم ٣٤ نائبة أو ٦ر٦ ٪ فى ١٩٦٩ ، ٣٠ أو ٤ر٥ ٪ بعد انتخابات ١٩٧٢ (٢٢) . وفى الولايات المتحدة هناك ١٥ امراة فى مجلس النواب منذ انتخابات ١٩٧٢ (مقابل ١٧ قبل ذلك) .

حقا لقد انضم عدد من النساء الى النقابات أكثر من ذى قبل الى حدما ولــكن مازالت النساء يشكلن جزءا صغيرا فقط من العمال المنظمين . ففى ١٩٥٨ كانت النساء أعضاء النقابات فى الولايات المتحدة تشكل ٦ر١٨ ٪ فقط من مجموع النقابيين ،و ٥ر١٩ ٪ فى ١٩٦٨ (٢٣) . وتقدر النقابات المركزية دور النساء العاملات فى النضال ضد الاحتكار وتسعى الى ضم أكبر عدد منهن .

وتتراوح نسبة النساء فى الاحزاب البرجوازية بين ٥٪ ، ١٠ ٪ . وقد شهدت الفترة الاخيرة محاولات لجذب مزيد من النساء الى الاحزاب .

ونسبة النساء فى الاحزاب الاشتراكية والاحزاب الاشتراكية الديمقراطية أعلى وتتراوح بين ٢٠ ٪ ، ٣٥ ٪ . وفى الاحزاب الشيوعية طليعة المناضلين من أجل تحرير النساء ، تشكل النساء فى المتوسطة ثلث العضوية .

الظروف فى الاسرة : وهى فى ظل الراسمالية نتاج اسلوب الحيـــــاة البرجوازى ، الذى غالبا ما تحدد النقود فيه العلاقات العائلية . ولقــد صيغ هذا الوضع بفظاظة فى القانون المدنى الفرنسى الذى اتخذت منه كثير

---

(٢٠) ا . ميشيل ، ج . تكسير « حالة فرنسا اليوم » باريس ١٩٦٤ المجلد ١ . ص ١٨١ ، لومانتيه ١١ مارس ١٩٦٧ و ٢٨ مارس ١٩٧٣ .

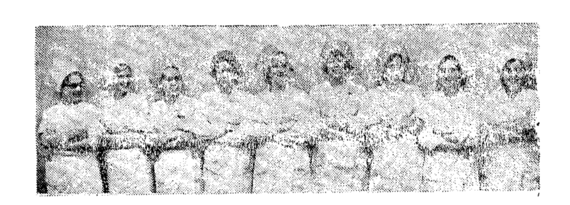
(٢١) نوتيزياديو ترميسترال العدد ٢ ، ١٩٧٤ ص ٣ .

(٢٢) أنظر « حديث امراة الى امراة » ص١٠ ــ ١٩٧٢ .

(٢٣) أنظر دانييل بيل ــ قدوم مجتمع مابعد الصناعة ــ نيويورك ١٩٧٣ ، ص ١٤٦ .

من بلدانأوروبا وامريكا نموذجا لها. فلقد أنكر القانون على النساء كل الحقوق المدنية ووضعهن تحت حكم أزواجهن الكامل . فهو لم يسمح للنساء حتى بالاشراف على الممتلكات التى كن يملكنها قبل الزواج ، أو أن يقررن مصير أطفالهن ، ولا يتمتعن بحقوق متساوية مع أزواجهن عند الطلاق .

وفى هذا القرن ، أدى دور النساء المتزايد فى الانتاج وفى الشئون العامة، ونضال القوى التقدمية الى ان تسن بلدان كثيرة قوانين تضع حدا لاكثر اشكال عبودية النساء فى الاسرة مهانة . بيد أن تشريع الاسرة ليس كاملا ، فى أى بلد رأسمالى ، بدرجة تكفى لضمان مساواة حقيقية للنساء .



●

وجهة نظر..

الإسكان فى مصر ومشاكله

بقلم : على نجيب

لا شك ان الذين استثمروا نقودهم فى شراء الاراضى والعقارات فى السنوات القليلة الماضية قد ضاعفوا ثرواتهم وحققوا أرباحا خيالية .

والذين على معرفة بهذه الامور يقولون ان ثمن الارض وصل فى الزمالك وعلى النيل أو فى وسط المدينة الى عدة مئات من الجنيهات للمتر الواحد المربع .

أما العقارات فيكاد سعرها يتضاعف كل ثلاث سنوات تقريبا فى انحاء متفرقة من المدينة خاصة القريبة من وسط البلد .

ولسنا نكتب ذلك لنسجل ظاهرة تستحق التامل حقا. وذلك لتاثيرها على عديد من نواحى الحياة فى بلادنا سواء منها السكانية والاجتماعية أو من ناحية تدفق الدخول أو تزايد رءوس الاموال على فئات اجتماعية ضيقة كذلك فان هذه العملية تؤثر على الانفاق العام على أوجه الخدمات كما انها تتاثر بنفس تلك العوامل .

فالناس اولا واخيرا يسكنون فى بيوت وتلك البيوت مبنية على أرض وتلك الارض جزء من المدينة او التجمع السكانى . وارتفاع ثمن الارض والعقارات يرفع سعرالسكنىارتفاع أسعارالاحذية والبقالة والخضروات.

وتلك الظاهرة لا تختص بها مدينة القاهرة فحسب ، بل انها بصورة مشابهة تتكرر فى كافة المدن على نطاق الجمهورية .

ولا شك ان الكثيرين ممن يهتمون بدراسة الجانب الاقتصادى فى الاشياء سوف يتساءلون حقا كيف يمكن أن تتضاعف الثروات دون عمل مبذول فى مجتمع يتحول اقتصاده الى الاشتراكية .

غير ان ارتفاع ثمن الارض على غير ما يتوقعون انما هو نتيجة عمل مبذول . أما من يعمل ومن يحصل على قيمة العمل فهذا سؤال آخر.

فمع التوسع العمرانى خاصة فى المدن الكبيرة المرتبط بخطط التصنيع والتنمية والمرتبط أيضا بزيادة دور الدولة فى توفير قدر متزايد من الخدمات للشعب يرتفع عدد سكان المدن وتتنوع أنشطتهم ويزداد مركز المدينة أهمية فوق أهميته .

ومع تفاقم مشكلة المواصلات سواء فى الوقت الضائع أو الارهاق الذى يعانيه الناس فى التوجه الى مصالحهم تزداد الرغبة فى السكن أقرب ما يمكن الى وسط المدينة لتركز كثير من أماكن العمل فيه بخلاف الخدمات التى تتركز فيه ايضا .

ومع تدفق السكان الى الاحياء الاقرب الى وسط المدينة تبدأ عملية تلقائية محتومة الاثر بهدم المنازل القديمة التى يسكنها عدد ضئيل من العائلات وتقام العمائر المتعددة الادوار ويرتفع سعر الارض بارتفاع الريع المتحقق فى المبانى الجديدة .

غير اننا يجب الا يغيب عنا ان زيادة عدد السكان فى حى من الاحياء يعنى بالحتم مزيد من الانفاق العام على الخدمات التى يجب ان تتوفر لسكان هذا الحى .

فشبكات المياه التى كانت تخدم عشرين الف نسمة فى حى كالزمالك سوف يتضح انها بجانب قدمها غير صالحة لخدمة مائة الف ويصبح الانفاق العام على شبكة مياه جديدة ضرورة حتمية . والامر بالمثل فى الكهرباء أو التليفونات والاهم من ذلك الصرف الصحى . كل ذلك الانفاق

يتم من المال العام وهو فى الحقيقة الذى يمول رفع ثمن الارض الذى يتمتع به الحائزون لهذه الارض أو المضاربون عليها .

ولو فرضنا جدلا ان عدد السكان فى منطقة معينة لايمكن ان يزداد فمن غير المتصور ان يرتفع ثمن الارض حيث سوف لا يرتفع ريعها .

والذى يحدث ان ثمن الارض يرتفع دون أى جهد يبذله صاحبها الا الانتظار ويرتبط ذلك بزيادة عدد السكان فى المبانى الجديدة أو زيادة الايجار بزيادة الطلب على السكن فى الاحياء الاكثر قربا من مركز المدينة سواء كان ذلك تحت شعار الشقق المفروشة أو خلو الرجل أو ثمن الاثاث الشكلى الذى يفترض ان يشتريه الساكن الجديد وفوق ذلك بعمليات التمليك كل ذلك مع انخفاض مستوى السكن وانخفاض الملاءمة الصحية فى المساكن الجديدة .

أما فى الاحياء القديمة فى القاهرة فان عمليات الهدم والبناء تزيد فى تشويه المدينة وازالة طابعها التاريخى ومع زيادة ثمن الارض بارتفاع المساكن المتعددة الادوار المبنية بالاسمنت المسلح تكاد تتحول الى ركام حجرى غير صالح للسكنى . ومن الغريب حقا صدور قرار اباحة البناء فى تلك الاحياء بعد أن كان توقفه اجراء لابد منه للاحتفاظ بمستوى صحى لايمكن عزله عن الكثافة السكانية فى هذه المناطق .

والملاحظ ان من لديهم الاموال يفضلون ان يهدموا المبانى القديمة ويبنون محلها مبان حديثة ويبدو ذلك اكثر ربحا من الناحية الرأسمالية حيث يتمتعون بارتفاع ثمن الارض التى يقدر على اساسها التكلفة الكلية للمبنى ثم الايجار وفى ذلك يجدون ان قانون المبانى فى خدمتهم وهم لا يبنون بنفس القدر فى مدينة نصر مثلا حيث الارض ما زالت رخيصة وخالية .

وعلى الرغم من الفائدة الرأسمالية المتحققة لهؤلاء الرأسماليين بما يزيد ارباح استثمارهم ويضاعف ثرواتهم فى المضاربة على الاراضى فلا شك ان كثيرا من عمليات الهدم .فيها خسارة على الاقتصاد القومى باتلاف أصول موجودة وصالحة للاستعمال لفترة قادمة .

كذلك فان هذه العملية تدمر أى امكانية لتخطيط المدينة فبدلا من انتظار هدم مبانى مدة عشر أو عشرين سنة سوف نواجه بمبانى فاسدة قبيحة ضيقة وشوارع ضيقة ومختنقة تحيطها حوائط الاسمنت المسلح لمدة مائة عام .

غير أن ثمن الارض لايرتفع فى وسط القاهرة فحسب وهو لايرتفع فى

الاحياء التى تزداد الكثافة السكانية فيها فقط بل ان ارتفاع ثمن الارض وصل الى أطراف المدينة والاراضى التى يمكن ان تدخل فى نطاقها . ولقد صار شراء الارض المخصصة للبناء أو التى يمكن أن يصلها العمران من أوجه الاستثمار التى يتهافت عليها من يملكون قدرا من المال وليست قضية أراضى الاوقاف فى أطراف القاهرة بالقضية التى يمكن تغافلها .

ولا يمكن عند مشاهدة هذه الظاهرة ان نعزلها عن بعض العوامل التى هى بالقطع مسببا لها . ولا شك ان أول هذه العوامل هو توفر كميات من المال لدى الكثيرين نتيجة للدخول التى لايمكن وصفها الا بالطفيلية والناتجة من حالة التضخم المنعكس فى اسعار كثير من السلع والذى يحقق من ورائه الكثيرون دخولا كبيرة فى حركة التجارة الداخلية .

وفى الوقت الذى ترتفع فيه الاسعار وتقل القيمة الشرائية للنقد بحيث يقول بعض الخبثاء ان الزيادة فى قيمة شهادة الاستثمار التى تصل الى ١٦٥ ٪ من قيمتها الاصلية بعد عشر سنوات ، هذه الزيادة تقل عن الانخفاض فى سعر العملة المتوقع فى هذه الفترة . واذا كان صغار المدخرين يجدون ملاذا فى شهادات الاستثمار بأنواعها المختلفة فان من لديهم نقودا أكثر يتوجهون للمضاربة فى العقارات وأراضى البناء . وهى نوع من الاستثمار لمن لديه القدرة على الانتظار ، دون الحصول على ربح نقدى عاجل ، لا يكاد يضارعه شىء آخر .

ومن الغريب ان ترك هذه الفوضى فى مجال الاسكان يتم تحت دعوى تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار فى البناء . ولعل أى مراجعة للتسهيلات المعطاة للقطاع الخاص فى هذا المجال تبين ان القروض المنخفضة الفائدة التى يحصل عليها سواء من مؤسسة الاسكان أو البنك العقارى والتى تتراوح فائدتها بين ثلاثة وستة فى المائة والتى تصل الى ما يزيد عن نصف قيمة البناء تجعل القطاع الخاص قادرا على استخدام المال العام فى تمويل مبانيه وبيعها سواء لمستثمر آخر أو بتمليك الشقق وخصم الكمبيالات المستحقة فى الحالين والخروج بربح باهظ .

ولعل القائمين على هذه العمليات لديهم القدرة على حصر المستفيدين منها واظهار كيف ان المال العام يستخدم لزيادة ثروات افراد قلائل تحت شعارات حل مشاكل الاسكان ويجب علينا أن نتساءل كيف لا تستخدم هذه الامكانيات المعطاة من المال العام للقطاع العام نفسه دون السماح بذلك الاستحلاب للمال العام .

ولعل من الواجب أن نتساءل أيهما أقل تكلفة اجتماعيا وبالنسبة للشعب العامل الذى يفترض انه يسكن المساكن التى يجرى بناؤها ان يقوم القطاع العام بتنفيذ خطط الاسكان أو أن يعطى القطاع الخاص الاموال العامة لاستخدامها بهذه الصورة من أجل الربح .

على ان هــــــذا يجرنا الى مسألة شركات المقاولات فى القطاع العام وأسلوب عملها والمقاولات المعطاة من الباطن للمقاولين من القطاع الخاص الذين رفع لهم أيضا الحد الاقصى للمقاولات التى يمكن أن يقوموا بها غير ان تلك قصة على ما فيها من اثارة لها مجال آخر .

ولا ريب ان اتجاه الدولة الى اقامة مصانع المساكن الجاهزة خطوة اساسية وحكيمة وهى بداية طريق حكيم لحل أزمة البناء فى مصر وارجاع القطاع العام الى مكان القائد فى هذا المجال وضـمان للشعب العامل ان يحصل على مساكن جيدة فى فترة معقولة وتكلفة فى طاقته .

وتحت شعار جذب مدخرات القطاع الخاص يروج البعض لبيع أراضى البناء المملوكة للحكومة . بالطبع سوف لا نتناول مســـاحة الحدائق والمتنزهات ونسبة المساحة الخضراء لمساحة المدينة فى القاهرة فلكم بكى النـاس وتباكوا على حديقة الازبكية ولكم تحدثوا عن العداء للاشجار والازهار بين المسئولين فى تلك الدوائر التى تتحكم فى أراضى الدولة ، **غير اننا يجب ان نتساءل أين هى المدخرات المزمع استثمارها فى شراء اراضى البناء الحكومية واذا كان البعض يغتبط ببعض الملايين أو عشرات الملايين التى سوف تحصل عليها الحكومة أو محافظة القاهرة من ثمن هذه الارض فان ذلك سوف يدفعه الساكنون فى هـذه المناطق عند بنائها . ولعل من المناسب أن نتساءل من لديه القدرة على شراء هذه الاراضى وهى على مستوى الاسعار الحالى سوف يتراوح سعر المتر المربع فيهـا بين المائة جنيه والخمسين جنيها أو نحو ذلك وهـذا الشارى لتلك الارض من أين له ثمنها . ولست أعتقد أن من يدخرون بين العاملين أيا كان مستواهم بقادرين على ذلك انما سوف يشتريها الذين حصلوا على أموالهم من نشاطات آن الاوان أن يطبق عليها أيضا القانون الذى يسميه عامـة الناس ((من أين لك هذا ؟)) .**

ولا شك ان ترك الحبل على الغارب للنشاط الراسمالى فى مسـألة الاسكان لا يمكن الا ان يزيد حيـاة النـاس عنتا وارهاقا . ولست اعتقد

ان ذلك مما يتفق مع سياســة الدولة فى مصر . فسواء أدركنا ذلك أم تغافلنا عنه انما نحن بذلك نسمح لمزيد من الدخول الطفيلية وزيادة اتساع ونشاط فئات اجتماعية تتناقض مصالحها مع مصالح الشعب العامل . ولا يمكن حتى فى مشكلة الاسكان أن نتغافل عن المصالح الطبقية لجماهير الشعب العـــامل .

واذا كانت بلد مثل انجلترا ترتفع فيهـا شـعار تاميم أراضى البنـاء فمن باب أولى ان نتدارس نحن فى مصر ـ ونحن نعرف حالنا ونعلم كم هو مثقل اقتصاديا باعباء التنمية ومصاريف الحرب ضـــد الاستعمار والصهيونية ـ تلك المشكلة بما لايزيد متاعب الشعب العامل لصالح فئات اجتماعية ضيقة . فنحن على اى حال ليس فى اقتصــادنا القدر من البحبوحة الذى يوجد فى الاقتصاد البريطانى ونحن لا نسمح كما يسمحون فى بلادهم بوجود المستغلين وتزايد نشاطهم .

ومن الجلى ان تلك الظواهر مجتمعة تؤثر على حياة فئات يزداد اتساعها يوما بعد يوم والذين يدفعون خلو الرجل فأغلبهم يعتصر ذلك من رزقه وقوته أما عمليات تملك الشقق فقد خرجت أكثر فأكثر عن طاقة أعلى فئات العاملين فى الشعب العامل فمن له قدرة على سـداد ما يصل الى اثنى عشر أو عشرين الف جنيه نقدا أو بالتقسيط .

فى هـذا الجو لم يكن مستغربا أن تظهر المشاريع الغريبة عن بنـاء العمارات ذات الستين والسبعين «دورا» ويخطط للاستيلاء على رئات القاهرة متنفساتها . ولقد كان قرارا حكيما حقا ذلك الذى أصدره مجلس الوزراء بأن لا يصدر ترخيص بمثل هذه المبانى الا من وزير الاسكان .

كذلك فقد وصلنا الى المرحلة التى أصبحت فوضى الاسكان لا يحلها الا النظر فى بناء مترو الانفاق ولـكم كان يسعدنا حقا أن نتمكن من ذلك غير ان مثل هـذه المشاريع ذات الضخامة يجب النظر فيهـا بحذر شديد فان شبكة مترو فى القاهرة تكلف اليوم قدر تكلفة السد العالى أو قدر تكلفة مجمع الحديد والصلب مع الفـارق فى الناتج القومى المتحقق فى الحالين ويجب أن ندرك ان مثل هـذه المشاريع مرتبطة فى أى بلد بمستوى التقدم التكنيكي والصناعى وانه ليس دون بناء قاعدة قوية وواسـعة ومتقدمة من الصناعات الثقيلة يمكن بناء مثل هـذه المشـاريع الا اذا أردنا أن نرهق اقتصــادنا فوق ارهاقه وننفق ناتجنا القومى قبـــل الحصـــول عليه .

ولقد آن الاوان أن ننظر الى مشكلة الاسكان نظرة جديدة .

نريد أن ننظر الى مشكلة الاسكان كجزء متكامل مع تطور مجتمعنـا الصناعى الجديد وفى ذلك فيجب ان تتدخل الدولة تدخلا جديا فى التوزيع

السكاني للمدن . وكـكل مشكلة فان مشكلة الاسكان لها جانبها العلاجى وجانبها الوقائى .

ان بناء التجمعات السكانية بجوار التجمعات الصناعية لازمة لا مفر منها وليس من المصلحة التغافل عن هـذه المشكلة بالنظر فى شكل ميزانيات الاستثمار فى الصناعات الجديدة بل يجب ربط الاستـــثمار فى المشاريع الجديدة بمشاريع الاسكان اللازمة لها . وفى ذلك تخفيف لازمة المواصلات والاسكان معا .

ويجب ان ندرك ان الاسكان هو نوع من الاحتيـاج الانسـانى الذى لايمكن تركه مجالا لنشاط رأس المـال من أجل الربح بل هو مسئولية على الدولة . وهى قادرة بالوسـائل المتوفرة لديها من قبض الائتمان وجذب المدخرات ومحاصرة الدخول الطفيلية ان يكون فى حوزتها هى دون الفئات المستغلة القدر من المدخرات التى توظفه فى الاسكان بقدر الطاقة طبعا .

ان الدولة لديها القدرة أن تجذب المدخرات برفع فائدة السندات مثلا فكل قرش تحصل عليه هو زيادة فى احكام سيطرتها على التضخم وزيادة فى قدرتها على الاستثمار . ويجب ان يقتنع صغار المدخرين ان أحسن استثمار لمدخراتهم شراء سندات الدولة مع زيادة الحد الاقصى لما يتملـكه الفرد من هذه السندات .

ومن ناحيـــة اخرى فان الذين حصلوا على ثروات بغير وجه حق مستغلين ازمات التموين ونقص السـلع والمقاولات المريبة الى غير ذلك ، فيجب أن يشملهم قانون من أين لك هذا . فلا معنى أن يطبق على العاملين فى القطاع العام والحكومة ولا يطبق على غيرهم فليس المرتشى فقط هو الذى حصل على مال دون وجه حق ولعل الراشى فعل كمثله واكثر .

ويجب النظر فى قوانين الملـكية الخاصة بأراضى البناء واذا لم تكن نرفع الشعارات التى ترتفع فى بريطانيا فلا أقل من أن يرجع الى الدولة حق الرقبة فى هذه الارض ويترك لحائزيها حق الانتفـاع . فلا بيع ولا شراء فى أراضى البناء دون ارجاعها الى الدولة أولا .

بمثل هذه الاجراءات يمكن تخطيط الاسكان تخطيطا لا يخضع الا لصالح الشعب العامل وتصبح المعالجة العلمية للمشاكل الاسكانية ذات موضوع.

حركة التحرر الوطنى والنضال ضد الامبريالية



بقلم : ف . كودريافتسيف

واخيرا ، وبعد مباحثات وصراعات امتدت لاكثر من ثلاثة شهور قررت حكومة البرتغال الانتقالية الاعتراف بحق شعوب المستعمرات البرتغالية فى افريقيا ـ غينيا بيســاو وجــزر الراس الاخضر وانجولا وموزمبيق ـ فى تقرير مصــيرها والاستقلال وفقا لميثاق الامم المتحدة . وكان ذلك حدثا هاما له مغزاه فى تاريخ البرتغال وتتويجا منطقيا للنضال البطولى لشعوب المستعمرات البرتغالية فى افريقيا .

جاء هذا القرار كنتيجة منطقية للاطاحــة بدكتاتورية كايتانو الفاشية فى البرتغال ولتغير علاقات القــوى لمصلحة الديموقراطية وانهاء الحرب الاستعمارية فى افريقيا . وعندما انهارت الدكتاتورية الفاشية فى البرتغال اعربت القــوى الوطنية فى المستعمرات البرتغالية عن املها فى ان تستخلص الحكومة الجـديدة الاستنتاجات من احداث الفترة الاخيرة ، وفى ان تنهج سياسة فى مستوى المهام التى حـددها شعب البرتغال بعد الاطاحة بالدكتاتورية ، والتى تتلخص فى اشاعة الديموقراطية فى كل نواحى الحياة السياسية فى البلاد .

الا ان هناك عقبات كثيرة على هذا الطريق ، لان الفاشية وانصارها رغم هزيمتهم لم يلقوا السلاح بعد وما زال لهـم نفوذ ، ولن يترددوا فى ان يلجاوا الى الاســاليب الدموية بهدف ايقاف تطور الاحداث فى منتصف الطريق . .

ومن الواجب علينا ألا نغفل أن الانظمة البرتغالية لم تكن مستقلة تماما منذ أمد طويل ، وكانت تعتمد دائما على القوى الامبريالية الخارجية ، ولقد كتب لينين فى كتابه « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » يقول : أنالبرتغال دولة مستقلة ذات سيادة ، ولكنها خلال أكثر من ٢٠٠ عام ، من زمن حرب الوراثة الاسبانية « ١٧٠١ — ١٧١٤ » ، وهى تخضع لحماية بريطانيا . وقد دافعت بريطانيا عنها وعن ممتلكاتها الاستعمارية بهدف تدعيم مواقعها فى الصراع ضد اعدائها » وهذا الوضع لا يزال قائما حتى اليوم ،ولكن يجب أن نضيف الى بريطانيا كلا من الولايات المتحدة والمانيا الاتحـــادية وبعض البلدان الاخرى ، حيث أن البرتغال عضو فى حلف الاطلنطى . والبرتغـال كذلك عضو فى حلف الايبير ، وبناء على اتفاقية ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ يجب عليها أن تقوم مع أسبانيا ، بتنسيق أعمالهما من أجل صيانة مصالحهما المشتركة على أفضل وجه . وخلال الفترة الاخيرة أنشىء « التحالف الشيطانى » بين البرتغال وعنصرى روديسيا وجمهورية جنوب افريقيا .

ولاشك فى أن كل هؤلاء الحلفاء للنظام الفاشي السابق لن يتخلوا عن مواقعهم دون صراع . واذا كانت العناصر الفاشية قد ارتبكت فى مواجهة تمرد ابريل ، فان ذلك لا يعنى استسلامها .

وفى عام ١٩٥٧ نشرت مجلة أفريكان ورلد اللندنية مقالا جاء فيه : « من الواضح أنه فى حالة تحول الحرب الباردة الى حرب ســاخنة ،فان افريقيا الجنوبية ستلقى بكل ثقلها فى الميزان . ويجب على افريقيـــا الشرقية ، انجولا وموزمبيق ، أن تلعب خلال ذلك ، دورا ذا أهميـــة حيوية » وسيكون هذا الدور بالطبع فى مصلحة العنصرية وجميع القوى الامبريالية التى تقف وراءها . ولم يكن من قبيل الصدفة أن افريقيـــا الجنوبية كانت من أوائل من اعترف بالنظام الجديد فى البرتغال . فمن الواضح ان عنصريى بريتوريا يأملون أن تتحول الاحداث الى صالحهم . وكما ذكرت وكالة فرانس بريس ، فان افريقيا الجنوبية مازالت تعــد الى الان مخططات لاقامة حلف فى جنوب افريقيا تحت قيادة بريتوريا يجب أن تجر اليه روديسيا وليسوتو وبوتسفان وسفازيليند والملاوى . ويحلم العنصريون فى أن يجروا الى فلكهم أنجولا وموزمبيق كذلك . وتشـــير الوكالة قائلة : « ان بريتوريا ترى منذ زمن بعيد أن الحكومتين المركزتين القويتين لسالازار وكايتانو فى لشبونة تعيقان انشاء مثل هذا الحلف ، أكثر مما تساعدان عليه » . ولهذا ، فان تحول موزمبيق وانجولا خاصة الى النمط الروديسى يعتبر خطرا واقعيا تماما . ولقد تشكلت فى موزمبيق منظمة للمستوطنين البيض تسمى فيكو ، اى « الجبهة المستقلة للتضامن مع الغرب » . ولو أخذنا فيكو ككلمة مستقلة ، فانها تعنى « أنا باق » . والى جانب فيكو ، يظهر فى موزمبيق وانجولا العديد من المنظمات التى تفوح منها رائحة الاستعمار الجديد والتى تضع هدفا لها اقامـــة شكل استعمارى جديد للحكم فى هاتين المستعمرتين .

وهناك انطباع بأنه لاتوجد بين قادة البرتغال الحاليين نظرة واحدة الى مستقبل المتلكات الافريقية . فالى جانب انصار الحل الجذرى لمعضلة المتلكات الافريقية ، يوجد الى الان من لايزال يتصور المتلكات الافريقية بالشكل الذى أوحت به نظرية « لوزو ــ ترويبكاليزم » الرجعية . وهكذا ، فان اليد الماهرة لعالم الاجتماع البرازيلى الرجعى جيليبيرتو فريرى قد جعلت من المستعمرين البرتغاليين مهيئين بشكل خاص للتكامل مع الوسط الاجتماعى للمنطقة الاستوائية . ولهذا ، فهم مدعوون ، كما يزعم ، الى أن « يثقفوا » الشعوب الاخرى التى تعيش فى المنطقة الاستوائية « كما هو معروف فان للبرتغال مستعمراتها لافى افريقيا فحسب ، بل وفى اسيا » ، اى أن يغرسوا « حضارتهم » . وحينما يؤكد بعض ممثلى النظام الجديد فى لشبونة أنه من السابق لاوأنه منح الاستقلال للمستعمرات الافريقية حيث أنها لاتزال ، كما يزعمون ، غير مستعدة له تماما ، فان هذا مجرد تأكيد على أنهم لايزالون أسرى لهذه النظرية المتهافته . ويقترح الجنرال كوستا رئيس الاركان البرتغالى ، معتمدا على هذه « النظرية » ، على جميع الوطنيين الخروج من المخابىء والقاء السلاح ليساهموا مع المنظمات الاخرى فى الحياة السياسية ، وليبرهنوا على أنهم « يمثلون فعلا الارادة الحقيقية » لشعوبهم . أليس من الواضح ان هذا الحل للمسألة يعنى استسلام الوطنيين الذين ناضلوا طويلا والسلاح بأيديهم فى سبيل الاستقلال والذين كانوا احدى القوى الرئيسية التى أدت الى انهيار النظام الفاشى .

قبل تعيين الحكام البرتغاليين الجدد فى انجولا وموزمبيق قيل لهم ، وان كان ذلك بصورة مبهمة ، انه لتقرير مصير المتلكات الافريقية للبرتغال يجب اجراء استفتاء دون الاعتراف المسبق بحق الانجوليين والموزمبيقيين فى الاستقلال السياسى . وان استفتاء يجرى فى ظل وجود قوات مسلحة برتغالية ضخمة وادارة برتغالية ومنظمات عنصرية للمستوطنين البيض فى انجولا وموزمبيق لايمكن بحال من الاحوال أن يعبر عن المطامح الحقيقية للاكثرية الافريقية ، ولاسيما وان فكرة اقامة اتحاد فيدرالى تقض مضاجع بعض الشخصيات البرتغالية .

وتعير منظمة الوحدة الافريقية اهتماما فائقا لقضية استقلال المستعمرات البرتغالية فى أفريقيا . وقد بحثت هذه المسألة فى الاجتماع الحادى عشر للبلدان الاعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية الذى اجتمع اخيرا فى مقديشيو . وتبنى الاجتماع بيانا خاصا يعلن فيه المشتركون عن دعمهم الشامل لنضال شعوب المناطق الخاضعة لحكم البرتغال فى الحرية والاستقلال . ويشير البيان الى أن الحل الوحيد للمشكلة الاستعمارية لدى البرتغال هو منح الاستقلال لشعوب انجولا وموزمبيق دون قيد أو شرط ، وكذلك الاعتراف باستقلال غينيا بيساو .

ويشير قادة الحركات التحررية الافريقية الى أنهم مستعدون لحل مسألة العلاقات الافريقية ــ البرتغالية عن طريق المفاوضات السياسية ، لاعن

طريق القوة المسلحة . الا أنه بتحقيق ذلك كان من الضرورى قبل كل شىء اعتراف البرتغال بحق شعوب انجولا وموزمبيق وغينيا بيساو فى الاستقلال .

وقد أجرى م . سواريز وزير خارجية البرتغال مفاوضات مع ممثلى غينيا بيساو فى لندن ، أول الامر ، ثم بعد ذلك فى الجزائر ، وتوقفت المفاوضات دون أن تسفر عن شىء ، رغم أنها ساعدت على توضيح وجهة نظر كلا الجانبين . وجرت محاولة للمفاوضات فى موزمبيق ، رغم أنها لم تؤد هناك أيضا الى أية نتائج . وهذه القضية ، بالطبع ، معقدة وصعبة وتتطلب وقتا معينا ، شأنها شأن تدعيم الاسس التقدمية فى البرتغال نفسها ، وكما أعلن الفارو كونهال السكرتير العام للحزب الشيوعى البرتغالى فى حديثه « فان عملية المفاوضات قد بدأت تصطدم بالصعوبات ولاشك ولكننا نعتبر أن القضية تتقدم بنجاح فى اتجاه الحل المعقد للغاية »

وأدلى وزير خارجية البرتغال بعد ذلك بتصريح مفاده أن البرتغال الجديدة تنوى السير فى طريق تنفيذ قرارات الامم المتحدة والخاصة بمنح الاستقلال للبلدان المستعمرة والتابعة .

ولم يكن القرار الذى صدر فى لشبونة بمنح المستعمرات البرتغالية فى افريقيا حق تقرير المصير والاعتراف بحقها فى الاستقلال بالقرار السهل أو الذى اتخذ بطريق الصدفة ، وانما هو قرار اكتنفته عديد من المصاعب ليس فقط من زاوية العقبات السيكولوجية وانما أيضا تلك التى تمثلت فى معارضة الدوائر اليمينية التى ما زالت تحاول تفجير أزمة سياسية جديدة فى البلاد . وقد انتهى التطور التقدمى لسياسة لشبونة الجديدة تجـــاه افريقيا بقفزة كيفية منطقية . أن القوى الديموقراطية فى البلاد هى التى انتصرت ، والاحزاب التى تتكون منها الحكومة المؤقته ، بما فيها الحزب الشيوعى ، كانت تنادى منذ البداية بحـــل مشكلة المستعمرات بمنحها الاستقلال .

ولكن ربما كان علينا أن نتحدث على نحو أكبر من ذلك عن انتصارات حركات التحرير الافريقية والدول المستقلة فى القارة ، ومنظمة الوحدة الافريقية التى اتبعت فى الاونة الاخيرة تكتيكات مرنة للربط بين النضال والمفاوضات ، والبلدان الاشتراكية والبلدان النامية التى قدمت لها الدعم والتأييد الدائم

وزعماء افريقيا المستقلة ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، وحركات التحرر يحيون جميعا موقف الحكومة البرتغالية . وفى نفس الوقت ، فهم يدركون أنه لابد لهم من التزام الحزم فى مواجهة المناورات المحتملة من جانب العناصر الاستعمارية الجديدة التى لن تكف عن محاولة الاســتفادة مما يكتنف عملية نقل السلطة من مشكلات وتعقيدات ، هذه العملية التى يصر الافريقيون على البدء فيها على الفور . واذا حكمنا على مجرى الامور من واقع تصريحات الرئيس سبينولا ، ورئيس الوزراء البرتغالى جونجا ليفنز ــ فلشبونة أيضا مهتمة بذلك . ومن المرجح أن أولى المشكلات التى ينبغى

حلها سوف تكون مشكلة غينيا بيساو التى تم الاعتراف بها بالفعل كجمهورية مستقلة من جانب اكثر من ٨٠ بلدا ، أما الموقف فى موزمبيق ، وفى أنجولا على وجه الخصوص ، فهو أكثر تعقيدا وسوف يحتاج الى المزيد من الجهود الحازمة لتصفية الحكم الاستعمارى بالوسائل الديموقراطية السلمية .

ومن الواضح أن ثمة دور كبير فى المسألة كلها يتوقف على تلاحم حركات التحرر ونضجها السياسى ، وأيضا على الاجراءات الحازمة التى تتخذها الادارة البرتغالية ضد التنظيمات المخربة للمتطرفين البيض فى موزمبيق وانجولا والتى تحاول عن طريق السلاح والمال والتأييد الذى تحصل عليه من جمهورية جنوب افريقيا وروديسيا أن تقاوم تنفيذ الاجراءات المزمع اتخاذها ، وأن تحيط العملية كلها بالخطر .

ولاشك أنه لن يكون من السهل تحقيق هذه الخطط ، ولكن تحقيقها نفسه مسألة لامفر منها . وسوف تصبح موزمبيق وانجولا وغينيا بيساو دولا مستقلة تتمتع بسيادتها الكاملة ، تحكمها الاغلبية الافريقية . ويوضح الموقف الذى تتخذه حركات التحرير أيضا أن السكان الاوروبيين فى هذه الدول ليس لديهم مايخشونه فى المستقبل ، ان حكومتى جنوب افريقيا وروديسيا هما وحدهما اللتان لديهما كل الاسس للتخوف والقلق لان التحولات التى ستشهدها انجولا وموزمبيق سوف تعنى بلا شك انطلاقة جديدة لحركة التحرير الافريقية فى جنوب القارة كلها .

ولكن ماذا يحمل المستقبل فى طياته بالنسبة للبرتغال ؟ ليس هناك من شك فى أن عديدا من المشكلات السياسية والاقتصادية الجديدة سوف تبرز نتيجة لتطور العلاقات مع الاراضى الافريقية . ولكن القضية الاساسية هنا هى أن البلاد تحرر نفسها من نفقات عسكرية ضخمة كانت تمثل حوالى ٥٠٪ من ميزانيتها ، مما سيمكنها من تحسين أوضاع الاقتصاد القومى والموقف المالى . ويبشر الحماس الذى افضى اليه توقف الاعمال العدوانية فى افريقيا بالمزيد من الدعم للوحدة الوطنية التى تؤيد الحكومة المؤقتة و « حركة القوات المسلحة » . ومن الواضح أن عملية مقرطة الحياة الاجتماعية والسياسية قد ازدادت انطلاقا وتقدما بعد هذه التطورات الايجابية .

ان البرتغال تلقى عن كاهلها أغلال العزلة السياسية فى المجال الدولى ، وهى تسعى الى توسيع علاقاتها الاقتصادية وخاصة مع البلدان الاشتراكية ومع الدول العربية والافريقية وتسعى أيضا الى احتلال موقعها الجدير بها فى المجتمع الدولى الذى رفض السياسة الاستعمارية للدكتاتورية الفاشية المخلوعة .

اما الدول المستقلة ، التى ستتمكن البرتغال من أن تقيم معها علاقا تمثمرة متبادلة فسوف تنهض على انقاض الامبراطورية الاستعمارية . كما سيحدد تنفيذ سياسة تصفية الاستعمار ، فى عديد من الجوانب ، مدى امكانية تحقيق نجاح هذا التعاون الذى يتمشى مع المصالح القومية للشعوب الافريقية والشعب البرتغالى فى نفس الوقت .

●

● حركة التحرر الوطنى ●
● والنضال ضد الأمبريالية ●

الفوضى الاقتصادية في شيلي

بقلم : اورلاندو ميلاس

مضى عام الان وشيلى تعيش تحت وطـــاة دكتاتورية ارهابية لاكثر المجموعات عدوانية وتعصبا ورجعية ومعاداة للديموقراطية فى رأس المال المالى ، والتى ترتبط ارتبـــاطا وثيقا بالاحتكارات الامبريالية الضخمة .

وخلال هذا العام سعت الزمرة العسكرية لاغراق البلاد فى حالة من الفوضى ، لا بسبب سياستها الحمقاء فحسب، ولكن أولا بسبب جوهرها الطبقى ذاته ، الذى يحدد كل أوجه نشاطها . والوضع الاقتصادى فى شيلى خير شاهد على اهداف اسياد بينوشيه ، وعلى فساد النظام الحالى .

الوضع قبل الانقلاب

ورثت الزمرة العسكرية اقتصادا اضعفته المؤامرة الرجعية ضد الحكومة الشعبية ، ولكنه كان رغم ذلك اقتصادا ناميا ومتوازنا فى الاساس .

فى ١٧ يوليو ١٩٧١ استولت الحكومة على مناجم النحاس الكبرى : شوكيكاماتا ، والتنينت ، واكسوتيكا ، والسلفادور ، وأنديتا وهكذا انتزعت السيطرة على ثروتنا الطبيعية الكبرى من امبريالية أمريكا الشمالية . وكانت المهمة التالية هى زيادة الانتاج وحل المشاكل التى خلفتها ادارة اليانكى (١) وحلت تلك المشاكل فى عامين بفضل مساعدة خبراء التعدين السوفييت وحماس عمالنا .

وتم خلال ١٩٧١ — ١٩٧٢ نزع ملكية الضياع الكبيرة التى تزيد على ٨٠ هكتاراً من الاراضى المروية ، ووزعت الاراضى على الفلاحين الذين نظموا فى تعاونيات (٢)

ولكى تقضى على احتكار الائتمان استولت الحكومة على بنوك يوجد بها ٩٥٪ من الودائع ، ٩٦٪ من الاصول المالية فى البلاد ، والتى استخدمت فى ذلك الوقت لدفع التنمية الاقتصادية .

واصبح قطاع الدولة فى الصناعة والتوزيع أكثر الاقسام ديناميكية فى اقتصادنا . وضم هذا القطاع اكبر المصانع فى البلاد والتى كانت تملكها الاحتكارات قبل ذلك ، وتنتج ٣٠٪ من اجمالى الناتج الصناعى وتستخدم ٢٠٪ من القوى العاملة القومية .

وخلال العامين الاولين من الحكم الشعبى تضاعف معدل نمو الانتاج تقريبا بالمقارنة مع فترة الحكومتين السابقتين . وخلال العام الثالث أدت « أعمال الاضراب الرأسمالية » فى ارتباطها بالحصار المالى الاجنبى والتخريب الواسع النطاق الى عرقلة التنمية .

وكان شعب شيلى وطبقته العاملة يدركون بوضوح ما أعطته لهم سياسة الحكومة البناءة . وزادت الاجور والمرتبات القومية من ٤٩٪ من الدخل القومى الفترة ١٩٥٩ — ١٩٦٤ الى ٥١٪ فى الفترة ١٩٦٥ — ١٩٧٠ ، والى

---

(١) جبال من الخبث ، والمعدات فى حاجةماسة الى الاصلاح ، ولا قطع غيار ، واستغلال وحشى للمناجم يهدد باستنفادها ، الخ .
(٢) تلقوا ٤٥٪ من الاراضى المروية و ٣٥٪من كل الاراضى المزروعة .

٥٨٪ فى ظل الحكومة الشعبية . والتحق مالا يقل عن ٩٩٪ من الاطفال فيما بين ٦ ــ ١٤ عاما بالمدارس وزاد عدد من تخرجهم المدارس ١٨ر٢ ٪ كما زاد خريجو الجامعة ٣٤ر٩٪ . وانخفض معدل وفيات الاطفـــال بدرجة كبيرة بعد أن قامت الحكومة بتوزيع ٥٠ مليون لتر من اللبن فى العام على الاطفال والامهات الحوامل .

وكانت منجزات الحكم الشعبى ذات اهمية تاريخية ، لكن لم يقدر لها ان تسير حتى نهايتها بسبب التخريب ، والتخريب الاقتصـــــــادى والانحرافات الانتهازية اليمينية و « اليسارية » الواسعة الانتشار .

وكتب رينيه كاستيللو عضو قيادة الحــــزب يقول : « **لقد حرضت الاحــــزاب البرجوازية العمال على تقديم مطالب مغالى فيها املا فى أن يؤدى ذلك الى اضعاف الاساس الاجتماعى للحكومة . والاسوأ من ذلك أن اليساريين المتطرفين ــ بل وعناصر فى الجبهة الشعبية نفســـــها ممن خضعوا لتأثيرهم ــ كانوا يعملون فى نفس الاتجاه . وكانت المطالب تغلف بعبارات ثورية زائفة . وكانت القوى التى تقف خلف ذلك تهتم فقط بمصالحها الحزبية الضيقة وبتوسيع نفوذها . ولم يهتموا كثيرا بانهم بتحريضهم بعض مجموعات من الشعب العامل ضد الحــــكومة انما كانوا يشجعون الانقلابيين .** » (١)

وكانت هناك كذلك مظاهر الانتهازية التالية : الفشل فى العمل بجدية من أجل زيادة الانتاج والانتاجية ، التهوين من شأن التخطيط ، موقف استخفافى من المشاكل المالية ومن تصاعد التضخم . وعاق ذلك نشــــاط الحكومة وساعد الرجعيين فى لعبتهم القذرة .

وتوضح خبرتنا أن الثورة « يمكنها أن تحقق تقدما طيبا اذا ما تدعم أساسها الاجتماعى . ويتوقف ذلك فى الاساس على السياسة الاقتصادية ، فبعد النجاحات السياسية الحاسمة يصبح الاقتصادالمجال الرئيسى للمعركة من أجل انتصار الثورة » . (٢) ان صياغة وتنفيذ سياسة اقتصادية سليمة

---

(١) د. كاستيللو ، دروس وافاق الثورة ، رسالة من شيلى ، قضايا السلم والاشتراكية ، يوليو ١٩٧٤ .

(٢) بونوماريون ، الوضع العالمى والعمليــــة الثورية ، قضايا السلم والاشتراكية ، يونيو ١٩٧٤ .

لفترة الانتقال ، وأشكال وأساليب وسرعة التحولات الاقتصادية ــ تلك هي المشاكل النظرية والعملية ذات الاهمية القصوى لكل كتيبة في الحركة الثورية .

نتائج مباشرة للانقلاب

صاحب الانقلاب الفاشي في ١١ سبتمبر ١٩٧٣ اسراف في أعمال القتل بالرصاص واسراف في طبع الاوارق المالية . فقد قتل الرئيس الليندي وجرى الهجوم على قصر لامونيدا ، والهجمات المسلحة على المراكز الصناعية وعمليات القمع الوحشية ، ومعسكرات الاعتقال والاحكام العرفية . وأغرقت الزمرة العسكرية البلاد كذلك بالاوراق المالية لتمول نظامها الارهابي .

ودفعت الولايات المتحدة للانقلاب بالدولار . دفعت الدولارات لمساعدة أصحاب الشاحنات المضربين ، ولاغراء التكنيكيين والتجار على الاضراب ضد الحكومة الديمقراطية . ودفع لمعظم الجنرالات والادميرالات ٥٠٠ر٠٠٠ دولار لكل منهم ، كما أودعت مبالغ أكبر في البنوك الاجنبية لزعماء الانقلاب . وكوفىء ضباط الكتائب على مستوى أكثر تواضعا . وبشكل عام ، فقد بدأت ١٠٠ مليون دولار تتداول فجأة في شيلي (بالاضافة الى المبالغ التي دفعت لمنظمة الوطن والحرية الفاشية لشراء الاسلحة) وكان لابد من تغييرها بعملة قومية .

وتم ذلك عن طريق مكيدة لا أخلاقية وصلت الى حد الفوضى الموافقة الرسمية على الرشوة الامبريالية . وأعلنت الحكومة « تحرير » الدولار . وكان القانون يمنع بالطبع حيازة أو شراء أو بيع العملة الاجنبية . والان بعد أن الغت الحكومة ذلك ، قامت البنوك بمبادلة الدولارات بسعر تضخمي وصل الى ٨٥٠ اسكودو دون أن يحاسبها أحد . وخلال الاسابيع القليلة الاولى بعد الانقلاب انتقلت ٦٠ مليون دولار الى البنوك ، وكان على الزمرة العسكرية أن تطبع ما قيمته ٥٠ بليون اسكودو جديدة . وجرى ذلك في بلد كان مجموع النقد المتداول فيه في ١١ سبتمبر ١٩٧٣ ٨ر٦٣ بليون اسكودو .

وقامت الزمرة العسكرية كذلك « بتحرير » أصول رأس المال فالماليون الذين شاركوا بدور في الانقلاب وفي التخريب الاقتصادي الذي سبقه ، يمكنهم الآن ان يعلنوا عن « مجمل أموالهم » دون أن يوضحوا من أين جاءت تلك الاموال ودون أن يدفعوا ضرائب عليها .

بيد انه كانت هناك حاجة الى مزيد من الاموال لتحويل الانقلاب ضد شيلي . وبغض النظر عن أي شيء آخر ، زيدت مرتبات كبار ضباط الجيش

عدة مرات واتجه مزيد من الاموال الى الانفاق العسكرى• وكان عجزالميزانية فى ١١ سبتمبر ١٩٧٣ يبلغ ٤٧ر٣ بليون أسكودو لكن فى ٣١ ديسمبر ارتفع العجز بسرعة الى ١١٩ر٦ بليون اسكودو ، وكان على الزمرة العسكريه أن تعوم باصدار ٧٢ر٣ بليون اسكودو اخرى (١) .

لم ير ملوك المال ظروفا أفضل من ذلك • لقد استعادوا الصناعاتالمؤممة التى انتزعت ملكيتها وصودرت • بيد أنهم كانوا يريدون ما هو أكثر من ذلك ، وحصلوا عليه فى شكل الاشراف على البنوك فى البلاد . وفى الربع الاخير من عام ١٩٧٣ زادت ودائعهم ١٠٤٪ • وأصدر البنك المركزىمزيدا من أوراق النقد ، بلغت هذه المرة ٤٠ بليون اسكودو .

وكل ذلك يعادل بالدقة سرقة صريحة للبلاد • وبدأت عملية تضخم سريعة • والشيليون يفضحون برنامج الانقلاب الفاشى ، اذ أن التضخم **كان يعنى بالطبع تخفيض قيمة الأسكودو : فسعر تبادلها مع الدولار ارتفع من ٥٠ فى ١١ سبتمبر ١٩٧٣ الى ١٠٠٠ فى الوقت الحاضر ، أىأن معدل الزيادة بلغ ١٩٠٠٪ • وهذا بالنسبة للدولار الذى يتعرض هو نفسه لضغوط تضخمية .**

وعند كتابة هذا المقال كان فىمتناولنا فقط البيانات الماليه الرسمية حتى ١٨ مارس ١٩٧٤ • لقد تضاعفت كمية تداول النقد الورقى فى ستةشهور (من ٦٣ بليون فى ١١ سبتمبر ١٩٧٣ الى ١٢٠ر٢ بليون فى ١٨ مارس ١٩٧٤) • وفى ظل حكومة الجبهة الشعبية زاد النقد المتداول بأقل من ٢٠٠٪ فى العام ، لكن الزيادة حتى ١٨ مارس ١٩٧٤ بلغت ٤٦١ر٨٪ • وبلغت الاموال الموجودة فى أيدى الافراد وقت الانقلاب ١٢١ر٢ بليونا ، بينما بلغت فى ١٨ مارس ٧٤ ، ٣١١ر٣ بليونا .

واستطاع النظام أن يخفف الى حد ما من الضغط التضخمى بتخفيض شديد لمستويات معيشة الطبقة العاملة والشعب ككل ، وبتحطيم الفئات الوسطى . لكن الضغط لا يزال قائما ، رغم ان الافراد الذين ينتمون لمجموعات الدخول العليا قد ضاعفوا ودائعهم السائلة والاصول القابلة للتحويل • وفى التسعين يوما الاولى بعد الانقلاب ارتفعت أسعار الاسهم ٤٠٠٠ ٪ (٢) .

وهكذا ، تدفع شيلى ثمن الخيانة التى ارتكبها منظمو الانقلاب والتضخم

---

(١) يعدد أحد التقارير الخادعة لمجلس التخطيط بين التطورات السلبية زيادة ٦٨٪ فى النفقات على الخدمات العامة فى الربع الأخير من عام ١٩٧٣ ، ٨٢٪ منها لاصلاح الادارة المركزية والقوات المسلحة وقوات البوليس .

(٢) ويقول تقرير مجلس التخطيط ان ((الاصول الرسمية)) فى القطاع الخاص زادت ١٧٣٪ فى الربع الاخير من عام ١٩٧٣ ، والودائع السائلة ١٢٧٪ ، وسندات البنك المركزى ١٠٧٪

مصدر أرباح اضافية للرأسماليين الكبار. واذا كانت الفاشية جحيما بالنسبة للشعب ، فانها جنة بالنسبة للمضاربين .

سياسة الزمرة العسكرية

الاحتكارات الدولية تزرع الفاشية ، والزمرة العسكرية خادمتهم . لقد أعادت الى اناكوندا وكينيكوت ومديريهم (زوشيفيك على سبيل المثال) المناجم التى أممها الرئيس الليندى وكل تجارة النحاس . ويعنى ذلك التخلى عن التأميم رغم أنهم يتجنبون ذكر كلمة التأميم عن عمد . ويسيطر أناكوندا وكينيكوت كذلك على توريد قطع الغيار ، والمعدات ، ووسائل النقل ، والبترول ، والمواد الاضافية ، والمفرقعات ، وحتى ملابس العمال والاغذية . ويعنى ذلك أرباحا هائلة بالاضافة الى ما يحققونه من المبيعات والنقل والتأميم . ويقدر أن أرباحهم تبلغ ٢٠٪ أكثر مما يدفعون للنحاس

وفى الوقت الحاضر يباع النحاس بأكثر من ٥ر١ دولار للرطل وكان يجب أن يعنى ذلك رخاء اقتصاديا لشيلى (١) . بيد أن الزمرة العسكرية لم تجلب الرخاء لان النحاس امتلكته من جديد الامبريالية الامريكية . وبالاضافة الى ذلك ، وعدت الشركات الامريكية بالتعويض ، رغم ما فى ذلك من انتهاك لقوانين الاصلاح الدستورية التى أقرها الكونجرس بالاجماع

ومع ذلك ، فليست أناكوندا وكينيكوت الاحتكارات الامريكية الوحيدة المستفيدة من الانقلاب . فهناك شركة التلغراف والتليفون الدولية ، ودوكيميكال ، وبيبسى كولا ، التى ترتبط بمجموعة أوجستين ادواردز المالية فى شيلى . وأعيدت الى سيرفيسيرياسى أونيداس كل مصانعها ، أما ستاندرد أويل وتابعتها أسو ، التى ألغت الحكومة الشعبية عقودها ، فيدفع لها الآن مئات الملايين من الدولارات لتوريدات النفط التى تقدمها لشيلى . ويشاع كذلك أنها ستمنح امتيازات نفطية .

ومع الغاء قطاع الدولة ، فقد شعب شيلى أكبر وحدات صناعية ، واصبحت الان فى أيدى مجموعات مالية مثل اوجستين ادواردز ، وبيرانيا ، والبنك المركزى ، وسودأميريكانا ، وماتى السانفرى وغيرهم .

أدى الاصلاح الزراعى فى ظل حكومة الديموقراطيين المسيحيين (١٩٦٤

---

(١) اليكم تذبذب اسعار النحاس ، سنتا للرطل : ١٩٦٥ — ٦٤ر٥٨ ، ١٩٦٦ — ٦٩ر٤٧ ، ١٩٦٧ — ١٣ر٥١ ، ١٩٦٨ — ١٠ر٥٦ ، ١٩٦٩ — ٦٦ر٥٦ ، ١٩٧٠ — ١٠ر٦٤ ، ١٩٧١ — ٢٧ر٤٩ ، ١٩٧٢ — ٥٥ر٤٨ ، ١٩٧٣ — ٨١ . وتدهور اسعار ١٩٧١ — ١٩٧٢ كان يعنى خسارة خطيرة للحكومة الشعبية .

ـ ١٩٧٠) الى نزع ملكية ١٤٠٣ ضيعة ، ونزعت الحكومة الشعبية ملكية ٤٠٧٥ ضيعة أخرى . وعكست الزمرة العسكرية العملية فاعادت كليـة او جزئيا ٢٦٤٤ ضيعة والغت نزع ملكية ١١٠٧ ضيعة اخرى . ويعنى ذلك القضاء على الاصلاح الزراعى واحياء حكم كبار الملاك .

وتحاول الزمرة الفاشية ان تضع أساسا أيديولوجيا لنشاطها . وهى تتلاعب فى خطبها وبياناتها الرسمية بثلاث مفهومات مترابطة : « تكامل المؤسسات » تحت الاشراف المطلق لمالكيها ، كأساس « لمجتمع متكامل » قائم على الحكم المطلق ومن أجل « اقتصاد السوق » ، تضمن ليبراليته السلطة للاحتكارات ، وتتحدث كذلك عن « الطبيعة المساعدة للدكتاتورية ، التى تخدم الطبقة المالكة « القاعدة الاجتماعية » والزعماء العسكريين (القمة) وخلف هذا الكلام تحاول اخفاء طبيعة النظام المرتزقة والمعادية للوطن .

ويتصايح المتحدثون باسم الزمرة العسكرية عن زيادة الانتاج . وتلك مجرد أكذوبة . فحتى أرقامهم الضخمة لا يمكنها أن تخفى تدهور الانتاج. فقد سجلت جمعية تطوير الصناعة (مركز التنسيق بين الصناعيين الذى يسيطر عليه الفاشيون) انخفاضا شهريا فى مبيعات السلع المصـــــنوعة بالمقارنة مع نفس الاشهر من العام الماضى . وأعلن معهد الاحصاء القـومى كذلك . اننا اذا ما أخذنا مؤشر الانتاج عام ١٩٦٨ باعتباره ١٠٠ ، لـكان مؤشر ديسمبر ١٩٧٢ ـ ١٣٢ر٦ ، ومؤشر ديسمبر ١٩٧٣ ـ ١٢٦ر٩ فقط ، وقدر المعهد ان هذا المؤشر بلغ فى مارس ١٩٧٤ ـ ١١٦ر٣ مقابل ١٢٠ر٨ فى نفس الشهر من العام الماضى (١) .

واعلنت الميركوريو جريدة الاحتكارات العالمية فى ٤ يونيو ١٩٧٤ ، ان انخفاض انتاج ومبيعات السلع المصنوعة فى الوقت الحـاضر يؤدى الى فوائض مفرطة فى السلع ، بينما يتضاءل توقع أسعار أعلى للمواد الخام بسبب التخفيض المستمر فى قيمة العملة . ويضع أصحاب المؤسسات تلك العوامل فى اعتبارهم عند تحديد أسعارهم ، وبذلك يعجلون من معدل التضخم ، الذى يتخطى بالفعل الحدود المعتادة ، ويخفض القوى الشرائية بشكل أكثر وضوحا ، مما يؤدى بالتالى الى تضييق السوق بدرجة كبيرة(٢) .

وخلال الصيف الماضى (ديسمبر ـ فبراير) تجنب كثير من الشيليين

(١) فى المؤتمر القومى الثانى للانتاج والتجارة الذى انعقد فى أوائل مايو الماضى فى فالباريزو ، والذى كان بصورة ما تتويجا لما تراه الدوائر الراسمالية فى سياسة الزمرة الفاشية ، قال سيرجيو ديكاسترو ، مستشار وزارة الاقتصاد ، ان التجارة كانت راكدة ومتدهورة ربما بسبب ارتفاع الاسعار . وفى نفس الوقت تقريبا قال اتحـــاد صناعة الاحذية فى شيلى ان انتاج الاحذية لا يتوقع أن يزيد فى ١٩٧٤ عن ٢٧ مليون زوج ، اى بتدهور ١٥ر٦٪ عن عام ١٩٧٣ . ومنذ ذلك الوقت أعلن عن انخفاض جديد فى انتاج الاحذية وغيرها من السلع الاستهلاكية .

(٢) الميركوريو ، ٤ يونيو ١٩٧٤ .

المجاعة فقط بفضل انخفاض نسبى فى أسعار المحصولات الموسمية كالبطاطس والفواكه والخضراوات والبيض . غير أن ذلك أدى الى خراب ما يسمى بالكاكاريروس ، صغار زراع الخضروات ، وصغار ومتوسطى زراع المحاصيل . وتكدست أكوام الفاكهة الفاسدة والبطاطس والبصل على جنبات الطرق ، لان سعرها فى أسواق المدن كان أقل من تكاليف نقلها . وفى الشتاء ، أى بعد يونيو ، يصبح من المتعذر الحصول على تلك المنتجات . ولذلك فسوء التغذية يتخذ أبعادا خطيرة .

لقد سيطرت الاوليجاركية المالية على الزمرة العسكرية وهى تحدد السياسة التى يجب أن يسير عليها الجنرالات والادميرالات فى المجال الاقتصادى . وهى ترفض خفض الاسعار الحقيقية ، متوقعة «موازنة» الاوضاع بخفض الانتاج ودفع المؤسسات الاضعف الى الافلاس . وفى سبتمبر ١٩٧٣ زاد التضخم وهو ينطلق الآن بمعدل مرتفع فى ظروف « اقتصاد السوق » التى خلقتها الاحتكارات .

افقار من يحصلون على أجور وخراب الفئات الوسطى

منذ سبتمبر ١٩٧٣ تقلص سوق شيلى الداخلى بدرجة كبيرة . وكرس أقطاب المال الاموال وزادت القدرة الشرائية لبعض رجال الجيش . بيد أن الغالبية الساحقة قد انحدرت الى هوة الفقر كما يشهد على ذلك التدهور المريع فى الوفاء بالديون .

والضحية الاساسية للنظام هى الطبقة العاملة ، التى تتحمل عبء الازمة . ولقد اختار الفاشيون أن يوازنوا التضخم بافقار البروليتاريا . وهكذا تستعبد البروليتاريا وتتحمل أعباء التضخم .

وتواصل الاسعار الارتفاع . وباستثناء كبار ضباط الجيش والبوليس تزداد الهوة اتساعا بين الاجور والمرتبات وبين الاسعار (١) . وزاد سوء الكارثة أن أكثر من ٦٠٠٠٠٠ شخص أصبحوا بلا عمل . وتستمر عمليات

(١) قام مركز الجامعة الكاثوليكية للابحاث الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والانسانية فى بيرو ، فى مايو الماضى ، بنشر تقرير ميشيل شيسودوسكى حول اعادة توزيع الدخول فى شيلى . ويقول التقرير بين اشياء اخرى : « طبقا للارقام الرسمية لمعهد الاحصاء القومى ، ارتفعت أسعار السلع الاستهلاكية فى شيلى ١١ ضعفا تقريبا من يناير ١٩٧٣ حتى مارس ١٩٧٤ بينما بلغت الاجور والمرتبات فى يناير ١٩٧٤ ٤٠٠٪ فقط عما كانت عليه عام ١٩٧٣ . ووفقا لتقديراتنا فان أسعار المواد الغذائية فى مارس ١٩٧٤ فاقت متوسط مؤشر ١٩٧٢ حوالى ٣٤ ضعفا » . ويوضح التقرير أن القدرة الشرائية للعائلات المنخفضة الدخل قد انخفضت ٤٨٪ فى اكتوبر ١٩٧٣ ، واكثر من ٦٠٪ فى يناير ١٩٧٤ . وبلغ الانخفاض بالنسبة للعائلات المتوسطة الدخل ٧٥٪ وللعائلات المرتفعة الدخل ٦٠٪

الفصل . وفى ٦ يونيو امر الطاغية بينوشيه بخفض عدد موظفى الحكومة حوالى ٢٠٪ قبل نهاية العام .

ووصفت الصحيفة الايطالية بايز سيرا أعمال الزمرة العسكرية بانها « ابادة للجنس عن طريق الجوع » . ان تحريم النقابات ، والارهاب المستمر والقضاء على كافة الحقوق الديموقراطية هى فى الحقيقة أدوات لهذه الابادة . بيد أن الطبقة العاملة الشيلية ترفع صوتها احتجاجا وتقاوم النظام بطرق مختلفة .

لقد وعد الزعماء الفاشيون بتشكيل منظمات جماهيريه « كجزء من الحركة المدنية العسكرية القومية » . وحاولوا اشباع نموذج هتلر وموسولينى التقليدى ، لكنهم فشلوا . وادت نتائج سياستهم الى شعور الفئات الوسطى بالغربة ، وهى التى رحبت أقسام هامة منها فى البداية بانقلاب ١١ سبتمبر : لقد تعلموا بسرعة من خبرتهم النتائج المؤلمة للسياسة الفاشية .

وبناء على الاوامر العسكرية حل الاتحاد القومى لصغار المزارعين ، وأدمج فى اتحاد المزارعين الذى يسيطر عليه كبار الملاك ، والذى صرح نائب رئيسه أولبيانو فيلالوبوس فى حديث له الى الصحيفة الفاشية **تيرسيرا ديلا أورا** ، فى ٤ أبريل ، بأن « ٥٠٪ من صغار متوسطى الملاك يتعرضون للخراب فى الوقت الحاضر . ومن المستحيل مواجهة التضخم المتعاظم والاستمرار بدون سلفيات » .

وتواجه الكوميونات ، ومستوطنات الهنود ، والكاكاربروس ، والكولونز والفلاحون ، الذين حصلوا على أراضى فى ظل الاصلاح الزراعى ، مصاعب أكبر . لقد أمرتهم الزمرة العسكرية بدفع ١٤٠ ضعف قيمة الارض لعام ١٩٦٥ . وهناك كذلك الضرائب العالية واعادة تقييم الديون بشكل مستمر .. وفى معظم الحالات ، يعجز الناس عن الدفع ويفقدون مزارعهم .

وكانت الصناعات الصغيرة والحرف بين أول ضحايا السوق المتقلصة . لقد أغلقت معظمها أبوابها . وأصحاب الحوانيت ، أيضا ، على حافة الافلاس . فكثير منهم عاجزون عن تجديد تراخيصهم ويهجرون التجارة . وفى منطقة فالبريزو وحدها سجلت ٤٠٠ حالة افلاس خلال الشهور الاخيرة .

لم تواجه شيلى من قبل مثل هذا الخراب . وسوف تتضح نتائج سوء التغذية فيما بعد . والعائلات المنخفضة الدخل (وهى الغالبية اليوم) التى لم يفقد عائلوها وظائفهم تنفق ٤٠٪ من دخلها على الخبز وحده .

ومات الكثيرون من برد الشتاء القارس فى شيلى . وكثير من المناطق

الريفية والمدن والاحياءالسكنية قد هجرت ، وفى الغالب بسبب جو الخوف الذى ولدته أعمال القمع والارهاب وتحطيم التنظيمات الجماهيرية والسلطة الديموقراطية . ان الفاشيين يشنون حربا شاملة ضد الشعب .

وكما سبق أن قلنا ، لم يتوان الحكام الجدد عن القضاء على قطاع الدولة . وبعد اعادة المؤسسات المؤممة الى رأس المال الاحتكارى تصرفوا فى مؤسسات قطاع الدولة العديدة . وعرضت للبيع عرباتها وآلاتها الكاتبة وأثاثها . وأغلقت المدارس والمستشفيات . وأمرت الجامعات بتحصيل مصاريف التعليم ودفعها للدولة .

بيد أن أسوأ ما فى الامر كان فقدان البلاد لاستقلالها القومى . لقد حذر سلفادور الليندى ، حينما كان يتحدث الى الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٤ ديسمبر ١٩٧٢ ، من « الصدام المباشر بين الاحتكارات المتعددة القومية وبين الدول » . فقرارات الدول حول المسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية تتأثر بالاحتكارات التى تتخطى حدود البلدان والمستقلة عن أى دولة . ونشاط هذه الاحتكارات غير خاضع لرقابة أو اشراف اى برلمان او أية مؤسسة جماعية تمثيلية . وباختصار ، فان الهيكل السياسى العالمى يتعرض للضعف » . وبعد ذلك بتسعة شهور مات الليندى ميتة الابطال فى المعركة دفاعا عن سيادة شيلى . وضد الليندى وضد شيلى حركت الاوليجاركية المالية عصابة لاتعرف رحمة من رؤساء الجيش والخونة المرتزقة الذين يذكروننا بالعصور الوسطى .

وانهيار الاستقلال القومى وانكار حق الشعب فى حكم نفسه ليس مجرد خسارة لكثير من قيمنا القومية ، لكنه فى نفس الوقت ضربة قاتلة موجهة ضد اقتصاد البلاد . فالمشاريع التى بدأتها حكومة الوحدة الشعبية بالمساعدة السخية للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وفى كثير من الحالات ، كذلك بالتعاون مع الدول الرأسمالية قد عطلت لصالح الاحتكار الامبريالى ، رغم أنها كانت استثمارات من نوع جديد تهدف الى تنويع اقتصاد شيلى .

وفى يوم ١١ يوليو ، يوم الاحتفال بذكرى تأميم النحاس ، الذى يعتبر يوم الكرامة القومية ، شكل بينوشيه وزارة عسكرية جديدة ، والشىء الوحيد الجديد فى ذلك هو وجود «مراقب اقتصادى» أمريكى هو راؤول سيس « الاخصائى الكبير » لعصر التحالف من أجل التقدم والشخص العاجز تماما ولكنه واسع النفوذ ووقع بينوشيه وسيس « ميثاق استثمار» وهو اتفاق حقير ومخزى يمزق اتفاقيات مجموعة الانديز ، ويفتح شيلى لرأس المال الاجنبى الاستغلالى ، ويضمن تصدير الارباح بلا جدوى . ويعلق الفاشيون آمالهم على الاستثمار ، مثل زملائهم فى جنوب فيتنام التى تهدف الى النهب السريع .

وربما كانت موافقة نادى باريس على تاجيل دفع الزمرة الفاشية ٩٥٪ من الدين الخارجى للبلاد من اكثر الاعمال المشينة « للمساعدة » الامبريالية وهى تضع ٦٠٠ مليون دولار اضافية تحت تصرف الزمرة العسكرية فى الوقت الذى ترتفع فيه أسعار النحاس . بيد أن ذلك لن يمكن للنهب الامبريالى ، ولن يؤدى الى استقرار الاقتصاد المترنح .

***

هذه السياسة الاقتصادية البشعة ستنهار مالم يسندها حكم الارهاب. انها متعارضة مع مصالح وحاجات ومطامح الغالبية الساحقة للامة وتمثل كارثة للطبقة العاملة ، والفلاحين ، والفئات الوسطى ، والمثقفين ، والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة . وبالاضافة الى ذلك فانها تمسخ الحقوق الاولية للبشر . ومع ذلك فانها بطبيعتها تساعد موضوعيا على قيام تحالف ديموقراطى بين الطبقة العاملة وبين فئات عريضة ، تحالف بين الاتجاهات الاجتماعية والايديولوجية والاحزاب السياسية .

وأحد العوامل الحاسمة هو تضامن كل القوى الشريفة فى جميع أنحاء العالم ، بما فى ذلك حكومات ، وتنظيمات جماهيرية ومؤسسات وشخصيات ديموقراطية . وترتبط قضية شيلى بأنبل القيم الانسانية . فالحرية لاتتجزأ . والخطر الذى أحدق بمدن شيلى وقراها فى ١١ سبتمبر ١٩٧٣ ، يحوم كذلك حول شعوب أخرى . وتقف الطبقة العاملة فى جميع القارات فى طليعة حركة التضامن مع شعب شيلى .

ان الحزب الشيوعى فى شيلى يناضل ببطولة متحديا التعذيب والموت . انه يواصل عمله ، رغم أن كل هيئاته القيادية وفروعه تعمل فى ظروف بالغة السرية . كما أن عناصر أخرى فى كتلة الاتحاد الشعبى تعيد تنظيم صفوفها . وتوضح الخبرة أن العدو يستفيد من ذلك الازدواج الذى شوش التحالف من قبل نتيجة للانحرافات الانتهازية اليمينية و «اليسارية» ، وخاصة انحرافات اليسار المتطرف .

والوحدة الاخوية بين الشيوعيين والاشتراكيين الذين يقاومون النظام لم تكن أبدا مثلما هى عليه اليوم . ان البيان التاريخى للجنة السياسية للوحدة الشعبية فى عيد أول مايو ، الذى لقى استجابة واسعة ، توجه الى الشعب قائلا : **« هناك طريق واحد فقط للرد على التحدى الذى يواجه شيلى : اقامة جبهة عريضة معادية للفاشية تتسع لكل المواطنين نساء ورجالا من أمتنا ، جبهة تقوم بالاطاحة بالدكتاتورية ، وتستعيد الديموقراطية وتتبع طريق التحولات الثورية من جديد وهى تحظى بمساعدة غالبية الامة » .**

●

● كاريكاتير ●



بنتاجون: ديون ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار، لك يا غالي تنازلت عن ديوني.
ف. تشيرنيكوف



إسرائيل لجنوب أفريقيا.. فلنغير مواقعنا
جر. أوجانوف

●●●

سمك مرشد.

ف. تشيرنيكوف



أمريكا اللاتينية..
فى طريقها إلى سياسة خارجية مستقلة

بقلم : خايمه شميرجيلد

من بين القضايا التى يجرى حولها الصراع بين قوى التقدم والرجعية فى القارة الامريكية ، السياسة الخارجية التىستنتهجها بلدانامريكا اللاتينية فى السنوات القادمة . وعلى نتيجة هذا الصراع سوف تتوقف مساهمة امريكا اللاتينية فى اعادة تشكيل العلاقات الدولية فى جو الانفراج .

والسياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى والبلدان الاخرى الأعضاء فى أسرة الدول الاشتراكية مثال لكل دولة ديمقراطية محبة للسلام . وتبين العلاقات بين البلدان الاشتراكية الشكل الذى يمكن وينبغى ان تكون عليه العلاقات بين الدول اليوم . وتنسيق السياسات الداخلية والخارجيةللبلدان الاشتراكية يساعدعلى أكملتطبيق لمبادىء السيادة الوطنية والتضامن العالمى

ويعتبر الشيوعيون فى أمريكا اللاتينية انه من الممكن حتى الآن فى النضال من اجل الاشتراكية فى بلادهم وفى العالم ، الاصرار على أن تتبع الحكومات البورجوازية فى بلدانهم سياسة خارجية مستقلة . ويسهل هـذا الامر الميزان الجديد للقوى الاشتراكية والرأسمالية ، ووجود الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، باعتبارها ضمانات قوية للسلام والتعايش السلمى وتحرر الشعوب التى تناضل فى سبيل تقرير المصير والحرية من الاضطهاد الاستعمارى . ويدرك رجال الدولة والسياسيون الواقعيون فى أمريكا اللاتينية ، وهم يقلبون النظر فى آخر الخبرات واتجاهات التطور فى القارة وفى غيرها من الاماكن ، انه يمكنهم ، بالدفاع عن المصـالح الوطنية لشعوبهم ، الاعتماد على تضامن الاتحاد السوفييتى والبلدان الاعضاء فى أسرة الدول الاشتراكية ، والدول الاسيوية والافريقية التى ظهرت حديثا ، وحركات التحرر الوطنى والطبقة العاملة الدولية .

ان القوى الثورية ونمو حركة السلام يرغمان دعاة الحرب الباردة على التراجع . ويتجه ذلك الىاضعاف مواقع الامبريالية رغم انها تحتفظ بطابعها العدوانى . وهـكذا ، فان العاملين الموضـوعيين ــ وهما تقـوية مواقع الاشتراكية وانحسار نفوذ الامبريالية ــ يتيحان الفرص للبلدان الرأسمالية فى امريكا اللاتينية لان تتبع سياسة خارجية مسـتقلة . ولكن العوامل الذاتية ، وأساسا أسلوب معالجة القضايا الدولية ، تقوم بدور هام فى كل الدول ، ومن بينها دول أمريكا اللاتينية .

والقضية هى ما اذا كانت حكومات بلدان امريكا اللاتينية راغبة فى انتهاج **سياسات خارجية مستقلة** ، وعازمة على ذلك . ومثل هذه السياسات يجب أن تقوم على أساس المصالح الوطنية والمصـالح المشتركة للقارة ، والعمل على اعادة تشكيل العلاقات الدولية على اساس مبادىء التعايش السلمى والتعاون .

والسياسة الخارجية المستقلة لاتنفصـل عن السياسة العسـكرية المستقلة . ويجب أن تكون لدى كل بلد فى أمريكا اللاتينيـة ، لكى يقوى الدفاع عن نفسه ، قوات مسلحة للمحافظة على سيادته الوطنية ضـد الدسائس الامبريالية ، وكذلك لصيانة مصالح شـعبه ضد الاوليجاركية والاحتكارات المتعددة القومية . وهذا يعنى أن القوات المسلحة ينبغى ألا تكون أداة قمع بيد العسكرية التى تفرضها الرجعية الامبريالية .

والسياسة الاقتصادية المسـتقلة حقا ذات اهمية خاصة . ولا يمـكن تصورها بغير وجود علاقات اقتصادية وتجارية وعلميـة وتكنولوجية ذات منفعة متبادلة بين امريكا والبلدان الاشتراكية .

وتتخذ بلدان أمريكا اللاتينية خطوات فى هذا الاتجاه ، ولكن لايزال عليها ان تقطع شوطا طويلا .

والحكومات هى التى يمكن أساسا أن تحقق الاهداف الثلاثة التى ذكرناها . ولكن للجماهير ، هى الاخرى ، دور حاسم . ومن هنا تنشأ مهمة أساسية هى تقوية وتوسيع العمل التنظيمى الذى يهدف الى توحيد جميع القوى المعادية للامبريالية والدكتاتورية والاوليجاركية فى جبهات وطنية . ووجود حركة متماسكة تسعى الى السلام والتقدم الاجتماعى فى كل بلد من بلدان أمريكا اللاتينية يجعل من الممكن العمل فى سبيل اقامة جبهة معادية للامبريالية فى القارة كلها ، واقامة تضامن أوثق مع شعوب العالم . ونحن فى حاجة ، لكى نحقق النجاح ، الى شن هجوم ايديولوجى قوى يهدف أولا الى كشف وازالة العداء للشيوعية وللاتحاد السوفييتى وكل مظاهر التعصب القومى . والنضال من أجل السلام والانفراج فى بلدان لاتزال الاحتكارات الامبريالية وعملاؤها يسيطرون عليها يقوى مواقع الطبقات والتجمعات التى تسعى الى التحرر الاجتماعى والاقتصادى للجماهير ، وتناضل لكسب الحريات الديمقراطية وتوسيعها .

وبين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية علاقه متبادله ، ولكننا نرى انهما كثيراً مايتصادمان بعنف فى البلدان الرأسمالية . ويرجع ذلك الى أسباب كثيرة معقدة مختلفة ذات طابع طبقى . والتناقضات بين السياسة الخارجبة والسياسة الداخلية تظهر بصفة خاصة فى البلدان التابعة للامبريالية ، وهى نتيجة للنجاح الذى تحرزه سياسة الانفراج الدولى والتعايش السلمى .

وتوجد فى أمريكا اللاتينية بلدان تبدى درجة عالية الى حد ما من الاستقلال والواقعية فى المسرح الدولى رغم أنها لم تحقق بعد أية أصلاحات داخلية تقدمية ذات شأن . ولا حاجة للقول بأن الشيوعيين ينتقدون هذا التضارب ، ولكن لن يخطر لهم على الاطلاق أن يقللوا من أهمية الاستقلال الذى تحقق فى السياسة الخارجية .

وينبغى الا ننسى أن الحكومات التى تتبع سياسة مستقلة لا تلبث أن تصبح هدفا للتآمر والدس والتخريب الذى تدبره الدول الامبريالية . ولذلك فمن الضرورى تقييم الوضع السياسى الذى يتغير بسرعة تقييما صحيحا ، وتحليل وتقييم الاحداث والتطورات اليومية التى يمكن أن تؤثر فى المستقبل .

ويتزايد الاعتراف بالمفهومات وبرامج العمل التى يتقدم بها زعماء بعض بلدان أمريكا اللاتينية ، بهدف تعزيز المساواة بين جميع الدول ، ومبادىء عدم التدخل ، والاشتراك فى حل مشكلات القارة والمشكلات العالمية على قدم المساواة ، والمشاورات المستمرة فى سبيل القيام بعمل مشترك .

وقد أحرزت هذه المبادىء تقدما وشعبية بصفة خاصة ، نتيجة للسياسة

الخارجية لكوبا ، أول دولة اشتراكية فى أمريكا اللاتينية ، ونشاط حكومة الوحدة الشعبية فى شيلي لمدة ثلاث سنوات ، ودبلوماسية بيرو والمكسيك وبناما وغيرها من بلدان أمريكا اللاتينية • وهذه البلدان تدين بمنجزاتها الدولية لتصميمها على اتباع سياسة مســـتقلة ، وهى تضع فى اعتبارها بشكل كامل مصالح القارة كلها . وقد قال الجنرال بيرون ، رئيس جمهورية الارجنتين الراحل ، ان « كل بلد من بلدان أمريكا اللاتينية يجب أن يستخدم أساليبه التى تقوم على أساس من سيادته » . وأضاف قائلا : « ولكننا نحتاج كذلك الى تلاحم أمريكا اللاتينية . وهـذه امكانية حقيقية لقارتنا وهدف موضوعى يجب أن نسعى جميعا اليه دونما أدنى تردد » (١) .

والتلاحم أمر كان يصبو اليه جميع الوطنيين العظام فى أمريكا اللاتينية فى الماضى . وهو اليوم ضرورة ملحة للشـــعوب التى تعيش جنـوب نهـر ريوجراندى . ومن الامور الاساسية تخفيف الاحتكاك السياسى وازالة عدم الثقة المتبادل ، وهو التركة البغيضة التى خلقتها الامبريالية وتحافظ عليها

ويزيد من تفاقم الوضع ، الاتجاه الموالى للامبريالية فى السياسة الخارجية لنظم الحكم الرجعية فى بعض البلدان ، وهى نظم الحكم التى تسعى بشكل مباشر أو غير مباشر ، صراحة أو ضمنا ، الى فرض ارادتها على البلدان المجاورة لها ، وعرقلة قبول مبادىء التعايش السلمى . وسوف يفل تلاحم الشعوب نشاط الامبريالية فى منطقتنا ويساعد البلدان التى تؤمم المؤسسات الاجنبية على الصمود فى وجه العقوبات الاقتصادية والضغط السياسى .

ويشير الحزب الشيوعى الارجنتينى مع الاحزاب الشقيقة الاخرى الى أن من الخطوات الهامة نحو تحقيق هذا التلاحم انشاء منظمة جديدة تحل محل منظمة الدول الامريكية والوكالات التابعة لها ، على أساس مبـادىء التعايش السلمى . واقامة منظمة كهذه لن تكون مهمة سهلة . ولكن هناك وضع جديد يتطور فى القارة رغم المعوقات المؤقتة . بل وحتى النكسات وتكرر حدوث ثورات مضادة . وتحرز الاتجاهات تقدما . وتستحوذ فكرة الانفراج على شعوب أمريكا اللاتينية ، التى تتوق الى الخلاص من العزلة الامبريالية التى كبلتها لعشرات السنين .

والتغير الحالى فى ميزان القوى العالمى لصالح السلام والاشتراكية واضح كذلك فى أمريكا اللاتينية . وكوبا ، التى يساندها النظام الاشتراكى العالمى والطبقة العاملة والقوى المعادية للامبريالية فى القارة ، قد فرضت ، فى الواقع ، التعايش السلمى على الولايات المتحدة وتوابعها فى أمريكا اللاتينية . وقد شهدت السنوات الاخيرة بيرو والارجنتين وبناما وجويانا وباربادوس وجمايكا وترينيداد وتوباجو ، وهى تقيم علاقات سوية مع كوبا الاشتراكية

---

(١) انظر « لويرنسا » الصادرة فى ٤ مارس ١٩٧٤ .

ولا يزال الموقف من الاتحاد السوفييتى محكا لتناول واقعى للسياسة الخارجية من جانب حكومات أمريكا اللاتينية . وقد أضيف اليه اليوم عنصر جديد ، هو الموقف من كوبا .

وقد دعا وزير خارجية الارجنتين ، البرتو فيجنيس ، فى دورة الجمعية العامة لمنظمة الدول الامريكية إلى شهر ابريل فى اتلانتا فى الولايات المتحدة ، الى اعادة النظر فى سياسة مقاطعة كوبا التى استمرت اثنى عشر عاما ، وأدانها باعتبارها سياسة ، غير واقعية تنطوى على مفارقة تاريخية . وقال ميجويل دى فلورفالا ، وزير خارجية بيرو ، أن المقاطعة «عقبة فى طريق استئناف العلاقات بين الدول الامريكية وهى تعرقل تدعيم مؤسسات أمريكا اللاتينية » . وقد انتقد رئيس جمهورية كولومبيا ، الفونسو لوبيز متشلسون ، مرارا وبقسوة التمييز التى تتبعة الولايات المتحدة ضد كوبا. وكان لقرار حكومة الارجنتين بتزويد كوبا ببضائع تبلغ قيمتها ١٢٠٠ مليون دولار ، أصداء قوية فى القارة (٢) .

وتعرقل نظم الحكم الرجعية الاتجاهات الايجابية . وقد « حذر » الادميرال دياز ، وزير خارجية الزمرة الفاشية فى شيلى ، منظمة الدول الامريكية فى دورة اتلانتا من أن كوبا « تعرض للخطر سلام وأمن القارة». ولكنه لايستطيع هو أو أمثاله وقف انهيار سياسة المقاطعة والعقوبات الاقتصادية ضد جزيرة الحرية . وقد اقترحت حكومات كثيرة فى امريكا اللاتينية دعوة كوبا الى حضور المؤتمر الذى تعقده دول أمريكا اللاتينية فى بوينس ايرس فى شهر مارس القادم .

وظهور عناصر قومية لها عقلية وطنية فى القوات المسلحة على المسرح السياسى وهم يمسكون بزمام السلطة فى بعض البلدان « بيرو ، بناما ، أكوادور ، هندوراس ، وبوليفيا قبل انقلاب ١٩٧١ » ويزداد نشاطهم فى بلدان أخرى نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية فى القارة يقوى اتجاهات السياسة الخارجية الجديدة فى أمريكا اللاتينية . وهؤلاء الرجال ، وبينهم ضباط من جميع الرتب وحتى جنرالات كذلك ، مرتبطون ارتباطا وثيقا بالمجموعات المعادية للامبريالية ويعكسون ايديولوجيتها وآراءها فى السياسة الخارجية . وفى المؤتمر الذى عقده رؤساء أركان الحرب فى بلدان نصف الكرة الغربى فى سبتمبر ١٩٧٣ ، رفض مندوبا بيرو والارجنتين أن يتلقيا الاوامر من البنتاجون .

---

(٢) حاولت واشنطن الرسمية عرقلة تنفيذ جزء من الاتفاقية ، هو الخاص ببيع اكثر من ٤٠٠٠٠ سيارة تصنعها فروع شركات فورد كرايزلر وجنرال موتورز فى الارجنتين . ولكن الحكومة الارجنتينية اعلنت انها فى حالة فرض حصار على هذه السيارات فانها سوف تؤمم هذه الشركات ، واجبرت وزارة الخارجية الامريكية على التراجع ، وقالت لتنقذ ماء وجهها، ان هذا التنازل كان « استثناء » .

ومن الامور بالغة الاهمية احباط الخطط الموالية للامبريالية لاقامة كتلة من البلدان تتولى المحافظة على الامن فى القارة . والمؤتمر الذى عقده قادة البرازيل وشيلى واوروجواى وبوليفيا فى برازيليا فى شهر مارس الماضى حمل نذرا مشئومة . ورغم ماقاله المشتركون فى المؤتمر من أنهم لايعتزمون اقامة أى حلف ، فقد كتب الصحفيون البورجوازيون يقولون أن الاجتماع قد يكون مقدمة لاقامة كتلة معادية للشيوعية (٣) .

وقد أقامت امبريالية الولايات المتحدة قاعدة عمليات قوية فى البرازيل بالتعاون مع أجشع العناصر الاوليجاركية . وفى سنة ١٩٧٤ تجاوز الانفاق العسكرى ١٢٠٠ مليون دولار .

وتقول مجلة البوبلو (٤) الاسبوعية التى تصـدر فى اكوادور أن القوات البرازيلية تتدرب على عمليات الهجوم . ويقال للجنود بأن على البرازيل أن تسحق « منابت الماركسية » فى البلدان المجاورة (٥) . وتلقى هذه السياسة ضوءا كاشفا على انشاء البرازيل لسد اثيايبو . فهذا السد يمس سيادة باراجواى والعلاقات مع الارجنتين وأوروجواى ، وهو بذلك يخلق وضعـا متشحونا بالنزاع .

وتشن دعاية محمومة للحرب فى شيلى ، التى تحتفظ بجيش مـكون من ٤٠٠٠٠ (فى بلد تعداد سكانه عشرة ملايين نسمة) . وتنفق الزمرة الحاكمة فى البرازيل القرض البالغ ٦٠٠ مليون دولار الذى حصلت عليه لشراء كميات ضخمة من الاسلحة . وقد زودت الولايات المتحدة شيلى ، وفقا للانباء التى نشرتها الصحف ، بمدمرتين حاملتين للصـواريخ وغواصـتين ، وقاذفات مقاتلة من طراز فانتوم ، وزودتها بريطانيا بسفينتين حربيتين وغواصتين . ومنحت البرازيل شيلى قرضا مقداره خمسون مليون دولار لشراء أسلحة . ومنحتها اليابان قرضا مقداره اثنا عشر مليون دولار . وحصلت الزمرة العسكرية كذلك على قرض كبير لهذه الاغراض نفسها من صندوق النقد الدولى « ٩٠ مليون دولار » وبنك الدول الامريكية للتنمية « ٢٢ مليون دولار » . ويتلقى بينوشيه كذلك مساعدة من « نادى باريس » ، الذى أجل سداد دين مقداره ٧٦٠ مليون دولار ، وهو تأجيل سعى سلفادور الليندى اليه دون طائل .

ويقترن أضفاء الطابع العسكرى على شيلى بشن حملة شوفينية مفادها أن بيرو والارجنتين « تهددان » شيلى . وتحث الزمرة العسكرية الشيلية

---

(٣) انظر « نيويورك تايمز » الصادرة فى ١٧ مارس ١٩٧٤ .

(٤) البوبلو الصادرة فى ١٢ يناير ١٩٧٤ .

(٥) نشرت مجلة البوبلو نبأ عن توزيع كتيب إصـدره الجيش البرازيلى بعنوان « رجال العمل يتدربون على الجبهة » . ويقدم الكتيب تفصـيلات عن التدريب العسكرى والنفسى للقوات على « غزو بلد أحمر يهدد الديمقراطية فى بلد أزرق » .

الرجعية فى الارجنتين وبيرو على القيام بانقلاب .

وشرع الدكتاتور البوليفى ، الذى تزداد معارضة الشعب له بشن حملة استفزازية فى سبيل الحصول على « منفذ الى البحر » . وهو يستغل حلم الشعب البوليفى القديم ، ولكنه يستخدم هـذا الشعار للاسـتفزازات العسكرية من أجل تطبيق « حل جيزيل » (نسبة الى الرئيس البرازيلى) . وما يريده ، هو الحصول على « ممر يخترق منطقة تاراباكا » ، وهذا يعنى أن تمنح بوليفيا منفذا الى البحر عبر أراضى كانت على الدوام تابعة لبيرو . وهناك محاولة لاثارة نزاع مع حكومة الجنرال فيلاسكو الفارادو ، لان أيا من حكومتى شيلى وبيرو لايمكن ، طبقا لاتفاقية ١٩٢٩ ، أن تتخلى لطرف ثالث ، عن كل الاراضى التى تقع تحت سيادتها طبقا لتلك الاتفاقية ، أو عن جزء من هذه الاراضى . ولم تعد الاستعدادات للعدوان أمرا خافيا . وقد قدم اقتراح يتضمن مساعدة القوات الارجنتينية فى الدفاع عن بيرو فى حالة وقوع هجوم شيلى .

وفى أمريكا الوسطى ، أجج مرة أخـرى النزاع الذى مضت عليه ست سنوات بين السلفادور وهوندوراس . وكان متوقعا أن يسوى فى العـام الحالى ، ولكن محور جواتيمالا السلفادور نيكاراجوا العسكرى يعرقل هذه التسوية . وهذا المحور موجه ضد هوندوراس وكوسـتاريكا ، فعمليات اشاعة الديموقراطية فى هذين البلدين تستثير غضب الرجعيين فى أمريكا الوسطى . وبلدان المحور تهدد بناما بالعدوان كذلك .

ويتفاقم النزاع القديم بين كولومبيا وفنزويلا على الجرف القارى والمياه الاقليمية فى خليج فنزويلا ، الذى يحتوى على احتياطيات من البترول تقدر بأربعة عشر ألف مليون برميل . ويحاول الرجعيون فى البلدين زيادة حدة هذا النزاع لعرقلة التحركات البناءة فى السياسة الخارجية التى تتخـذها حكومتا كولومبيا وفنزويلا ، وصرف انتباه الشعبين عن المشكلات الكبرى التى تواجهها .

ان للمحاولات التى تبذل للمحافظة على التوتر فى أمريكا اللاتينية هدف محدد ــ وهو منع صياغة سياسة خارجية مستقلة واسقاط الحـكومات التى تنتهج سياسة السلام والسيادة الوطنية . وتدبر الامبريالية بمسـاندة الرجعية الاوليجاركية الانقلابات وتفرض نظم حكم ذات طابع فاشى . وهذا الامر يجب أن يشحذ يقظة الحكومات التى تنتهج سياسة خارجية مستقلة والقوى الاجتماعية المتحدة فى النضال من أجل السلام والازدهار .

وفى أمريكا اللاتينية يمكن ويجب أن تصبح السياسة الاقتصادية الخارجية المستقلة ، التى أكد الشيوعيون دائما على أهميتها ، أداة تساعد على ضمان التقدم الاجتماعى وانجاز المهمة الصعبة لاستخدام الموارد الطبيعية فى القارة

للنهضة المادية والثقافية للشعوب ، ووضع حد لنشاط الاحتكارات الاجنبية الذى لايخضع للرقابة ، والذى يزيد من آلام الجماهير العاملة ومصاعبها . وفى الوقت الذى كان فيه الدخل بالنسبة للفرد فى الولايات المتحدة فى نهاية القرن الماضى ضعف ماكان عليه فى أمريكا اللاتينية ، بلغت الزيادة عام ١٩٧٠ ثمانية عشر ضعفا(٦) . ووصل العجز فى تجارة أمريكا اللاتينية مع الولايات المتحدة الى ٧٥٠ مليون دولار فى العام . أما المساعدة التى تتباهى الولايات المتحدة بأنها قدمتها لامريكا اللاتينية على مستوى الدولة ، فانها لاتتجاوز ٣٠٠ مليون درلار فى العام (٧) .

ورغم تأكيدات واشنطن المتكرر بأنها تريد اتباع سياسة « مشـــاركة طيبة » و « حوار جديد فى نصف الكرة الغربى » و « علاقات متبادلة » وغير ذلك ، فان الاوضاع الحقيقية لاتتغير . وفى ديسمبر الماضى ، صرح كنيث راشى ، المساعد السابق لوزير الخارجية الامريكى ، بأن سياســة الولايات المتحدة نحــو أمريكا اللاتينية كانت تمليها تقليـديا اعتبـارات استراتيجية وسياسية . وهــذا البلد فى حاجة الى مايوجـد فى أمريكا اللاتينية من مواد خام واغذية ومصادر طاقة . ويحتاج هــذا البلد الى توسيع الاسواق لصادراته (٨) .

والشركات المتعددة القومية التى توجد مراكزها الرئيسية فى الولايات المتحدة أو أوروبا الغربية أو اليابان تطالب فى أمريكا اللاتينية بحقوق مساوية لحقوق الشركات القومية او اكبر منهـا ، وهى تحصل على هــذه الحقوق وتساندها حكوماتها بطرق متعددة عندما تتعرض مصالحها للخطر . وهذه الشركات باستخدامها العمل الرخيص وبدفعها أسعار الحـد الادنى لقاء الخام ، تنهب بلدان أمريكا اللاتينية وتعرقل التعاون الاقتصادى والتجارة فى القارة . ولا يتم داخل القارة سوى ٢٠٪ من التجارة الخارجية لامريكا اللاتيينة . والجزء الاكبر من الصادرات يتجه الى بلدان رأسمالية متطورة .

وفى هذه الظروف يكون من المهم جدا توسيع التجارة بين البلدان الاعضاء فى حلف الانديس وبين جمهوريات أمريكا اللاتينية الاخرى . والاتفاقيات التى وقعتها الارجنتين مع كوستاريكا وبناما وغيرهما من البلدان تشـــكل اتجاها نحو تجمع جديد للدول سوف يجسد وحده شعوبنا فى النضال من أجل السلام والتعايش السلمى .

ومن الضرورى لدعم هذا الاتجاه انهاء سيطرة الشركات المتعددة القومية

---

(٦) مجلة الشـــئون الخارجية ، اكتوبر ١٩٧٣ — ص ٨١

(٧) ينفق ٨٠٪ من هذا المبلغ على موظفى الولايات المتحدة ، وشراء بضائع من الولايات المتحدة ، ونقلها فى ســـفن أمريكية ، ومن الواضح ان هذه « المساعدة » تفيد أساسا رجال الاعمال فى الولايات المتحدة .

(٨) « خطب حيوية » ، أول يناير ١٩٧٤ ، ص ١٨٤ — ١٨٥ .

على القارة (٩) . وتقاوم الاوساط الامبريالية بضراوة استبعاد الراسماليين الاجانب أو الخطوات التى تتخذ لكبح جماح نشاطهم . ولكن ليس فى الامكان كبح جماح المشاعر المتنامية المؤيدة للسيادة الاقتصادية .

ولكى تمضى هذه العملية قدما ، فمن الامور بالغة الاهمية تقوية العلاقات بين أمريكا اللاتينية والبلدان الاشتراكية . وتقدم العلاقات بين كوبا والاتحاد السوفييتى لشعوبنا مثلا ملهما . لقد قال فيدل كاسترو : « أن الاتحاد السوفييتى ، وهو دولة اشتراكية أممية بكل ما فى الكلمة من معنى ، لايمتلك فى بلادنا منجما واحدا ، أو هكتارا من الارض ، أو مصنعا واحدا . وهو لم يستثمر كوبيكا واحدا فى كوبا من أجل الربح » .

قبل هذا فى هافانا ، فى احتفال جماهيرى بمناسبة الزيارة التى قام بها للجزيرة ليونيد بريجنيف ، السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى . وحدد الرفيق بريجنيف ، وهو يتحدث فى الاجتماع . الموقف السوفييتى من بلدان امريكا اللاتينية على النحو التالى : « فيما يتعلق بأمريكا اللاتينية ، فاننا على ثقة من أن مستقبلها التاريخى لاينفصل عن تقدم البشرية كلها . انه مستقبل الحرية والاستقلال والتقدم الاجتماعى . ويريد الاتحاد السوفييتى أن تشترك بلدان أمريكا اللاتينية بنشاط أكبر فى الشئون الدولية ، ويريد أن يرتفع صوتها المستقل بثقة أكبر من أى وقت مضى فى العالم . ونحن مقتنعون بأن ذلك سوف يعود بالفائدة على قضية السلام والتعاون الدولى على أساس الحقوق المتساوية » .

والاتحاد السوفييتى والبلدان الاخرى الاعضاء فى أسرة الدول الاشتراكية ، الامينة على مبادىء التعايش السلمى اللينينية ، تبدى فى الممارسة استعدادها لتعزيز التعاون مع بلدان أمريكا اللاتينية على قدم المساواة . ويبدو هذا بصفة خاصة فى علاقاتها مع الارجنتين . واثناء الحملة الانتخابية فى بلادنا ، قال الجنرال بيرون الراحل انه سيسعى الى الحصول على قرض من السوق الاوروبية المشتركة . ولكن رفض طلبه . ومن الناحية الاخرى ، سعت حكومة بيرون ، وحكومة كامبورا من قبلها ، الى اقامة علاقات تجارية

---

(٩) رحبت شعوب امريكا اللاتينيه أخيرا بمرسوم اصدرته حكومة فنزويلا يلزم الشركات الاجنبية ببيع ٨٠٪ من أسهمها للشركات الفنزويلية فى السنوات الثلاث التالية . ويحظر المرسوم الاستثمارات الاجنبية فى المؤسسات ذات المنفعة العامة والمواصلات وامدادات الكهرباء ووسائل الاعلام العامة والنقل والتجارة الداخلية . وعلى الرغم من أن امتيازات البترول الاجنبية لن ينتهى مفعولها الا عام ١٩٨٣ ، فقد قرر الرئيس بيريز أن يضع شركات البترول تحت اشراف الدولة ، وأعلن بعد وقت قصير عزمه على تاميم ممتلكاتها . ويجب أن نذكر ، لكى ندرك اهمية هذا الاجراء أن ٢٠ شركة أجنبية تتحكم فى ٩٥٪ من بترول فنزويلا ، وهى الثالثة بين اكبر الدول المصدرة للبترول فى العالم الراسمالى . وقد تولت فنزويلا الاشراف على مناجم الحديد المؤجرة لشركتى « يواس ستيل » و « بيت لحم ستيل » لمدة خمسين عاما .

مع البلدان الاشتراكية لحل مشكلات الارجنتين الاقتصادية . وهناك كان الجواب مختلفا . فالاتفاقيات الاقتصادية التى تعود بفائدة كبيرة على الارجنتين مع الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وبولندا والمجر ، قد وقعت أو يجرى التفاوض بشأنها . وقد أشار أرنيدو الفاريز ، السكرتير العام للحزب الشيوعى الارجنتينى ، الى الاهمية البالغة للاتفاقيات الاقتصادية المعقودة مع الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى للارجنتين ولقارتنا بأكملها . وقال ان العلاقات الاكثر قوة مع العالم الاشتراكى قد جعلت من الممكن اختراق الحاجز الذى أقامته الامبريالية حول الارجنتين .

وتوجد فى أمريكا اللاتينية حركة تؤيد اقامة أو توسيع العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع البلدان الاشتراكية . والحكومات والاحزاب ذات النفوذ على السواء مرغمة على أن تضع ذلك فى الاعتبار (١٠) .

وقد أكدت الحياة بصورة واسعة الاستنتاج الذى توصلت اليه الاحزاب الشيوعية والعمالية فى عام ١٩٦٩ : « انالمشاعر الوطنيةللشعوب والمصاعب الاقتصادية قد ترغم حتى بعض الحكومات على أن تتخذ اجراءات هامة ضد الامبريالية ، وهذا مايقرر النزعة الرامية الى اقامة أو توسيع العلاقات مع البلدان الاشتراكية ، ومن بينها كوبا » . وبرجوازية بلداننا تبحث عن طرق جديدة . وهى مجبرة ، تحت ضغط الجماهير وبسبب مصالحها ، على انتهاج سياسة التعايش السلمى التى تضعف مواقع الامبريالية فى القارة(١١)

والطبقة العاملة لها حلفاء أكثر من اى وقت مضى فى النضال من أجل السلام وتقرير المصير . والاحزاب الشيوعية تضع هذا فى الاعتبار فى سياستها الخاصة بالتحالفات .

وهذا هو السبب فى أن اللجنة المركزية لحزبنا تؤيد بثبات التحركات الايجابية للحكومة الارجنتينية على المسرح الدولى . وفى الوقت نفسه يعبىء الحزب العمالى وجماهير الشعب للتغلب على تذبذب البرجوازية فى السياسية الداخلية ، وعدم ثباتها ، مما يمنعها من الوقوف بحزم فى وجه الاحتكارات الامبريالية والاوليجاركية . ونتيجة لذلك ، فان الاحتكارات والاوليجاركية

---

(١٠) صرح الرئيس بيريز عند فوزه فى الانتخابات بأن فنزويلا « ينبغى أن تقيم علاقات أقوى مع البلدان الاشتراكية » منتهجة سياسة خارجية مستقلة ورافضة الخضوع للدول الاجنبية .

(١١) أدلى خوزى جيليارد ، وزير الاقتصاد فى الارجنتين ، بتصريح هام الى الصحف فى ٢٤ ابريل ١٩٧٤ قال فيه : « اننا مهتمون – وهذه ليست مجرد كلمات – بالتقارب مع البلدان الاشتراكية . ونحن نتفق معها فى المطالب الخاصة بحماية أسعار المواد الخام واحترام تقرير المصير للشعوب » .

تستطيع الاطاحة بالحكومة ووقف العملية التى يمكن ويجب أن تؤدى الى اقامة حكومة على أساس تحالف ديموقراطى واسع تكون قادرة على تنفيذ برنامج للتحرر الاجتماعى .

وحركة التضامن مع الشعوب الرازحة تحت حكم نظم حكم معـــادية للديموقراطية ، ولكنها تقاوم السياسات الرجعية وتحشد قواها لشن هجوم على الدكتاتوريات البغيضة ، لا تنفصل عن حركة السلام والنضال لاقـرار مبادىء التعايش السلمى ، وتوسيع دائرة الانفراج فى أمريكا اللاتينية .

ومن واجب جميع الحركات الديموقراطية المعادية للامبريالية تشـــديد النضال فى سبيل سلم ديموقراطى عادل ودائم . وعلى منظمات أنصـــار السلام القانونية وشبه القانونية وغير القـــانونية فى مختلف بلدان أمريكا اللاتينية أن تقوم بدور ضخم فى هذا الشأن . وينبغى لها أن تنسق نشاطها بصورة أكثر فاعلية وأن تجذب الجماهير الى الجهد الذى يبذل فى سبيل حل القضايا الاساسية فى القارة .

ولا تزال حملة التضامن مع شعب شيلى احدى مشاغلنا الاساسية . ان شل يد الزمرة العسكرية وضمان اطلاق سراح عشرات الالاف من الوطنيين من معسكرات الاعتقال ، مهمة ديموقراطية معادية للفاشية وللامبرياليه بحق . وانجاز هذه المهمة يعتبر مساهمة قيمة فى النضال من أجل السلام والتعايش السلمى . والتأييد العالمى ، وقبل كل شىء تأييد امريكا اللاتينية، لشعب شيلى البطل ، والتضامن مع شعوب البرازيل وأوروجواى وبوليفيا وباراجواى وجواتيمالا وهايتى والسلفادور ونيكاراجوا ، التى تناضل منـذ نظم حكم رجعية مستبدة ، قد أصبح قوة ضخمة قادرة على الدفاع عن سيادة شعوب وحكومات الارجنتين وبناما وبيرو وبلدان أخـــرى وجهت الضربات الى الامبريالية فى أمريكا اللاتينية .

وتتضمن أهداف المناضلين فى سبيل السلام فى أمريكا اللاتينية ، الغــاء القوانين المؤيدة الى اشاعة النزعة العسكرية فى الدول البوليسية ، وسحب وحدات فرق السلام من بلداننا ، وتصفية القواعد العسكرية الاجنبيةومراكز التجسس ، وسحب قوات الاحتلال الامريكية من جوانتـــانامو (كوبا) وبورتوريكو وبناما .

ويحاول أيديولوجيو الامبريالية وقف الانفراج فى أمريكا اللاتينية ومنع اقامة علاقات سوية بين أمريكا اللاتينية والبلدان الاشتراكية . ويساهم فى ذلك الماويون وغيرهم من أدعياء الثورية ، الذين ينشرون خرافة « الدولتين العظميين » و « الامبرياليتين » . وهؤلاء المنشـــقون يبذلون أقصى ما فى وسعهم لفرض خطهم الانهزامى على قواعد البيرونيين اليساريين فى الارجنتين وهم يغلفون عداءهم للشيوعية وللاتحاد السوفييتى بالحديث عن « الدولتين

العظميين » . ولكنهم مهما حاولوا لن يستطيعوا أن يخفوا الاختلاف الاساسى فى الموقف الاشتراكى من أمريكا اللاتينية والموقف الرأسمالى منها. ويجب أن نتذكر دائما ، ونحن نكشف خرافة « الدولتين العظميين » أن « النقطة الرئيسية ... يجب أن تكون هى انقسام الامم الى أمم مضطهدة وأخرى مضطهدة ، وهو ما يشكل جوهر الامبريالية » (لينين ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢ ، ص ٤٠٩) .

وسياسة المجموعة الامريكية التى تتبعها وول ستريت ، وتجسدها وتنفذها منظمة الدول الامريكية ، قد أصيبت بأكثر من نكسة . وقد تلقت الاستراتيجية الامبريالية فى أمريكا اللاتينية ، المستندة لمبدأ مونرو ومفهوم « الحدود الايديولوجية » (١٢) ، ضربات قاسية . ومع ذلك ، فالامبريالية تبحث ، حتى وهى تتقهقر ، عن طرق جديدة لمواصلة التوسع .

والاحزاب الشيوعية والعمالية فى بلادنا هى طليعة المناضلين من أجل السلام والتعايش السلمى فى قارتنا . ونحن نعيش فى زمن يبين فيه التطبيق الخلاق للماركسية اللينينية فى تحليل الاوضاع للطبقة العاملة والشعوب المناضلة الطريق الصحيح الى النصر .

وقد عقدت اجتماعات استشارية بين الاحزاب الشيوعية الشقيقة فى أمريكا الوسطى والمكسيك وفنزويلا وكولومبيا ، كما عقد اجتماع بين الاحزاب الشيوعية فى الارجنتين وبوليفيا والبرازيل وباراجواى وأوروجواى وتحت اتصالات ثنائية وبين أحزاب متعددة ، وساعدت كلها على قيام وحدة أوثق فى العمل . وتدعو الوثائق التى تم اقرارها فى هذه الاجتماعات الى تعبئة جميع القوى لازالة مواقع الحرب من قارتنا .

ومع اتساع النضال فى سبيل الحريات الديموقراطية والسيادة الوطنية والسياسة الخارجية المستقلة ، والتعايش السلمى والسلام الديموقراطى العادل ، سيتم تحقيق انتصارات جديدة على الامبريالية والرجعية ودعاة الحرب الباردة . ومن المحتم أن تسود مبادىء الاستقلال الوطنى فى أمريكا اللاتينية .

---

(١٢) هذا المفهوم ، الذى تروج له الرجعية العسكرية فى الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية ، يهدف الى تبرير التدخل المسلح فى أى بلد من بلدان القارة تحت حجة مكافحة « التغلغل الشيوعى » . ويزعم من يعتنقونه أن مايهم فى هذا الشأن هو الحدود « الايديولوجية » وليس الحدود القومية .

أزمــة مجتــمع وأزمــة ثقافــة

بقلم : لويس بايو

ثمة أزمة عميقة الغور تسود كل جوانب الحياة فى البلدان الرأسمالية عامة وفرنسا خاصة . وتكشف هذه الأزمة أن النظام الرأسمالى عاجز تماما عن حل المشكلات الملحة التى تواجه المجتمع فى الحقبة الراهنة ، بل انه يضيف اليهــا ما يزيد من تفاقمها . ولقد بينت أزمة الطاقة بوضوح على سبيل المثال كيف أن سياسة السلب والنهب التى تنتهجها الشركات المتعددة الجنسية تدمر الاستقلال الوطنى والتقدم الاقتصادى وظروف الحياة الخاصة بكل مواطن .

وهذه الازمة هى ازمة اجتماعية ، تولدت عن النظــام الاجتماعى الرأسمالى البالى والذى يشكل عقبة كئودا فى طريق الثورة العلمية التكنولوجية . وتكشف هذه الأزمــة أيضــا النتائج الضــارة والخطيرة لسياســة الاحتكار الضارية والمفترسة فى مجال الثقافة .

وليسمح لنا القارىء بأن نقدم له هنا بعض الحقائق . صدر قانون فى فرنسا ينص على مد فترة التعليم الالزامى للاطفال فى فرنسا حتى العام السادس عشر من عمر الطفل ، ولكن بينما نجد هذا القانون لم ينفذ بعد كاملا اذا بالسلطات الحاكمة ، تؤيدها اغلبية برلمانية ، على وشك استصدار قرار يقضى بتسليم الصبية الذين بلغوا الرابعة عشرة من عمرهم الى أصحاب الاعمال دون الحصول على أى مكافأة أو تعويض عن عملهم . وتم لأول مرة خفض حصص الميزانية المخصصة للبحث العلمى ولهذا اضطرت مؤسسات البحث العلمى الى تغيير برامجها وجدول أعمالها أو الغائها تماما . ثم أيضا تقييد القبول فى كليات ومعاهد الدراسات الطبية ووضعت قيوداً شديدة . هذا على الرغم من أن فرنسا تعتبر من حيث الحالة الصحية من أكثر بلدان أوروبا تخلفا .

وتكشف الاحصائيات الثقافية عن خطورة الموقف الثقافى أيضا . فقد تزايد عدد الفرنسيين العازفين عن القراءة . ونجد ثلاثة من كل اربعة من عمال المصانع ، وأربعة من كل خمسة من الفلاحين لا يقرأون البتة . ونقص عدد رواد حفلات السينما بنسبة كبيرة خلال الخمسة عشر عاما الماضية . وانخفض أيضا عدد رواد المسرح انخفاضا كبيرا خلال الاعوام الخمسة الاخيرة هذا على الرغم من جهود المتحمسين من عشاق المسرح وجهود المجالس البلدية .

ان كل الشواهد تشير الى وجود أزمة ثقافية . بل ان مشروعات البناء والتشييد التى يفخر بها الفرنسيون بوجه خاص (وان بدأ عددها يتناقص) ، مثل مشروع متحف الفن الحديث الذى وضعته الدولة لبنائه فى قلب باريس قد أصبح موضوعا لمضاربات طبقية حقيقية .

ودأب السياسيون الذين يمثلون المؤسسات الكبرى على مهاجمة العلم ويوجهون اليه اللوم بحجة انه سبب كل الاخطاء القاتلة فى الثقافة وفى التعليم . وبعد أن أحست الطبقة الراسمالية بعجزها عن وضع مذاهب أيديولوجية قابلة للتطبيق التزمت موقف الدفاع . وبدأت تغرس بذور الشك وتكيل التهم للأفراد وتروج للنزعة القدرية او تلجأ أحيانا كاجراء متطرف الى اثارة نزعة العدمية والتمرد ، وتحاول أن تلهى الناس وتحرف فكرهم بعيداً عن أى محاولة جدية لفهم الأزمة . ويلجأ المسئولون عن « الثقافة الرسمية » الى اتخاذ اجراءات تحمل طابع التسلط والقهر وخفض الميزانيات المخصصة للانفاق على النشاط الثقافى . وهكذا بات الخطر يهدد حرية التعبير والبحث وهما أول حقوق الانسان الثقافية .

دور المثقفين

ان موقف المثقفين فى حالة تدهور متصل ، فأكثر المثقفين اليوم اجراء

يعملون لقوت يومهم ويعيشون شأنهم شأن الشعب العامل لقاء مايتقاضونه من أجر ثمنا لجهدهم . وبات ما يؤرقهم اليوم أشد الأرق هو حرصهم على عملهم والاحتفاظ بأهليتهم وتجديد تدريبهم مثل ما يحدث مع العمال سواء بسواء . ويعانون بدورهم من عبء الضرائب الباهظة وأزمة الاسكان ووسائل المواصلات غير الصالحة ، وتدهور ظروف الحياة . ولم يبق للمهن الحرة غير حرية واحدة ــ هى حرية الاعتماد على البنوك والمؤسسات التجارية الكبرى .

وأصبح لزاما على المثقفين ، شأنهم شأن الشعب العامل ، الصراع مع نتائج التناقض الاساسى للرأسمالية . حقا ، ان هذا يحدث بصورة خاصة ولكنه أمر حتمى ولا مفر منه . أن تقدم مهمتهم وأعمالهم وعلومهم يستلزم تغيرات عميقة فى كل مستويات المجتمع . ذلك أن الازدياد المطرد فى تقسيم العمل يصل الى أعماق بعيدة شيئا فشيئا فى المجالات المختلفة للعلوم والتكنولوجيا والطب والفن . وطبيعى أن يؤدى هذا الى نشوء مطالب جديدة ، أولا وقبل كل شىء مطالب خاصة بمعارف جديدة وجماعات عمل قادرة على أن تستخدم بفعالية أكبر الامكانيات المتاحة للمتخصصين .

ان مجتمع الربح ينزع دائما الى تجزئة التدريب المهنى وتحديده . ومع هذا فان تقسيم العمل الفنى يتطلب ادارة مشتركة للبحث وللاستفادة منه عمليا .

ترى ما هو وضع الحزب الشيوعى الفرنسى فى هذا الصدد ؟ **يؤمن الحزب بأن السياسة الثقافية تعادل فى أهميتها وخطورة شأنها أى سياسة أخرى . اننا نرفض رأى أندريه مالرو عن الثقافة الذى يرى أن الثقافة ((دواء النفوس)) ، وهرب من الواقع ، وسبيل الانسان الى النسيان وما شابه ذلك . اذ أننا نؤمن بأن السياسة الثقافية مزيج مركب تضم معها نسيج واحد السياسة الاجتماعية والاقتصادية ، ولا تنفصل أبدا عن السياسة بالمعنى العام .**

وليست الثقافة هى فقط الادب والفن ، بل هى أيضا العلم والتكنولوجيا والنشاط المهنى والعمل البدنى . انها جزء من العلاقات القائمة فى الحياة اليومية للناس . ومن ثم فان الثقافة فى المجتمع الطبقى حيث العلاقات يسودها طابع الاستغلال فى نهاية الامر ، لابد وأن تحمل نتائج هذا كله ، ولهذا يؤمن الحزب الشيوعى الفرنسى بضرورة الارتفاع بمستوى الثقافة وبصورة ملحة الى مستوى وقدرة المعرفة الراهنة والى مستوى حاجات ومتطلبات الجماهير والمصلحة الوطنية .

ان الثقافة ليست ترفا ولا سلعة ، ولا هى عزاء وتسلية لعشاق الفن ،

ولا وسيلة للتعويض الروحى . انها ضرورة حيوية ، كما تتزايد باطراد أهميتها ودلالتها بالنسبة للشعب وللأمة وللمجتمع . وازدهار الثقافة شرط ومطلب ضرورى يكفل تطور المجتمع الديمقراطى ثم المجتمـــع الاشتراكى من بعده .

ويحدد الحزب الشيوعى الفرنسى سياسته الثقافية وفق تقاليد قديمة قدم الحزب ذاته . لقد أصبح النضال من أجل الديمقراطية والتقـــدم الاجتماعى طوال القرنين الماضيين مرتبطا ارتباطا وثيقا بالنضال من أجل التعليم والثقافة . ولا ريب فى أن الحزب الشيوعى الفرنسى هو خليفة ووريث كوميون باريس الذى أولى التعليم والعـــلم والفن أهمية كبرى . ومما هو جدير بالذكر أن السياسة الثقافية للحـــزب الشيوعى فى عام ١٩٣٦ أى فى زمن الجبهة الشعبية ، لم تكن سياسة ثانوية مساعدة بل كانت عنصرا جوهريا من عناصر السياسة العامة للحزب .

تحالف الطبقة العاملة والمثقفين

يرتبط تاريخ حزبنا بأسماء عديد من كبار المثقفين الفرنسيين اللامعين أمثال بول فاليانت كوتورير ، وهنرى باربوس وأناتول فرانس وليجير وبيكاسو ولانجفان وجوليو كورى وفالون وبولتزير . ولقد كان العديد من المثقفين البارزين يربطون أنفسهم بنضال الطبقة العاملة فى كل فترة من الفترات الهامة فى تاريخ البلاد (فى فترة تأسيس الحزب وفترة الجبهة الشعبية وأيام الاحتلال ثم فترة تحرير فرنسا) .

ولا ريب فى أن هذا ليس سوى واحد من مؤشرات عديدة تبين أولا أنهم يعترفون بالدور الطليعى للحزب فى التحول الثورى للمجتمع ، وهو التحول الذى تتغير فيه الثقافة بدورها تغيرا جذريا ، وتكون أداة لخدمة الغالبية الساحقة من أبناء البلد .. ثانيا ــ انهم يدركون أن هذا التحول رهن بعوامل عديدة منها تحالف الطبقة العاملة مع قطاع كبير من المثقفين . وهذا هو ما سجله المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى الفرنسى المنعقد عام ١٩٣٦ . ويمثل أيضا فكرة علمية راسخة وصادقة تؤكد ان الطبقة العاملة هى حاملة لواء المستقبل للامة ويؤكدها التطبيق العملى دائما وأبدا .

لقد أصبح التحالف بين الطبقة العاملة وبين المثقفين أكثر الحاحا وضرورة اليوم عن ذى قبل . وسبق أن أوضح فالديك روشيه فور وقوع أحداث مايو ١٩٦٨ مدى أهمية الحركة الديمقراطية والثورية لمستقبل البلاد .

لقد تضاعف عدد المثقفين واصبح لهم دور مباشر فى الانتاج . اذ دخل قطاع عريض جدا من مثقفى المهن المختلفة مجال العمل الانتاجى . وضاعف هذا من اهمية دورهم فى مجال التطور الاجتماعى والثقافى والسياسى .

ولا ريب فى ان الطبقة العاملة والمثقفين سيؤدون ولزمن طويل مقبل دورين مختلفين ولكنهما متقاربين فى العملية الثورية .

وأصبح الفنيون والمهندسون ، شأنهم شأن العمـال ، يحتلون قلب عملية الانتاج الرأسمالى ويحسون بآثار الجوهر الاستغلالى للصناعة الرأسمالية . انهم يضيقون ضيقا شديدا بالفاقد من الثروة القومية ، وبالاساليب البيروقراطية والتحكمية التى تنتهجها الحكومة ، ويميلون للاسهام من أجل حركة ديمقراطية قوية . وثمة قطاعات أخرى من المثقفين قادرون هم أيضا على العمل بصورة مستقلة وناجحة اذا ما أتيح لهم أن يضعوا فى الحسبان مجمل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ونحن نعرف أن المجالات التى ينشط فيها المثقفون بوجه خاص هى مجالات ميزانية الدولة والسياسة الصحية والتعليم العام وفضح المضاربات الطبقية .

وبدات أعداد متزايدة من المثقفين تشعر بآثار السيطرة الاحتكارية . ولهذا فان التقارب بين مصالحهم ومصالح الشعب العامل اصبح حقيقة موضوعية ـ ليس فقط من اجل مقاومة الرأسمالية بل أيضا لوضع الاساس لبناء مجتمع جديد . أن العلاقة بين الطبقة العاملة وبين المثقفين اصبحت اليوم علاقة بين قوتين اجتماعيتين أساسيتين وحاسمتين .

ماذا يقدم الشيوعيون

ان الطبقة الرأسمالية واعية بكل هذا وتحـاول أن تحكم قبضتها الايديولوجية على المثقفين لتكون شريحة اجتماعية خاضعة لنفوذها ولتكون أيضا وسيلتها للتأثير الايديولوجى على الجماهير . وطبيعى أن هـذا يضاعف من الاهمية الحاسمة للقيام بدور نشط سياسى وأيديولوجى بين المثقفين .

ويقدم الحزب الشيوعى الفرنسى على المستوى السياسى لكل المثقفين والشعب العامل فى فرنسا برنامجا لحكومة ائتلافية تضم الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى والحزب الراديكالى اليسارى .

وجدير بالذكر أن برنامج الحكومة الائتلافية هو فى ذات الوقت برنامج ائتلافى للثقافة . ونرى أنه برنامج ثقافى لأسباب سياسية ، لانه برنامج اجتماعى ويتضمن اجراءات تهيىء للناس الوقت والوسائل لحياة أفضل، ولأنه سيقضى على مظاهر التفاوت الاجتماعى ويتيح الفرصة للغالبية الساحقة من ابناء الطبقة العاملة والفلاحين لاستكمال تعليمهم الثانوى والعالى .

انه برنامج يخدم المصالح والاهتمامات الثقافية ذلك لان سياسته الاقتصادية ستدعم التقدم العلمى والتكنولوجى وتحررهمـا من دافع الربح . وطبيعى أن اجراءات التأميم المرسومة هى ايضا اجراءات ثقافية حاسمة .

ونحن نرى ان البرنامج يستهدف خدمة الثقافة لانه برنامج ديمقراطى . ان مشاركة الجميع مشاركة حقيقية فى توجيه شئون البلاد ، وتحمل كل انسان مسئوليته فى هذا الصدد ، كل هذا يمثل حافزا ثقافيا يرتبط بالطلب المتزايد على الاعلام والمعرفة وتبادل الافكار . ولا ريب فى انه كلما زادت المسئوليات المدنية وتعاظم قدرها كلما كان هذا ضمانا لحرية التعبير الفنى وفرصة للمواجهة بين الافكار .

وطبيعى أن فى هذه الديمقراطية الاقتصادية والسياسية الجديدة تماما سيكتسب النشاط الثقافى اهدافا جديدة ومحتوى جديدا ، وسوف تدعمه أيضا اجراءات خاصة مميزة تكفل ظروفا مواتية لازدهار الثقافة ، وتضمن حرية التعبير الفنى وتهيىء الظروف المادية والاجتماعية لتقدم المثقفين .

ويدعو الحزب الشيوعى المثقفين للكفاح جنبا الى جنب مع الشعب العامل من أجل نجاح البرنامج المشترك . ولا سبيل لانجاز هذا البرنامج الا عن طريق حركة قوية تضم غالبية أبناء الأمة ، وطبيعى أن المثقفين لهم مكانهم فى هذه الحركة فهم جزء من التحالف الشعبى الذى يسعى الشيوعيون من أجل تحقيقه وتمثل الطبقة العاملة قلبه ومحوره .

واذا كان مطلب الشعب هو بناء حياة أفضل ومغـايرة لتلك الحيـاة التى يحياها ، فان هذاالمطلب مرتبط بمطلب المثقفين بأن يعملوا بصورة أفضل ومغايرة عن الصورة الراهنة . وهكذا فان للمثقفين مجالات رحبة ومجزية ليقدموا فيها نشاطهم وجهدهم ، ونعنى بذلك مجالات النضال من أجل اسكان افضل ومواصلات أفضل وخدمات صحية افضـل ، وتخطيط للمدينة وتعليم عام وظروف عمل ومستوى حياة أفضل مما هو قائم الان . ان النشاط العام للجماهير مرتبط بنشاط المثقفين ويستهدف الاطاحة بسياسة الرأسمالية الاحتكارية وصولا لتغيير السياسة تغييرا جذريا .

وحدد الحزب منهاجه على المستوى الايديولوجى فى اجتماع اللجنة المركزية المنعقد فى ارجنتويل عام ١٩٦٦ . ولقد صمد هذا المنهج لاختبار الزمان وتأكد صوابه ، ولا يزال يمثل القاعدة والاساس لنشاطنا . وبعد أحداث عام ١٩٦٨ وعندما ظهر على السطح ميل « للافـراط فى تسييس الثقافة Super Polixicise Culture ، عاد الحزب ليؤكد من جديد أن ود

التعبير الفنى الى بعد سياسى خالص معناه اننا نتبع اجراء يسلب الفن والسياسة معا خصوبتهما وعناصر قوتهما . وعارضنا أيضا وفى نفس الوقت نظرية الحياد الثقافى . وجدير بالذكر أن السلطات الحاكمة تشجع المحاولات التى تستهدف اعادة تحديد الفن الرسمى واخفاء طبيعتــه الحقيقية خلف رداء النزعة الحديثة (المودرنزم) .

ان الحزب الشيوعى يقف فى صلابة ودون تردد داعيا من أجل الحرية الفنية ومؤكدا الحاجة الى البحث وتباين الاشكال الفنية والمواجهة بين المدارس والاتجاهات الفنية المختلفة . ولكن دعوته هذه ليست دعوة من أجل نزعة تلفيقية ، ذلك لان الشيوعيين ليسوا ، ولا يمكن أن يكونوا محايدين غير مبالين ازاء الدلالة الاجتماعية للفن . مثال ذلك ، لو أن ثمة فيلم ينال من نضال العمال ويفترى عليه أو يشوه الاحداث التاريخيــة مثل المقاومة على سبيل المثال ، فاننا لا نظن أحدا ينتظر منا أن نمتدح هذا الفيلم مهما كانت قيمته الفنية ومهما كان رائعا من حيث جــودة الصناعة السينمائية .

ونود أن نقدم للقارىء رأى الحزب فى هذا الصدد والذى حددته اللجنة المركزية فى اجتماعها عام ١٩٦٦ : « **ان تقدم العلم يستوجب توفر حرية الحوار والبحث** . ولا يعتزم الحزب الشيوعى معارضة مثل هــذا الحوار أو أن يفرض مقدما حقائق وآراء مسبقة ، ناهيك عن وقف الحوار بين أهل الاختصاص . »

« **لا سبيل لتصور مداومة السعى وبذل الجهد فى المجال الفنى بدون مواصلة للبحث ، وبدون تباين للاتجــاهات والمدارس أو بدون صـــدام بينها** . ان الحزب يقدر ويساند الاسهامات المتباينة من جانب المثقفين من رجال الفن من أجل تقدم الانسانية ، كما يقدر ويساند حريتهم فى اطلاق الفنان لخيالهم وذوقهم وأصالتهم الفنية . ويود الحزب منهم أن يفهموا ويساندوا المواقف الايديولوجية والسياسية للطبقة العاملة . »

ان الشيوعيين فى موقف الهجوم ذلك لانهم ينشدون حرية أصـــيلة ويتطلعون لازدهار الثقافة .

معنى الثورة الثقافية

احتفل الحزب الفرنسى فى ديسمبر الماضى بالذكرى الخامسة والعشرين لمجلة « لانوفيل كرينيك **La Nouvelle Critique** وتحدث فى الاحتفال رولاند ليروى عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى وسكرتير لجنته المركزية . وتناول فى حديثه نقاط كثيرة تهم الشيوعيين كما تحدث عن منهج الحزب الشيوعى فى بناء النظام الاشتراكى ـ والمعروف ان هــذه المسألة تتصدر جدول الاعمال اليوم فى فرنسا وفى كل البلدان الرأسمالية الاخرى .

ولقد أفاض رولاند ليروى فى حديثه عن الثورة الثقافية التى قيل وكتب عنها الكثير فى هذه الايام . وأوضح **أن الثورة الاشتراكية ليست مركبا من ثورات اقتصادية واجتماعية وسياسية وايديولوجية . وقال « ان الثورة عملية واحدة تتطورومكوناتها المختلفة بمعدلات سرعة مختلفة. ولكن القوة الدافعة فى التحليل الاخير هى الثورة فى مجال علاقات الانتاج والتى ترتكز على تطور قوى الانتاج على نحو يؤدى موضوعيا الى أوسع قدر ممكن من المشاركة الاجتماعية فى الانتاج . ليس ثمة شيء اسمه ثورة ثقافية خالصة كما وانه ليست هناك ثورة تبدأ بثورة ثقافيـــة . ان الايديولوجية والثقافة لهما جذورهما الممتدة فى حياة المجتمع حيث تمثل معتقدا لدى الناس . وطبيعى أن الثورة فى علاقات الانتاج لن تكون بديلا لثورة فى مجال الثقافة والايديولوجية ، ولكنها ضرورية ذلك لانه فى حالة غيابها وعدم تحققها تصبح الثورة الايديولوجية والثقافية أضغاث أحلام أو مجرد هزل ومزاح . »**

ان الثورة الثقافية تطلق وتحرر الطاقة الابداعية لكل الشعب العامل وتفتح المجال لظهور انماط مختلفة من الثقافة للطبقة العاملة والجماهير الشعبية ، وتهييء الفرص لمساهمة المثقفين فى عمل يفيد المجتمع كله . وتساعد الثورة الثقافية على استئصال التناقض بين العمل اليـــدوى والعمل الذهنى فى العلاقات الاجتماعية ، وتدعم روح البحث بفضـــل ادخال العلم فى كل مجالات الحياة ، وتحفز الابداع الادبى والفنى . ويكفل النظـام الاشتراكى كل الظروف اللازمة لتقـدم المثقفين والشعب العامل اجتماعيا وثقافيا واخلاقيا وسياسيا .

وثمة عنصر هام له شأنه الكبير فى نشاط الحزب الشيوعى الفرنسى وهو النضال من أجل تلبية مطالب المثقفين وتلبية حاجاتهم ، وبذل كل جهد ممكن لمساعدتهم على فهم مزايا التضامن مع الطبقة العاملة ولكى يأخذوا مكانهم فى الحركة التاريخية المزدهرة .

اننا نحصى آلافا من المثقفين بين أعضاء حزبنـــا . وهؤلاء لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، مثلهم مثل رفاقهم الاخرين فى الحزب . بيد أنهم خير الرفاق صلاحية وأكثرهم ملاءمة لتوجيه ومباشرة العمــل اليومى الضرورى الذى هو جزء من نشاطهم المهنى بين أقرانهم فى مجال العمل . وقد ابتدع الحزب أشكالا ووسائل تنظيمية تيسر للمثقفين توجيه ومباشرة هذا الضرب من النشاط المفيد .

لا مراء فى أننا حققنا تقدما فى بناء التحالف بين الطبقة العــاملة وبين المثقفين . ولكن ثمة أعداد متزايدة دوما من الفرنسيين تنشد تحولات سياسية عميقة ، ويتطلب هذا العمل باطراد من أجل مزيد من الدعم لهذا التحالف وتوسيع نطاقه . وهذه هى المهمة التى نذر لها الشيوعيون الفرنسيون انفسهم .

●



لينين والنقابات العمالية

بقلم : جون وليامسون

نرى لزاما علينا أن نعاود النظر دائما أبدا الى تفكير لينين عن النقابات العمالية نظرية وتطبيقا فى ضوء اسهاماته فى مجال كل من النظرية والتطبيق للحركة الماركسية على النطاق العالمى • اذ بينما كان اهتمامه الاساسى منصبا على بلده هو ، أى روسيا ، الا آن كتاباته التى تناول فيها الكثير من القضايا العامة وعالج فيها قضايا البلدان الاخرى تبلغ مجلدات عديدة •

لينين الفيلسوف والمنظر والمنظم

كان لينين باحثا دءوبا فى فكر ماركس وانجلز يستوحى من كتاباتهما الالهام والهدى ، ولكنه أيضا عمل على تطوير علم الماركسية ذاته • انه لم يكن مجرد فيلسوف ومنظر ومنظم للحزب الثورى العمالى ، بل كان قبل هذا كله قائدا او رائدا للنضال الثورى الذى غير وجه العالم ـ ونعنى بذلك ثورة أكتوبر المظفرة التى أقامت فى روسيا أول دولة اشتراكية ، كما كانت وحيا والهاما لكل المقهورين فى جميع أنحاء العالم •

وبينما كان لينين يرتكز بقوة علىالمبادىء الاساسية للماركسية ويتخذها سندا له الا أنه أكد دائما الحاجة الىتقويم وتحليل كل الوقائع والظروف الجديدة فى حرص بالغ ودقة شديدة . فقد قال عام ١٨٩٩ :

« اننا لا نعتبر نظرية ماركس شيئا كاملا مكتملا ، وحرما مقدسا لا يحق انتهاكه بل على العكس فنحن مقتنعون تماما بان كل ما حققته هو أنها أرست الاساس المتين لعلم يتعين على الاشتراكيين أ نيطوروه فى كل الاتجاهات اذا ما شاءوا مواكبة الحياة .. انهذه النظرية لا تقدم لنا سوى مبادىء عامة ترشدنا وتهدينا والتى يمكن تطبيقها فى انجلترا على نحو مغاير لتطبيقها فى فرنسا ، وفى فرنسا على نحو مغاير لتطبيقها فى المانيا ، وفى المانيا على نحو مغاير لتطبيقها فى روسيا »

ويشيع هذا النهج فى كل كتاباته واحاديثه وأعماله على كل جبهات النضال الطبقى .

ولا ريب فى أن كل من بقى منا على الحياة ممن عاصروا أعوام الثورة الروسية وقتما سمعنا لاول مرة عن لينين لديه قصص خاصة يمكن أن يحكيها على مسامع الآخرين . ولهذا فقد آثرت أن أسطر قصصى فى كتاب صدر فى العام الماضى فى الولايات المتحدة الامريكية .

من محاسن الصدف أننى دخلت ميدان العمل والتحقت عام ١٩١٧ بأول مصنع وقد بلغت سن الرشد ونضجت وقتما وقع أعظم حدث فى تاريخ الشعوب المستقلة . وقد عايشت ووعيت أثره على حركة الطبقة العاملة فى الولايات المتحدة الامريكية وانعكاس ذلك على الصراع السياسى والاقتصادى فى أمريكا ودور الحركة الماركسية وتطورها طوال هذه الاعوام ـ وكان اثر كل ذلك عظيما على نفسى وفكرى مما ساعد على تشكيل حياتى .

ولكن لم تتح لى فرصة الاطلاع لاول مرة على كتابات لينين الا عام ١٩٢١ فى بلدة سيتل فى الطرف الاقصى من الشمال الغربى للمحيط الهادى . وصلت الى يدى وقتذاك أربع كتيبات طبعت فى بريطانيا ـ الثورة البروليتارية ، والمبادرة الكبرى ، والدولة والثورة ، والشيوعية اليسارية. اقبلت على قراءتها كلها فى نهم شديد ، وكان الكتابان الاخيران أوقع الكتب كلها اثرا فى نفسى اذ عرضت لى فى وضوح لا مزيد عليه كل اخطاء النزعة الدليونية التى كانت تسبب لى ضيقا شديدا ومزقت أوصال حزب العمل الاشتراكى الى شيع فكرية متباينة والذى كنت ما أزال انتمى اليه ،

هذا فضلا عن معارضة الحزب للعمل داخل النقابات الرسمية للعمال . وأوضحت لى هذه الكتيبات أيضا أن اليسارية المتطرفة التى نزعت اليها الجماعات الشيوعية الاولى لم تكن تتفق أبدا مع آراء لينين .

لنعد الى موضوعنا الاساس فى هذا المقال وهو تقويم لينين لدور النقابات بالاضافة الى أفكار ماركس عن نفس الموضوع . **قال لينين موضحا جوهر نظرية ماركس : « ان القيمة الكبرى والتاريخية لكل من ماركس وانجلز هى انهما أوضحا للبروليتاريا فى كل بلدان العالم دورها ومهمتها ورسالتها اى أن تكون أول من يهب للنضال الثورى ضد رأس المال وأن تجمع حولها فى تحالف وثيق ، وهى تشن هذا النضال ، كل الكادحين والمستغلين » .**

ومما هو جدير بالذكر ، ما قاله ماركس عن النقابية العمالية فى الماضى والحاضر والمستقبل بدءا من عام ١٨٦٦ وذلك فى قرار وضع مسودته لمؤتمر الدولية الاولى فى جنيف . أكد فى حديثه عن ماضى النقابات « أنها أصبحت لا اراديا مراكز تنظيم الطبقة العاملة تماما مثلما كانت المجالس المحلية والكوميونات فى العصور الوسطى تعمل كمراكز تنظيم للبرجوازية » . لقد كان هدف وجودها هو توحيد الاجراء لخوض وتوجيه النضال اليومى الدائر بين العمال والرأسماليين .

واسترسل ماركس قائلا : ان النقابات فى تلك الفترة ــ منذ مائة عام خلت ــ « لم تكن تعترف اعترافا كافيا وكاملا بضرورة العمل على تقويض أسس النظام الرأسمالى ذاته » . وأعلن القرار فى نظرته الى المستقبل : **« ومن ثم فان النقابات اذا كانت تناضل ضد القهر الرأسمالى الا أن من من واجبها أيضا علاوة على ذلك أن تعمل عن وعى وبينة كمراكز تنظيم للطبقة العاملة وصولا الى الهدف الاسمى وهو التحرر الكامل » .**

بيد أن ماركس كان دائما ، وكذلك كان لينين من بعده ، يعتبر أن دور النقابات العمالية هو دور رائد النضال الثورى للعمال من حيث هم طبقة بهدف الاطاحة بالنظام الرأسمالى وبناء نظام اشتراكى . ولقد كان الحزب الثورى السياسى للعمال هو صاحب رسالة تنظيم العمال كطبقة ، والذى يحمل على كاهله المهمة السياسية والدور القيادى لتغيير النظام الاجتماعى .

وترجع كل خبرات لينين عن النقابات العمالية الى حقبة متميزة ومختلفة عن حقبتنا الراهنة من حيث الظروف والخبرة والعلاقات . ويصدق هذا بوجه خاص على كل روسيا قبل وبعد الثورة . **لهذا فان الشىء المهم**

والحاسم هو المفاهيم التى حددت طبيعة تفكير لينين وحججه ونشاطه ... وبيان الى اى حد تتلاءم معنا اليوم .

أربع مناسبات

اذا استعرضنا كتابات لينين على وفرتها وثرائها نجد ان ثمة مناسبات أربع عالج فيها باستفاضة وتفصيل قضايا نقابات العمال . المناسبة الاولى عند مطلع هذا القرن عندما كان الماركسيون يحاولون جهـــدهم صوغ مفاهيمهم الاساسية لبرنامج حزب ثورى ، واستغرق الحـــوار آنذاك سنوات عدة .

يسوق لينين فى كتابه « ما العمل ؟ » الحجج التى يدحض بها الفكرة القائلة بأن النشاط النقابى كاف وحده كبرنامج لحـــزب ماركس ، أو أن بالامكان أن ينبثق الوعى الطبقى تلقائيا من بين هذا النضال الاقتصادى المحدود . ويعرض تفصيلا فى حججه هذه وضع النقابات البريطانية ـ التى تمثل أقلية من العمال وبخاصة الحرفيين ذوى الاجور المرتفعة ـ وكيف استطاعت الطبقة الحاكمة المخاتلة أن تحرف حفنة من هؤلاء العمـــال وتحولهم الى الفئة الاخرى الميسورة . وقد استفادت الطبقة الحـــاكمة لتحقيق اغراضها هذه من الارباح المهولة التى تجنيها من استغلالها المفرط والرهيب لشعوب وثروات المستعمرات .

ومع ذلك فقد اعترف لينين خلال هذه الفترة بأن « النقابات كانت تمثل حركة تقدم مهولة بالنسبة للطبقة العاملة ابان المرحلة الاولى من تطـــور الرأسمالية » . وأن « لم يكن بالامكان ان تتطور البروليتاريا الا هكذا قبل الانتقال الى مرحلة النقابات » .

ولكن ـ وهنا نؤكد على كلمة لكن ونشدد عليها ـ لينين قال أيضا اننا مهما حاولنا أن نسبغ على النضال الاقتصادى ذاته طابعا سياسيا فاننا لن نستطيع أبدا أن نساعد على ظهور وتطوير الوعى السياسى للعمال اذا ما بقينا أسرى الصراعات الاقتصادية ذلك لان حدود النضال الاقتصادى حدود ضيقة شديدة الضيق » .

ولعل فقرة أخيرة نقتبسها من هذه المرحلة تكفى لتوضيح الاسباب التى دعت لينين يرى من ناحية حدود النقابات وقصورها ويرى من ناحية أخرى أن لها جوانب ايجابية لازمة ولا غنى عنها . قال « يقود الماركسيون نضال الطبقة العاملة ليس فقط ابتغاء الوصول الى شروط افضل لبيع قوة العمل بل أيضا لالغاء النظـــام الاجتماعى الذى يخلق هذا الوضـــع . ومن الاهمية بمكان ان نعى حجته التى يقول فيها ان الماركسية « تمثل الطبقة

العاملة ليس فقط من حيث العلاقة بجماعة محددة من أصحاب الاعمال بل من حيث علاقتها بكل الطبقة الممثلة لاصحاب الاعمال وبالدولة من حيث هي قوة سياسية منظمة » .

وكانت المناسبة الثانية فى عام ١٩٠٨ أثناء اجتمـــاع المكتب الاشتراكى الدولى للدولية الثانية والذى كان لينين عضوا فيه . استعرض المكتب أثناء هذا الاحصاء طلب العضوية المعروض عليه من جانب حزب العمال البريطانى. وانقسم الرأى حيث أيدت الاغلبية طلب الانضمام بحجة أن حزب العمال البريطانى يمثل مئات الالاف من العمال الذين يتحركون بالفعل تجـــاه الاشتراكية ، بينما عارضت الاقلية بحجة أن حزب العمل لا يعترف بمبدأ الصراع الطبقى ولا بالاشتراكية .

وكان الانقسام حادا . ولكن لينين أيد رأى الاغلبية التى أقرت قبول عضوية حزب العمال ، وأعلن فى نفس الوقت رفضـــه لبعض المبررات والاسباب التى استند اليها الاخرون فى دعم رأيهم . دفع لينين بأن « من المستحيل أن نرفض طلب عضوية حزب العمال الذى كان الممثل البرلمانى للنقابات » . ولكننا نخطىء اذا ما أعتبرنا حزب العمال مســـــتقلا تمام الاستقلال وبصورة حقيقية عن الليبراليين وانه ينهج سياسة طبقية مستقلة تماما . واقترح لهذا السبب تعديلا لصالح عضوية حزب العمال « لانه يمثل الخطوة الاولى من جانب التنظيمات البروليتارية الاصيلة فى بريطانيا نحو سياسة طبقية واعية ونحو تكوين حزب عمال اشتراكى » .

ومن ثم كانت « التنظيمات البروليتارية الحقيقية الاصيلة » ؟ هى نقابات العمال بكل وضوح . ثم اعاد ما سبق أن قاله أنجلز منتقـــــدا هندمان ومجموعة س . د . ف . فقال « أنهم يعملون كجماعات حلقيـــة طائفية اختفت تماما فى ربط نفسها بالمصالح الطبقية اللاشعورية والقـــوية للنقابات » . وأعلن لينين فى نفس الوقت « بينما كان ضروريا أصلاح هـــذا الذى لا يذكره أحد الا أننا لا نستطيع أن نستنتج من هذا أن بالامكان أن ننظر الان الى خزب العمال كحزب مستقل تماما عن البرجـــوازية يخوض ضدها نضالا طبقيا شأنه شأن أى حزب اشتراكى . لقد كان لينين واعيا تماما بحقيقة أن الكثير من نقابات العمال وقتذاك كانت لا تزال خاضعة لقيادات تنتمى لحزب العمال .

وكانت ثالث هذه المناسبات التى تحكيها عن لينين فى عام ١٩٢٠-١٩٢١ وقتما كان الغزو الاجنبى على وشك الاندحار والانتهاء ولاحت فى الافق آمال البناء والتعمير فى ظل السلام . كان ذلك فى حوار مع تروتسكى وآخرين عن دور النقابات العمالية فى ظل الدولة الاشتراكية .

دفع تروتسكى والآخرون بأن الدولة الاشتراكية تتبنى وتتبع نهجا

اداريا فى موقفها من النقابات وتعتبرها جزءا مكملا لجهاز الدولة الذى يمارس القهر ضد العمال ، ومن ثم دعوا الى « ابتداع صور مقبـولة لاضفاء الصفة العسكرية على النقابات » .

وأعلن لينين رفضه لهذا الضرب من التفكير وذلك خلال معركة من أحـد وأعنف المعارك النظرية التى شهدتها فى حياتى . اذ بينما كان اقتصـاد روسيا السوفييتية لا يزال فى حالة عماء وفوضى والعمال يتضورون جوعا انبرى لينين ليؤكد أن **النقابات ليست فقط ضرورة تاريخية بل انهـا ايضا حتمية تاريخية من حيث هى تنظيم البروليتاريا الصناعية فى ظل حكم دكتاتورية البروليتاريا » . ولكن اذا كانت النقابات هى « تنظيم الطبقـة الحاكمة السائدة » التى تمارس الحكم من خلال سلطة الدولة الاشتراكية فهى أيضا كما يقول لينين « ليست تنظيما يتبع الدولة » انهـا ليست « جهازا مصطنعا من أجل القهر » بل احرى بنا أن ننظر اليه باعتباره مدرسة لتعليم أساليب ادارة العمل والحكم ومدرسة لتعليم ادارة ومراقبة وتنظيم الاقتصاد ومدرسة للشيوعية » .**

ومن الاهمية بمكان الاشارة الى التعبئة التى انبثقت أثناء هذا الحوار وهى السؤال عما اذا كانت النقابات العمالية يمكنها أولا يمكنها أن تؤدى دور الحماية لصالح العمال والدفاع عنهم فى دولة اشتراكيـة . انتهى تروتسكى وآخرون الى النفى . وساق لينين الحجج ليدفع بان النقابات تحمل على كاهلها ، حتى فى ظل دولة العمال ، عبء ومسئولية « الدفاع وحماية المصالح المادية والروحية للبروليتاريا المنظمة العريضة » .

وقد هاجم تروتسكى فى هذا الحوار نقابات العمال وأنها التزمت موقفـا أكثر عدوانية وغير مساوم ضد التآلف والوحدة واتهم قادة النقـابات السوفييتية بالميل نحو « غرس روح الشمولية النقـابية ويدعم ويصون البقايا المتخلفة عن النزعة النقابية » .

وقال لينين ان مثل هذا النهج « سيسبب صدعا » ويفضى الى انهيـار حاسم لدولة العمال . ودفع بان « نقابات العمال ليست شعبا وادارات تابعة للحكومة بل تضم كل البروليتاريا المنظمة » . واستطرد لينين مدافعا عن رأيه قائلا « اذا كانت النقابات حلقة تصل بين الطليعة وبين الجماهير وانها من خلال نشاطها اليومى تدعم الاقتناع لدى جماهير الطبقة القادرة

وحدها دونغيرها على ان تاخذبيدنا لتنقلنا من الراسمالية الىالاشتراكية، اذا كان الامر كذلك فان سلطة دولة العمال ((لا يمكن ممارستها وانجازها من خلال تنظيم يضم كل تلك الطبقة)) .

قد تسالون ولماذا لا ؟ الاجابة لان النقابات تنظم بصورة سليمة وصحيحة كل العمال وتستوعبهم جميعا داخل هذا التنظيم بغض النظر عن آرائهم السياسية وطبيعة وعيهم الطبقى او الاشتراكى ، كما تضم النقابات أيضا الكثيرين ممن لا يزالون يحملون قدرا كبيرا من المتاع الايديولوجى للفكر الراسمالى .

واخيرا فقد كانت المناسبة الرابعة ذات علاقة مباشرة ببريطانيا وان هدفت أيضا بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية والمانيا وغيرهما من الدول الصناعية المتقدمة . اذ الملاحظ أن الهبـــات الثورية التى أعقبت ثورة اكتوبر المظفرة أيقظت العمال فى جميع البلدان بما فى ذلك بريطانيا وحفزتهم الى فكر جديد وحثتهم على بناء تنظيمات جديدة واتباع ضروب جديدة من النشاط . وظهرت فى نفس الوقت حالة من الملل ونفاد الصبر بين أعضاء الجناح اليسارى ممن كانوا يطالبون بضرورة العمل فورا ومباشرة على خوض نضال ثورى . وكان مفهوما أن الذى دعم طابع الملل ونفاد الصبر عندهم هو اتجاه الكثيرين من كبار قادة النقابات الذين رفضـوا ، اثناء تأييدهم ومساندتهم للحرب الامبريالية ، دعم ومؤازرة كفاح العمال ضد أصحاب الاعمال خلال الحرب .

وقد اخذ هذا الملل او نفاد الصبر الثورى صورا متباينة . تمثلت احدى هذه الصور فى دعوة الماركسيين للامتناع عن العمل داخل نقابات العمال لأنها نقابات ((رجعية)) أو تخضع لقيادات يمينية . وأشار لينين فى كتابه ((الشيوعية اليسارية)) الى ويلى جالاتشر كواحد ممن أشرب قلبه انبل مظاهر الحقد البروليتارى ، الذى قال عنه لينين انه باكورة ومطلـــع كل حكمة وأساس كل حركة اشتراكية وشيوعية وركيزة نجـــاحها . ولكن جالاتشر وسلفيا بانخورست وغيرهما ممن ساروا على دربهما عجزوا تماما ، كما قال لينين ، عن تقدير وفهم ان السياسة علم وفن لا ينزل منة وعطاء من السماء بل تنتجه الطبقة العاملة وتخلقه من خلال ممارستها .

ويحدثنا جالاتشر فى كتابه كيف استطاع لينين أن يؤثر فيه ويقنعه بتغيير رأيه ، وتعرف كل بريطانيا كيف امتلك هذا القائد الماركسى المبرز ناصية

علم السياسة وأفاد منه فى المصالح وفى النقابات وكذلك فى المجالس النيابية وفى الطرقات .

وكان لينين يتخذ موقفا نقديا من هؤلاء المخلصين الشرفاء اتباع الجناح اليسارى فى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية والمانيا الذين دعوا الى البقاء خارج النقابات التى تقودها قيادات يمينية. ووصف لينين هذا الموقف بانه باطل وعبث وبين تهافت موقفهم وتفاهته بالنسبة « لمسألة التاثير على الجماهير » .

واستطرد فى دفاعه عن رأيه قائلا « اذا شئت تقديم يد العون للجماهير واكتساب عواطفهم وتأييدهم يجب عليك ... أن تكون نشطا حيثما تكون الجماهير ، ولا ريب فى أن نقـــابات العمال هى احدى هذه التنظيمات الجماهيرية بكل تأكيد » .

بعض النتائج

لنناقش معا الان ، وعلى أساس مفاهيم لينين التى ذكرناها توا ، بعض النتائج العامة مع الاشارة الى مدى ملاءمتها لعصرنا الراهن فى حـــدود الاهتمام بموضوع النقابات العمالية .

1 **واضح ان نقابات العمال أدوات لازمة وضرورية ولا غنى عنها لكل طبقة عاملة تخوض نضالا يوميا من أجل قضايا الاجور وساعات العمل وتحسين ظروف المعيشة .. وطبيعى أن يكون هدف النقابات هو العمل على توحيد كل - أو الغالبية الساحقة - العاملين عملا يدويا وذهنيا وضمهم جميعا الى صفوف عضوية النقابات . وواجب النقابات خـــلال معاركها وخبراتها النضالية وبمساعدة القوى الاشتراكية الواعية التى تضمها داخل صفوفها ، أن تعمل على خلق رؤية طبقية تتطور تدريجيا وتصبح رؤية اشتراكية.** ولاريب فى أن عدو النقابات فى المرحلة الراهنة لرأسمالية الدولة الاحتكارية هو اتحاد طبقة أصحاب الاعمال بسلطة الدولة لهذه الطبقة - بغض النظر عن الحكومة التى يستخدمها جهاز الدولة لصالح الامبريالية البريطانية .

واذا كان نضال النقابة اليوم يتخذ طابعا سياسيا محددا فان النقابات

ذاتها لا يمكن أن تكون البديل لحاجتنا الى قوة طبقية سياسية واعية ومنظمة فى حزب سياسى له برنامج اشتراكى ماركسى واضح المعالم يلتزم بالعمل على استئصال الاستغلال الرأسمالى واقامة سلطة سياسية لدولة العمال — وليس مجالنا هنا مناقشة أساليب تحقيق هذا الهدف .

واذا كانت النقابات شرطا لازما لا غنى عنه فان لها حدودا أيضا . فهى ليست أداة ، ولا يمكن أن تكون أداة لسلطة الدولة السياسية . وعندما تقسو الظروف وتشتد عثرات الطريق سواء وقتما جاهد لينين ليقنع جالاتشر وغيره بالعمل داخل صفوف النقابات والتأثير على العمال (ولن نجد غير قلة اليوم تعارض العمل داخل صفوف النقابات) أو على مسرح الحياة المعاصرة حيث تسود حالة من الاحباط مفهومة الاسباب ازاء سياسة الجناح اليمينى لحزب العمال البريطانى ، فان العامل الحاسم هو البقاء داخل صفوف الشعب العامل مهما كانت الصعاب ، والكفاح من أجل كسب الجماهير وتأييدها لتصحيح سياسة الطبقة العاملة .

وسبق أن أشار لينين عام ١٩١٣ الى أن السلوك الانتهازى لحزب العمال أدى ، كما هى الحال دائما ، الى ظهور ميول نقابية خالصة (بعيدة عن السياسة) بين العمال « وأحسب ان من الملائم الان بالنسبة لاولئك الذين ينخرطون فى صفوف الحركة النقابية اليوم ويفكرون فى « فعالية وكفاية » تلك الحركة اذا ما توفر لها برنامج عمل يسارى يشرف عليه ويوجهه العمال ، أقول من الملائم لهم الآن أن يدركوا أن هذا النهج ، سواء أكانوا يعرفون ذلك عن بينة أم لا يعرفون ، هو النهج السنديكالى (النقابى الخالص البعيد عن السياسة) ولن يتوفر له النجاح أبدا .

ويجد هؤلاء أحيانا أرضا نظرية مشتركة بينهم وبين حفنة من الماركسيين التقليديين المتزمتين الذين يرفضون أيضا رؤية **القسمات المميزة لحزب العمال والتى تميزه عن كل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الاخرى — ونعنى بذلك الدور الحاسم لنقابات العمال داخل حزب العمال . يقينا ان المؤتمر الاخير لنقابات العمال والعديد من المؤتمرات العمالية قد دخلت فى صراع حاد ضد سياسة وأعمال حكومة ولسون العمالية . وباتت الخطوة التالية والحاسمة لهم هى تغيير سياسة وقيادة هذا الحزب الذى تمثل النقابات ركيزته الاساسية .**

٢ النتيجة الهامة الثانية هى أن نفهم طبيعة كفاح لينين ضد « النزعة النقابية » أو « النزعة الاقتصادية » كما كانت تسمى فى روسيا ، والتى تتميز بأنها نزعة ضيقة محدودة بسيطة واقتصادية خالصة . كان لينين يكافح ضد أن تصبح هذه النزعة هى البديل للحزب الثورى الذى يمثل العمال التقدميون سياسيا حجر الزاوية فيه .

بينما امتدح لينين عمله ونشاط سكرتير نقابة عمالية بريطانية الا أنه أكد أن « المثل الاعلى » لاى ماركسى لن يكون ، وينبغى ألا يكون ، **سكرتير نقابة بل منبرا للشعب قادر على التصدى لكل عمل من أعمال الظلم والقهر ضد الشعب ، وقادر أيضا على استخلاص القانون العام والقاعدة الاساسية لكل هذه المظاهر وصولا الى صورة واحدة عن سياسة العنف والاستغلال الراسمالى ... دفاعا عن معتقداته الاشتراكية .**

وكما سبق أن أوضحنا فى دفاع لينين ومحاجاته فان النقابات حتى فى ظل الاشتراكية ليست جزءا من جهاز الدولة على الرغم من أنها جانب حاسم من الطبقة الحاكمة . وأكد لينين أيضا أنه اذا ما كانت النقابات لم تعد تواجه نضالا اقتصاديا طبقيا فانها تواجه بالفعل النضال الاقتصادى اللا طبقى والذى يعنى النضال ضد المفاسد البيروقراطية للجهاز السوفييتى ، وحماية المصالح المادية والروحية للشعب العامل .

واكد لينين الحاجة الى وضع النضال النظرى على قدم المساواة مع النضال السياسى والاقتصادى . واستشهد فى هذا الصدد بما قاله انجلز عن ان « **السبب الرئيسى فى أن حركة الطبقة العاملة الانجليزية تزحف بطيئة جدا على الرغم من اتساع التنظيم العمالى هو موقف اللامبالاة الذى تتخذه الحركة العمالية من النظرية على اختلاف صورها** » . **ولا تزال هذه المشكلة قائمة حتى اليوم .**

وقد كافح لينين من أجل تأكيد مفهوم استقلال النقابات ـ وليس المقصود

هو استقلالها عن الصراع الطبقى أو السياسة الطبقية أو عن الحــزب السياسى للطبقة العاملة ــ بل المقصود هو الاستقلال عن العدو الطبقى وافكاره وحكوماته .

وحذر لينين من أن تتحــول النقــابات الى ذيل تابع للحــكومات والاحزاب الرأسمالية ، كما حذر من كل أشكال التعاون الطبقى والمحاولات المباشرة وغير المباشرة لافســاد قادة النقابات .

والملاحظ اليوم أن النقابات ترفض عن صواب كل جهود حكومة العمال من أجل توريطها فى سياستها المعادية للنقابات والتى تتمثل فى تجميد الاجور وتحديد الدخول وتشريعات حظر الاضرابات ومراقبة النقابات وتوجيــه سياستها . لم يحدث أبدا بصورة واضحة سافرة محددة المعالم كما حدثت مساومات خطيرة ، ولكن الاتجاه العام لسياستكم كان صحيحا ، وتحقيق هذا دون الالتزام بموقف نقابى اقتصادى خالص أو اتخاذ موقف معــاد للسياسة على الرغم من أن هذه الاخطار ماثلة دائما .

٣ النتيجة الهامة الثالثة هى تاكيد لينين على ضرورة البقاء بين العمال وداخل تنظيماتهم الجماهيرية ــ وأهم هذه التنظيمات هى النقابات ، مهما كانت الصعاب التى تواجهنا فى هذا الصدد ومهما كان الطــابع الرجعى الذى يتســم به قادة هذه النقــابات . واذا كانت هذه النظرة صحيحة أيام لينين فى مطلع القرن العشرين فانها أكثر سلامة وصحة اليوم عن ذى قبل .

وثمة عناصر قليلة العدد تسمى نفسها اليوم ماركسيين وتدعو الى ضرورة البقاء خارج النقابات . بيد أن أكثر هؤلاء من الشباب ــ الطلاب وشباب العمال ــ ممن وقعوا تحت تاثير أفكار غير ماركسية وأشرف على تنشئتهم السياسية رجال قالوا عن أنفسهم ادعاء أنهم ماركسيون ويحاولون مراجعة المفهوم الماركسى الاصيل والصادق الذى يؤكد أن الطبقة العاملة هى الطبقة الرأسمالية فى المجتمع الرأسمالى وهى قاعدة النضال من أجل الاشتراكية .

ونذكر من هؤلاء جول سويزى رئيس تحــرير مجلة مانثلى رفيو الذى يقول :

« ... ان هذه النظرية التى تزعم بأن البروليتاريا هى القوة الثورية الاساسية تمثل اضعف نقطــة فى المذهب (الماركسى) كله ... اذ أن

البروليتاريا الانجليزية وغيرها من البروليتاريا الاوروبية الغربية والتى اعتبرها ماركس الطليعة .. قد تحولت بالفعل الى قوى اصلاحية .. ان بروليتاريا الولايات المتحدة لم تتطور لتصبح قيادة أو حركة ثورية لها دلالتها وخطرها ، كما اننا لا نجد سوى علامات ومؤشرات قليلة جدا وضعيفة تدل على انها اليوم تأخذ هذا الشكل بصورة أوضح من أى فترة أخرى فى تاريخها السابق » .

ثم يؤكد سويزى بعد ذلك أن بالامكان التوسع فى أسلوب الرشوة ببعض فائض الارباح ليشمل غالبية بل وكل العمال فى البلدان الصناعية » .

وهناك أستاذ جامعى المانى الجنسية مقيم الان فى الولايات المتحدة الامريكية ، ونعنى به هربرت ماركيوز ، أصدر دراسة تحت عنوان «انذثار ماركس » يعرض فيها نفس هذه الافكار الباطلة ولكن بأسلوب اكثر دهاء . يبدأ انطلاقا من تأكيد ان كل أفكار ماركس قد تأكد صوابها جميعا باستثناء واحدة .

ولكن ما هو هذا الاستثناء الواحد ؟ يعتقد أن الطبقات العاملة لم تعد بأى معنى من المعانى طاقة ثورية كامنة ، كما يؤمن بخطأ حجة ماركس التى يقول فيها بأن « دورة الحرب والكساد هذه لا يمكن كسرها الا اذا ما أتيح للطبقات العاملة التى تنوء وحدها تحت وطأة الاستغلال أن تنتزع جهاز الانتاج وتستولى عليه وتخضعه لادارتها الجماعية » .

ونظرا لان هذين المفكرين لا يزالان يزعمان بأنهما ماركسيين فان لنا أن نسألهما ترى ما هى القوة الدينامية والثورية البديلة للطبقة العاملة ؟ يعتقد سويزى أن هذه القوة هى الجماهير فى البلدان التى تستغلها وتقهرها الامبريالية العالمية ، هذا بينما يرى ماركيوز أن القوة الدينامية الثورية هى الجماهير المستغلة فى البلدان المتخلفة والبروليتاريا الزراعية . وأدرك ماركيوز ضعف هذه الحجة فأضاف أيضا الحركة العمالية السياسية فى بلدان مثل فرنسا وايطاليا والمثقفين المعارضين والشرائح المحرومة من الامتيازات فى الولايات المتحدة الامريكية .

ولا ريب فى ان مثل هذه المفاهيم هى مفاهيم خطرة ، وأيا كانت نوايا أصحابها فانها لا يمكن أن تفضى بنا الا الى نكسة واعاقة عملية الوعى الطبقى والرؤيا الثورية للحركة العمالية فى بريطانيا أو فى الولايات المتحدة الامريكية .

والملاحظ فى ضوء الاوضاع السياسية العامة أن العمال فى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية هم أكثر الفئات معاناة للاستغلال . والطبقة العاملة بحكم ظروفها الخاصة مضطرة الى أن تكون اكثر المكافحين تماسكا

واتساقا ضد الاستغلال والقهر الرأسمالى ، وأن تكون أيضا القوة الحاسمة فى القضاء على النظام **الرأسمالى وبناء الاشتراكية . ان السبيل الوحيد لخدمة المصالح الاساسية للعمال كطبقة هو اقامة شكل من أشكال الملكية العامة لوسائل الانتاج على نحو يحقق الملكية الاشتراكية للانتاج .**

ان الدور القيادى والثورى للعمال ـ فى النضال من أجل تحسين ظروف الحياة فى ظل الرأسمالية ، وكذلك فى النضـــال من أجل ابدال المجتمع الرأسمالى بمجتمع اشتراكى ، هذا الدور ليس أمرا عرضيا فى النظريات الاجتماعية التى قال بها ماركس ولينين بل هو لب هـــذه النظريات وجوهرها الاصيل .

وهذا هو السبب الذى دعا لينين الى أن ينظر نظرة اكبار وتقـــدير لدور ونشاط حركة ممثلى عمال المؤسسات الصناعية فى بريطانيا. ورأى انها ترتبط بأوثق الروابط فى المصانع . ولم تعد اليوم ترى فورد موتور كومبانى أو سير دونالد ستوكس أو أصحاب مؤسسة دوكلاند هم وحدهم فقط الذين يرون حركة ممثلى عمال الصناعات لعنة وكارثة الحركة العمالية . ولـــكن لسوء الحظ فاننا نجد دائما حفنة من قادة النقابات من طراز الديناصور يفكرون بنفس الاسلوب ويحاولون جاهدين حرف واعاقة نشاط النقابات.

ولكن لحسن الحظ فانه مع النمو المطرد للنشاط اليسارى الموحـــد فى عدد من النقابات الكبرى ، والذى يتمثل فى نهاية الامر فى انتخاب قيادات يسارية كانت تشهد تزايدا مطردا لعدد النقابات التى تقدم دعما جديدا لدور لجان ممثلى المؤسسات الصناعية . ويقتضى الامر العمل على توسيع نطاق هذا النشاط ليس فقط كوسيلة لتحقيق ارتباط أوثق بالعمال ، بل كمثال للديمقراطية العمالية التى يمكن اذا ما تمت وتطورت أن تصبح أداة للثورة الاشتراكية .



آخر النتائج الهامة هى دور النقابات فى تغيير هدف وسياسة وقيادة حزب العمال وصولا الى بناء حزب سياسى موحد يرتكز على ماركس .

ليست مهمتنا الان هى تناول المشـــكلات التكتيكية الراهنة من أجـــل انجاز مثل هذا الهدف . وحسبنا هنا ذكر بعض الافـــكار الاساســـية للينين فى هذا الصدد . أكد لينين فى معرض تناوله لهذه المشكلة بصـــورة عامة فى كتاب « ما العمل ؟ » أن المهام الاساسية التى يضطلع بها الماركسيون « ليست قاصرة على ، ولا يستغرقها ، نشاط الاثارة السياسية على الصعيد الاقتصادى ، **وانما رسالتهم هى تحويل سياسة النقابات العمالية الى نضال سياسى ماركسى ، والافادة من ومضات الوعى السياسى التى تومض فى فكر وعقول العمال أثناء النضال السياسى بهدف الارتفاع بهم الى مستوى الوعى السياسى الماركسى »** .

وتناول لينين حزب العمال البريطانى على وجه التحديد فقال « انه حل وسط بين حزب اشتراكى ونقابات عمالية غير اشتراكية » ورفض فى مناسبة أخرى المفهوم القائل ان حزب العمال البريطانى كان يمثـــل « التنظيم السياسى للحركة النقابية » . وقال مدعما رأيه « بينما نجد جمهرة أعضاء حزب العمال البريطانى من العمال ، سواء أكان حقا حزبا سياسيا للعمال ، فانه رهن بمحتوى نشاطاته وتكتيكاته السياسية ومن يقودونه » .

أعتقد أنه بات واضحا أيضا أن حزب العمال البريطانى فى عام ١٩٧٠ ببرنامجه الحالى وقيادته الراهنة ـ والذى تشهد عليه ست سنوات تولى فيها حزب العمال حكم البلاد لا يمكنه العمل من خلال النضال من أجل الاشتراكية فى بريطانيا . ولكن استنادا الى التكتيك الذى أوضحه لينين فان النقابات التى تعارض سياسة حكومة العمال ليس فقط بالنسبة للقضايا النقابية أو القضايا السياسية المباشرة ، بل نعارضها أيضا بالنسبة لقضايا تمثل بداية الطريق للوصول الى جذر مشكلة السياسة الطبقية، هنا أصبح فى امكان هذه النقابات أن تساعد من أجل احداث التغيرات الضرورية داخل حزب العمال البريطانى لتغير من مضمونه .

واضح اننا لا نزال فى بداية الطريق . ولكن نظرا للوضع الفريد المميز للنقابات فى علاقاتها بحزب العمال ، فان العمال أصبح فى مقدورهم تجاوز اسلوب تسجيل مواضع الخلاف مع سياسة حكومة العمال وهو الاسلوب الذى يستهدف الابقاء على الرأسماليين فى السلطة . وسوف يتجاوز العمال هذا الأسلوب بفضل ما تعلموه من خبرات النضال الطبقى والنضال ضد سياسة حكومة العمال بالاضافة الى ارتفاع مستوى الوعى الاشتراكى الذى أسهمت فيه القوى الماركسية . ان بامكانهم اليوم أن يخطوا الخطوة التالية وهى احداث تغيير حاسم فى كل من أهداف وسياسة وقيادة حزب العمال . ولكن لا سبيل لبلوغ هذا كله الا عن طريق وحدة كل القوى الاشتراكية فى داخل الحركة العمالية .

النظرية التى أكدتها الحياة

اقتصرت هذه الملاحظات على جانب صغير جدا عن دور النقابات العمالية . وتعمدت ان أركز حديثى هنا على بعض المبادىء الاساسية للنظرية وتطبيقاتها على الحركة العمالية . وهذا ليس من شأنه بطبيعة الحال ان يقلل من أهمية حشد المشكلات المباشرة التى تواجه النقابات العمالية اليوم . بيد أننا حين تناولنا العمال كطبقة فاننا كنا نتناولهم باعتبارهم حجر الزاوية فى مشكلة لا تزال ملحة بالنسبة للعمال البريطانيين . وقـــد قال لينين : « **الشىء الاساسى فى مذهب كارل ماركس هو أنه أبرز الدور التاريخى للبروليتاريا باعتبارها بانية المجتمع الاشتراكى** » .

ان اسهامات لينين لعلم الماركسية اسهامات لها قيمة خاصة مميزة ، ذلك لانها نظرية اختبرتها الحياة وأكدتها ــ وهو ما تمثل فى ثورة اكتوبر العظمى التى وقعت وكانها بركان عظيم ادى الى حدوث موجات عالية تلطم شواطىء العديد من البلدان فى جميع انحاء العالم .

صفوة القول اننا نجد الكثير من الكتابات التى تحدثنا عن تواضع لينين كما نجد كتابات كثيرة أخرى تحدثنا عن تماسكه الشديد والعنيد كمكافح. ان كلا من ماركس ولينين وحدا بين النظرية وبين التطبيق واعتادا أن يفكرا دائما فى اطار النشاط العمالى والاهداف البرنامجية من خلال التنظيم .

أما أولئك الذين تضيق صدورهم ويهزون رءوسهم لكل حجة أو خلاف فى الرأى ــ أو صراع فكرى داخل الحركة فاننى أوجه اليهم فقرة قصيرة جميلة من كلمات لينين فى كتابه « خطوة الى الامام وخطوتان الى الخلف» . يحدثنا هنا عن مناقشة دارت بينه وبين أحد المندوبين المترددين فى المؤتمر الثانى للاحزاب الاشتراكية الديمقراطية المنعقد فى لندن عام ١٩١٢ ، يقول لينين :

اشتكى لى عضو الوفد قائلا « ما لهذا المناخ المثبط للهمم الذى يسود مؤتمرنا . كل هذا الكفاح الشرس وهذه الاثارات المتبادلة بين الوفد والاخر، وهذه الملاحاة والصراع الفكرى الحاد ، والمواقف والاتجاهات غير الرفاقية» . وأجبته قائلا : « ما أجمل مؤتمرنا هذا . فرصة متاحة لصراع مفتوح . الكل يعبر عن رأيه بحرية . وتكشفت الاتجاهات واضحة جلية . وتحددت الجماعات والفرق فى غير لبس وارتفعت الايدى . واتخذنا قرارا ،واجتزنا مرحلة . فالى الامام . هذا هو ما أحبه ! وهذه هى الحياة ! انه لامر مغاير تماما عن كل المناقشات الثقافية المجهدة التى تدور بين المثقفين وتنتهى لا لان المتحاورين قد انتهوا الى حل للمشكلة بل فقط لانهم تعبوا وكلت ألسنتهم عن الحديث » . حملق فى وجهى الرفيق وقد ارتج عليه وهز كتفيه . لقد كنا نتكلم معا بلغتين مختلفتين .

آمل ألا نكون من هذا الطراز نتحدث معا بلغتين مختلفتين . اننى على يقين من أن الثقة تملؤنا ايمانا بأن الطبقة العاملة فى بريطانيا بقدر ما يشرب فكرها وقلبها بتعاليم ماركس ولينين بقدر ما تعطى اعتبارا كبيرا لذاتها فى النضال من أجل الاشتراكية على نحو ما فعلت فى الماضى وما تفعل اليوم فى نضالها اليومى .

●


أحداث
الشهر

موسكو : أحمد أبو كف



أوركسترا موسكو السيمفوني في القاهرة

انت في العاصمة السوفييتية تستطيع ان تشبع نهمك الفني .. اذا كنت من هواة السماع والمشاهدة .. ومن عشاق الفنون الرفيعة والثقافة الراقية . في كل أمسية من امسيات أيامك التي تقضيها في موسكو ، تجد المسارح تفتح أبوابها لاستقبالك . أكثر من اربعين مسرحا تضيء انوارها كل مساء .. لتقدم لك عشرات العروض من الباليهات الكلاسيك والحديثة .. وعزف الفنانين من خلال الاوركيسترات ، والمسرح ، والسيرك .. بالاضافة الى دور العرض الكثيرة المتنوعة الاحجام والاشكال ..

ولذلك ففي كل ليلة .. تجد الالاف المؤلفة في طوابير ، تسير كالانهار .. من أجل ساعات لذيذة ومفيدة .. يحلقون فيها مع الخيال ، أو يرهفون الاسماع في أحلام ورديه .. ويدققون البصر ، ويمسكون بالقلوب .. في حلبات السيرك .. ومنها سيرك موسكو الكبير بتصميمه الرائع على تل لنين ..

وهذا التحقيق ينسحب على عالم الموسيقى بالذات .. بمناسبة زيارة أوركيسترا موسكو السيمفوني للقاهرة خلال هذا الشهر .. ليقدم عروضه وفنه .. ولتصدح اصوات موسكو الموسيقية على ضفاف نهر النيل ..

ان الحياة الموسيقية في موسكو - والثقافية بوجه عام - أشبه ما تكون ببحر تصب فيه انهار كثيرة ، ذات فروع منتشرة .. حيث « كونشيرتات » الموسيقى الصامتة والغنائية ، وفنون ((الصولو)) و ((المجموعات)) .. والكونشيرتات التي تحتوى على برامج الموسيقى الاكاديمية والشعبية ، وموسيقى المنوعات الغنائية ، والموسيقى الراقصة .. القديمة .. والحديثة أيضا .. وهذه كلها تجعل من اجواء موسكو مع الانوار .. بحرا زاخرا يتلألأ بالاصوات المتنوعة .

والواقع ان أوركيسترا موسكو السيمفوني ، يعتبر واحدا من ستة أوركيسترات سيمفونية

اساسية ، تقدم عروضها فى العاصمة السوفييتية .. منها اثنان لفيلهارمونيا . ومثلهما للاذاعة والتليفزيون ، وواحد للسينما، ثم سادس مخصص لمنطقة موسكو .. يضاف الى ذلك ، وداخل هذا الاطار الكبير عدة فرق اخرى ترسم خطوطا فرعية على لوحة الحياة الموسيقية السيمفونية فى العاصمة السوفييتية، موسكو .

***

وانا فى موسكو .. حضرت عرضا موسيقيا لاوركيسترا العاصمة السيمفونى .. استطعت ان احصل على مقعد فى الصفوف الاولى .. وحين خفتت الانوار وبدأ العرض .. اتضح لى ان قائد الاوركيسترا سيدة ، من بنات « حواء » . اخذتنى المفاجأة بضع لحظات .. لتنتهى سريعا ما زالت مفاجاتى ، حين وجدت الفنانة ، قائد الاوركيسترا .. تديره بمهارة فائقة ، ويتصف اداؤها بالوضوح والجدية ، وتلون الجرس الموسيقى ، والاناقة فى انجاز التفاصيل .. ثم الايقاع الموسيقى الذى شدنى اليه وملأنى بالدفء فى جو موسكو الثلجى البارد .

واسال عن تاريخ هذا الاوركيسترا ، فيقولون لى .. انه اكمل عامه الثلاثين . كان ميلاده وسط المقاومة والنار والبارود ، ايام الحرب العالمية الثانية ، بل فى اوجها . والذى وضع فكرته مجموعة من الموسيقيين المتحمسين ، من مختلف الاعمار والمواهب والاعداد الفنى ، بل مختلف الاتجاهات الموسيقية التى كانت تصطرع فى تلك الفترة . هؤلاء الفنانون كان لهم هدف واضح ومحدد .. هو فتح كنوز الموسيقى امام الجماهير ليغترفوا منها ما يشاءون .

وقد كان طلبة معهد موسكو العالى للموسيقى، ومعهد « جنيسين » الشهير .. بمثابة « النواة » لهذا الاوركيسترا .. ثم انضمت اليهم مجموعات عدة من فرق موسيقية وجوقات اخرى ..

وخلال هذه الفترة ، التى تزيد على ربع قرن من الزمان .. ظل الاوركيسترا ينمو ويترعرع .. وتدخل فى عروقه دماء جديدة متجددة .. ونما تشكيله عدديا ونوعيا .. كما كثرت جولاته وعروضه فى موسكو ، وفى داخل نطاق الاتحاد السوفييتى كله بكل جمهورياته .. بل وفى خارجه ايضا .. فى انحاء العالم .. وعشاق الفن الموسيقى الرفيع

واذا كان فى هذه السنوات الكثيرة قد حدث تطور فى الاوركيسترا .. فان الاتجاه الذى نما من اجله ظل هو الهدف الكبير .. وهو اتجاه الى الجماهير باوسع قاعدتها .. ومن هنا فان هذا الاوركيسترا استطاع ان يجتذب الملايين من عشاق الموسيقى الرفيعة .. فتح لهم ما خفى من اسرار عالم الموسيقى الرائعة ، ليغترفوا منها ما شاءوا .

واذا نحن انتقلنا من الاوركيسترات الكثيرة، التى تصدح بانغامها فى كل مساء .. فنحن نستطيع ان نقول .. ان الحركة الموسيقية السوفييتية بوجه عام تمتلىء بعشرات الاسماء البارزة ، التى تقف امام فرقها ، تقدم ابداعها لمتذوقى النغم الرفيع .. ونذكر على سبيل المثال ، لا الحصر ، نيكولاى جولوفانوف ، المعلم الرئيسى فى البولشوى ، والذى يعود اليه الفضل فى وضع تقاليد البرامج السيمفونية . ثم يورى سيمونوف ، قائد الاوركيسترا الرئيسى فى مسرح البولشوى ، وديميترى كيتابنيكوف قائد الاوركيسترا فى مسرح ستانسلافيسكى . بالاضافة الى اسماء اخرى تسطع كنجوم فى عالم النغم مثل ختشادوريان ، قائد اوركيسترا الدولة للسينما، وكيريل كوندراشين ، قائد الاوركيسترا السيمفونية لفيلهارمونيا موسكو.. ثم الكسندر لازاريف ، وفولديمار نيلسون ، ويفجينى سفيتسلانوف .. ويضاف الى ذلك المايسترو الكبير ، فنانة الشعب فيرونيكا دوداروفا .. قائدة اوركسترا موسكو السيمفوني ، التى سيشاهدها جمهور القاهرة ، وهى تقف خلف منصة القيادة .. لتقود فرقتها ، وتنقل لابناء النيل ، اصوات موسكو ..

***

اقابل الفنانة الكبيرة فيرونيكا دوداروفا .. لاعرف انها بدات قيادة الاوركيسترا منذ اربعة عشر عاما ، فى عام ١٩٦٠ .. رغم انها كانت ضمن مجموعة الاوركيسترا منذ عام ١٩٤٦ .. حيث بدات طريقها الفنى الصاعد فيه ، وتفتحت مواهبها ..

واعرف ان قيادتها للاوركيسترا .. اثارت مناقشات طويلة فى الاوساط الموسيقية والفنية .. لكن هذه المناقشات بين المؤيدين والمعارضين ، سرعان ما حسمتها الفنانة الكبيرة فيرونيكا دوداروفا نفسها .. حين اثبتت جدارتها وقدرتها الرائعة على قيادة اوركيسترا موسكو السيمفوني ...

والواقع ان فيرونيكا « موسيقار » موهوب، وامرأة ساحرة ، تمتزج فيها الانوثة بقوة الارادة والنشاط والاصرار .. وهى سيدة

ممشوقة القوام ، سمراء اللون ، ذات ملامح جادة ، وصارمة !

● وأسال فيرونيكا دوداروفا .. كيف بدأت ، ودخلت عالم الموسيقى ؟

وتقول لي الفنانة السوفييتية مجيبة :

ـ لقد ولدت في اوسيفيا ، شمال القوقاز من اب مهندس ، وام تمتهن حرفة الطب . لكنني عشقت الموسيقى منذ نعومة اظفاري .. تلك التي كانت تلتقطها اذناي من خلال الافراح ، والحفلات الجنائزية .. ثم تلك التي كانت تصدح فوق الجبال حول مشاعل النار .. يضاف الى ذلك اصوات الانهار الجامحة ، والرياح العاصفة .. وهذه كلها بالطبع موسيقى متباينة ، ذات انغام اصيلة رنانة ، دخلت وجداني وسرت في عروقي منذ الصغر .

وتتوقف فيرونيكا لحظات .. كانها تعود الى الماضي البعيد ، ثم تقول :

ـ حين بلغت السابعة من عمري ، كنت ضمن الاطفال الموهوبين الذين التحقوا بمعهد «باكو» للموسيقى ، في جمهورية اذربيجان : وحين انتهيت منه ، التحقت بكلية العزف على البيانو في مدينة المقاومة والصمود .. لينينجراد ..

في هذه الفترة حددت اتجاهي بوضوح ..

لقد كان هدفي ان اكرس حياتي للموسيقى .. وانضممت الى كلية تعليم قيادة الاوركيسترا التابعة لمعهد الموسيقى العالي في موسكو .. حيث درست على مشاهير الموسيقيين السوفييت .. واثناء دراساتي عملت في المسرح المركزي للاطفال . ولقد اجتزت مرحلة الاختبار العملية في استوديو الكونسيرفتوار الاوبرالي .. بعدها عدت الى لينينجراد مرة اخرى لدخول مسابقة قيادة الاوركيسترا عام ١٩٤٦ لانجح فيها

● من خلال مزاولتك لقيادة الاوركيسترا .. ما هو طبيعة هذا المنصب الفني في رأيك ؟

ـ ان قيادة الاوركيسترا .. مهمة عسيرة ومعقدة للغاية .. ورغم ذلك ، فلو قدر لي ان اولد مائة مرة .. لرغبت في كل مرة ان اصبح قائدة للاوركيسترا .. وهذا يعود الى حبي لعملي .. حبا جارفا .. انه يجلب لي السعادة والسرور

● لكن من هو احب المؤلفين اليك .. خاصة وانك تتعاملين مع مؤلفات كثيرة ومتنوعة ؟

ـ الواقع انهم كثيرون .. وساكون بعيدة عن الانصاف لو اخترت اسما او اسماء بذاتها . ان كل عمل موسيقي يعزف واقود الاوركيسترا اثناء عزفه .. يصبح عملا مفضلا لدي ، وبالتالي يصبح كذلك صاحب هذا العمل . فانا

قبل ان اقود عزف هذا العمل الفني ، يكون قد مضى وقت طويل من الحفظ والمران والتدريب على العزف .. واستغرق فيه ليل نهار .. بل انني اعيش مع هذا العازف عصره واسلوبه وموضوعه . اعيش فيه لدرجة انه يصبح جزءا مني .. ومن هنا ياتي العشق .. عشق عمله

● كيف اذن تعيشين موسيقى غيرك ؟

ـ انني دائما حين اتناول اعمال الموسيقيين الكبار .. احاول ان اكتشف الفكرة الفلسفية وراءها او طابعها الخاص ، واسلوبها ، وكذلك اللوحات الفنية فيها من الاشارات الحركية .. هذه كلها تجعلني اعيش في مؤلف النص وعصره .. لكي ياتي العمل الفني نابضا بالحركة والحياة

● واسأل فيرونيكا .. ما هو شعورك ، وانت تقفين خلف منصة القيادة .. في حفل عام ؟

وتجيب قائلة .. والبسمة ترتسم على ملامحها الصارمة :

ـ انني اكون في غاية السعادة .. حين اشعر ان افراد الاوركيسترا يثقون بي ، ويستجيبون لي .. وبان الكل صار في واحد .. وحدة متكاملة الاجزاء .. لكنني حين اسمع

اللحن الختامي تعتريني الشكوك .. هل كان من الافضل ان نعزف هذا المقطع او هذه الجملة الموسيقية بصورة مغايرة لتلك الصورة التي تم بها .. ام لا .. وهكذا !

● وما هي ميزات اوركيسترا موسكو السيمفوني ، التي تقودينه ، بلا تحيز ؟

ـ الواقع ان الاوركيسترا ، قد وصل اليوم الى مرحلة نضجه الفني بلا شك ، ان حساسية افراده الموسيقية الفريدة ، والشعور الرائع بالمجموعة ، واتباع تعليمات القائد ، وجمال المقاطع وتكاملها .. هذه كلها ميزات وصلت بالاوركيسترا الى درجة كبيرة من الابداع والنضج



● عازفة البيانو فى الاوركسترا ●

● لكل اوركيسترا خريطة ، او خط لاعماله .. ماذا فى خطة اوركيسترا موســـــكو السيمفونى ؟

ـ انها تضم الكثير ؟• فهى كما تضم اعمال الكبار مثل موزار وتشايكوفسكى ، وسكريابين، وشوستاكوفيتش ، ورافيل ، ورحمانينوف ، وهايدن وباخ ، وكورساكوف ، وبيتهوفن ، وسترافينيســــكى ، وخاتشـــــا دوريان ، وماليو ، وبيوليوز ، وبروكوفيف •• كما ان الخريطة ايضا لا تنسى اعمال الشباب الموسيقى من امثال شيدرين وبيتروف •• وغـــــيرهما الكثير ••

لكننى احب ان اضيف الى سؤالك . ان الكثير من المغنيين ، وعازفى البيانو ، والكمان والفيولا •• يشتركون مع الاوركيســـترا فى مناسبات وحفلات كثيرة .• وهذه ايضا ميزة من ميزات اوركيسترا موسكو السيمفونى •

● سؤال اخير •• ماذا سيقدم الاوركيسترا فى القاهرة فى نوفمبر القادم ؟

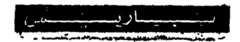
ـ نرجو .. ان تقدم ما يعجب جمهـــور القاهرة الذى يقدر الموسيقى قديمها وحديثها .. صاحب الحضارة والتاريخ القديم .. كما نرجو ان ننجح فى امتاع ابناء النيل • وننقل لهم تحيات ابناء الفولجا •

كما نرجو من خلال اللقاءات .. ان يكون هناك تعاون بين اوركيسترا موسكو السيمفونى •• واوركيسترا القاهرة السيمفونى •• الذى درس بعض افراده فى معاهدنا . وصاروا من العازفين والقادة المجيدين

●



أزمة النقد والبلدان النامية



يعانى النظام النقدى والمال فى الغرب اعراض ازمة حادة تعرضه للاضطرابات الدورية . وتؤدى هذه الاضطرابات الى انعكاسات ضارة للغاية على اقتصاد البلدان النامية ، وذلك لان البلدان الراسمالية المتطورة ، عندما تتخذ اجراءات معينة لتحسين اوضاعها النقدية المالية ، لا تهتم الى الاطلاق باثارها السلبية على بلدان العالم الثالث .

وحينما تعرض الدولار الامريكى للهزات العنيفة ، حاولت حكومة واشنطن تجنب انهيار سمعه عملتها عن طريق برنامج من الاجراءات الاستثنائية . وينحصر جوهر هذا البرنامج فى محاولة القاء عبء الازمة ومصاعبها على كاهل الجماهير الكادحة فى الولايات المتحدة والبلدان الاخرى ، ومن بينها البلدان النامية .

وتعرضت البلدان النامية للاضرار اكثر من غيرها نتيجة زيادة الضرائب ١٠ ٪ على الواردات الامريكية ، وتخفيض المساعدات الاجنبية الامريكية بنسبة ١٠ ٪ ، وهى الاجراءات التى تضمنها البرنامج الاستثنائى لحكومة واشنطن . وتم تسمل هذه الزيادة فى الضرائب المواد الخام . ولما كان عدد من بلدان العالم الثالث يدخل بشكل متزايد الى السوق العالى كمصدر للموضوعات الجاهزة ، فقد اصبح دخلها من الصادرات مهددا بالانخفاض نتيجة لتطبيق الضريبة الجديدة . ولجات الحكومة الامريكية الى الحد من الاستيراد فى وقت كان ينتظر منها ان تنضم الى تلك البلدان التى الغت ضرائب الاستيراد على عدد من بضائع الدول النامية . ورغم ان الضريبة الجديدة لم تطبق الا لفترة قصيرة نسبيا ، الا ان مجرد اللجوء اليها قد كشف بوضوح عن استعداد واشنطن للخروج من المازق النقدى على حساب المصالح الحيوية لبلدان العالم الثالث .

كان برنامج الاجراءات الاستثنائية كان يفترض تخفيضا كبيرا للقروض والديون الامريكية الى البلدان النامية . ففى افريقيا ، مثلا ، نجد ان حوالى ٥٠ ٪ من رؤوس الاموال الامريكية تستثمر فى كل من المغرب وتونس والحبشة ، وكان على هذه البلدان ان تعانى الكثير اثر تخفيض حجم المساعدات . وكان مجموع الموارد

المالية التي تدفقت الى بلدان العالم الثالث في عام ١٩٧٢ يشكل ٦٩ر٠ ٪ من اجمالي الناتج القومي للبلدان الراسمالية المتطورة مقابل ٨٦ر٠ ٪ عام ١٩٦١ ، بينما نمت نفقات الدول النامية على تسديد القروض الخارجية الى ٤٠ ٪ من ايرادات الصادرات .

ان الاضطراب النقدي المالي في البلدان الرأسمالية المتطورة يضع البلدان النامية في ظروف صعبة للغاية ، كما تؤثر الامراض المزمنة التي تعاني منها كالتضخم المالي واضطراب اسعار العملة تأثيرا سلبيا على الافاق الاقتصادية للبلدان الاقل تطورا ، وتؤدي الى هبوط قيمة ايرادات التصدير ومدخرات العملة لديها .

والبلدان الامبريالية التي تتمتع بالقدرة على فرض اسعار معظم البضائع في التجارة العالمية تبيع هذه البضائع للبلدان النامية بثلاثة اضعاف قيمتها لارتفاع الاسعار الداخلية . والتضخم المالي في البلدان الراسمالية المتطورة ، الذي يعتبر سباق التسلح احد اسبابه ، يؤدي الى تغير غير موات في اسعار التجارة الخارجية بالنسبة لبلدان العالم الثالث ويلحق بها خسائر مالية كبيرة .

وكانت خسائر البلدان نتيجة التخفيض المتكرر لقيمة العملتين الراسماليتين الاساسيتين الجنيه الاسترليني والدولار الامريكي ، ملموسة بدرجة اكبر . ولما كانت غالبية البلدان ، ومن بينها دول مثل المغرب والعربية السعودية والعراق والكويت وليبيا ، تشكل احتياطياتها من هاتين العملتين ، فان تخفيض قيمتهما يؤدي بالضرورة الى الحد من القدرة الشرائية لهذه البلدان . ونتيجة لتخفيض قيمة الدولار عام ١٩٧١ ، انخفضت القدرة الشرائية للمغرب ٥ر٤ ٪ ، وللعربية السعودية ٤ر٨ ٪ ، والعراق ٣ر٨ ٪ ، والجزائر ٣ر٦ ٪ والخ . وحسب تقديرات الاخصائيين ، بلغت خسائر البلدان المصدرة للبترول حوالي الليار دولار نتيجة لتخفيض قيمة الدولار .

ولجات البلدان الراسمالية الرئيسية للتوصل الى استقرار علاقات المدفوعات الى رفع قيمة عملاتها ، مما ترتب عليه زيادة عبء القروض الخارجية للبلدان النامية التي ترتبط بهذه العملات . غير ان الدولار ظل سائدا كعملة اساسية للاحتياطات والحسابات في السوق الراسمالي ، ولذلك فلابد من زيادة كمية الدولارات لتسديد القروض السابقة بالماركات والفرنكات والليرات وغيرها من العملات التي زادت قيمتها خلال الفترة الاخيرة . ويكفي ان نشير الى ان القروض بالين كانت تشكل مليارى دولار عام ١٩٧١ . ونتيجة لذلك تعرضت بلدان مثل المغرب والجزائر ومصر وتونس والعراق والاردن وسوريا ، لخسائر تقدر باكثر من ٣٠٠ مليون دولار ، وذلك بشهادة سكرتير مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية . ويعقد ذلك لدرجة كبيرة مشكلة تسديد القروض الخارجية للبلدان النامية التي لا تملك مدخرات بالعملات الصعبة ، تلك القروض التي تجاوزت ١٠٠ مليار دولار ، والتي تتطلب دفع ما لا يقل عن ١٠ مليارات دولار في السنة .

ولقد اضطر عدد من البلدان النامية ، للمحافظة على قدرة بضائعها على المنافسة في الاسواق الخارجية ، الى تخفيض قيمة عملتها على اثر تخفيض قيمة الدولار ، مما كان له تأثيره غير المواتي على اقتصاد هذه الدول .

وباختصار ، فان خسائر البلدان النامية نتيجة للاضطراب النقدي للنظام الراسمالي في مستهل السبعينات ، تقدر وفقا لحسابات الخبراء ، بعدة مليارات من الدولارات . وقد اشارت الصحافة الغربية الى ان « الدول الضعيفة التطور محكوم عليها ان تعاني من نتائج ازمة الدولار اكثر بكثير من الدول التي تتحمل مسئولية تلك الازمة »!

والكثير من البلدان النامية ، رغبة منها في عدم الدفع وفقا للحسابات الامبريالية ، تقف ضد قيود الغرب النقدية ، وترفض المبادىء والطابع الاستعماري الجديد للعلاقات المتبادلة في المجالات النقدية تحت رعاية الدول الاستعمارية السابقة .

ان بلدان منظمة الاوبك ، اعتمادا منها على التضامن المعادي للامبريالية ، قد زادت من قدرتها المالية ، نتيجة لزيادة اسعار البترول . ولديها كل الاسس التي تبرر دعوتها الى رفض سياسة الاملاء الامبريالية ، والى الجلوس على مائدة المفاوضات لبحث اصلاح النظام النقدي .

وتسعى البلدان النامية الى تحقيق

المبادىء التى صاغهابيان الدورة الاستثنائية السادسة للامم المتحدة ، وتطالب باقامة نظام اقتصادى دولى جديد ، وبحقها فى السيادة على مواردها الطبيعية ، وبحماية العالم الثالث من التضخم المالى ، وبمساهمتها المباشرة فى حل قضايا التجارة الدولية .

وهكذا تنتقل البلدان النامية بفعالية متزايدة ، من الكلمات ، ومن انتقاد الوضع الشاذ القائم ، الى العمل ، وهى تضع البنوك والشركات الاجنبية تحت اشرافها ، وتوسع من صلاتها التجارية والاقتصادية مع البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفييتى على وجه الخصوص من أجل بناء وتطوير اقتصادها الوطنى المستقل .

وتتعزز التعاون المتبادل بين البلدان النامية فى جميع المجالات ، وتتوسع البلدان المصدرة للنفط فى الشرق الاوسط وامريكا اللاتينية وافريقيا فى تقديم قروض تفضيلية الى الدول النامية الاخرى لبناء اقتصادها الوطنى وتطويره . وفى المنطقة العربية تتزايد نشاط صندوق التنمية الاقتصادية الكويتى الذى تبلغ قروضه الاجمالية ٢٢٥ مليون دولار ، وتنشط الصندوق العربى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كما اتخذ قرار بتأسيس بنك افريقى عربى للصناعة والزراعة براس مال قدره ٢٠٠ مليون دولار ، وصندوق للتعاون التكنيكى الافريقى العربى . وفى يونيو عام ١٩٧٤ بدأ البنك السنغالى الكويتى العمل فى دكار ، برأسمال اولى قدره مليار فرنك افريقى .

ولم يكن هذا التعاون على الدوام نتيجة لدوافع اقتصادية بحتة ، فالكويت ردا على تهديد الدول الامبريالية بفرض عقوبات اقتصادية ضد العراق الذى امم عام ١٩٧٢ شركات البترول الاجنبية ، وضعت تحت تصرف حكومة العراق ١٤٠ مليون دولار على شكل قروض بدون فوائد . واسس كذلك صندوق خاص لمساعدة الدول العربية التى تعرضت للخسائر فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وهكذا تسعى البلدان النامية لان تصبح لها السيادة الفعلية على مصيرها السياسى والاقتصادى . وهى اذ تسير على طريق تعميق التحولات الاجتماعية الاقتصادية الجذرية ، وتطوير الصلات الدولية المتكافئة تتوصل الى التحرر الاقتصادى ، وتقلل من التأثير الضار للازمات النقدية للنظام الراسمالى العالمى على اقتصاد بلدان العالم الثالث

●●●

عالم رأس المال فى قبضة التضخم

روزمـــــــا

يعانى اقتصاد الراسمالية هذه الايام من نوبة جديدة لمرضها المزمن . فمنحنى التضخم يسير فى اتجاه صاعد من جديد فى البلدان الراسمالية ، وترتفع الاسعار بشكل جنونى ، ونتيجة لذلك يتدنى مستوى معيشة الجماهير العاملة ان وباء التضخم والتفاعل المتسلسل للنزاعات الاجتماعية الذى اطلقه قد أصبحت احد المشاكل الحيوية للبلدان الراسمالية المتقدمة صناعيا . وهو يوضح بما لا يدع مجالا للشك عدم الاستقرار الاقتصادى والسياسى والاجتماعى للراسمالية الاحتكارية المعاصرة .

وانه لامر معتاد أن ينفجر التضخم دوريا بشكل حاذق النظام الاقتصادى الراسمالى . بيد ان موجة التضخم الاخيرة تختلف عما سبقتها من حيث العمق والمدى . لقد اثرت بالفعل على كل بلدان العالم الراسمالى ، ولها طابع عالمى وتأثير خطير على كل المجالات الرئيسية للحياة الاقتصادية والاجتماعية فى هذه الدول ، ولم تعد الحدود القومية بقادرة على أن تقف فى وجه عمليات التضخم التى تستعر فى العالم الراسمالى .

ويتضح التضخم اكثرما يتضح فى ارتفاع الاسعار وخاصة اسعار السلع الاستهلاكية. فالاسعار ترتفع بشكل جنونى فى العالم الراسمالى ، وخاصة فى البلدان الصناعية فى غرب اوروبا .

ووفقا لتقديرات خبراءالسوق المشتركة، ارتفعت أسعار السلع الاستهلاكية ،بالمقارنة مع العام الماضى ، ١٢٪ فى بريطانيا ، ١٥٪ فى ايطاليا ، ٢٣ فى اليابان . وفى الولايات المتحدة قلعة الراسمالية ارتفعت اسعار السلع الاستهلاكية خلال عام حوالى ١١٪ ، كما ارتفع سعر الجملة ٢٥ ٪ .

ولذلك فلا غرابة فى ان خبراء الغرب يدقون ناقوس الخطر بخصوص التفاعل المتسلسل لنمو الاسعار وما يصاحبه من انخفاض قيمة النقود .

وتسعى الدوائر الاعلامية للاحتكارات ، فى محاولتها تفسير المدى الحالى الذى لم يسبق له مثيل للتضخم ، الى القاء مسئولية التضخم على الجماهير العاملة فى البلدان الراسمالية المتطورة ، التى تناضل من اجل حقوقها ، ومن اجل مستوى معيشة اعلى. وليس هناك جديد فى الامر : فالعمال كما ترى يكسبون اجورا اعلى ، والنتيجة ان تستمر الاسعار فى الارتفاع . ومن بين من تلقى عليهم المسئوليـة كذلك حكومات البلدان النامية التى اتبعت خط تعزيز استقلالها الاقتصادى ، والتى اعادت النظر فى الاسعار السابقة لموادها الخام وامداداتها من الطاقة . ولكن ذلك لن يتعدى محاولة لالقاء اللوم على شخص اخر ، ان سياسة الاحتكارات الدولية ونهمها الى الربح عن طريق تخفيض اجور الجماهير العاملة والتبادل غير المتكافىء مع البلدان النامية ، قد دفعت كثيرا بالتضخم وزادت فى نفس الوقت من عدم استقرار المجتمع البرجوازى ومن نمو التناقضات بداخله ، ويكشف عن ذلك بمنتهى الجلاء ((هجوم الخريف)) القوى الجديد الذى تشنه الجماهير العاملة فى عديد من البلدان الراسمالية ، ونمو تضامن العمال ، ونطاق الاعمال الصناعية.

واحتمال تكرار الازمة الاقتصادية المشئومة الثلاثينات يدفع بالحكومات فى الدول الراسمالية الكبرى واليابان الى البحث عن اجراءات لمقاومة التضخم . وقد اتخذت بالفعل اشكال مختلفة لتقييد الاسعار والاجور وجمدت الاسعار والاجور بالفعل ، وجربت



سباق فاشل — بور . إليميوف

كافة الاشكال الممكنة ((لسياسة الدخول)) وفشلت كل هذه الاجراءات فى اعطاء اية نتيجة . وبدات محاولات اخرى لايجاد علاج للمرض الذى يتفاقم . وفى اوائل سبتمبر الماضى عقد وزراء مالية خمس دول كبرى وممثل عن اليابان مؤتمرا فى ضواحى باريس. وكان التضخم هو الموضوع الرئيسى الذى ناقشوه . وبعد هذا المؤتمر مباشرة اجتمع فى بازل محافظو البنوك المركزية فى ثلاثين بلدا . وكان التضخم هو المشكلة الرئيسية التى نوقشت فى هـذا الاجتماع . وكان التضخم هو الموضوع الرئيسى فى المادبة غير الرسمية التى اقامها الرئيس الفرنسى فى باريس لرؤساء الدول والحكومات التسع الاعضاء فى السـوق المشتركة فى منتصف سبتمبر . وفى اواخر سبتمبر عقد وزراء مالية السوق المشتركة مؤتمرا لدراسة الاجراءات الكفيلة بمقاومة التضخم . ثم توالت الاجتماعات مؤتمر دولى فى ديترويت واجتماع على مستوى عالى لممثلى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية فى اليابان فى كمب دافيد ، ثم الدورة السنوية لصندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير فى اوائل اكتوبر وكان تلك المؤتمرات والاجتماعات لم تؤد الى اية نتيجة عملية.

وعقد الرئيس الامريكى جرالد فوردمؤتمرا خاصا لمناقشة المصاعب الاقتصـادية فى الولايات المتحدةوغيرها من البلدانالراسمالية

وحضر المؤتمر عدد كبير من رجال الاقتصاد والقادة النقابيين واعضاء الكونجرس . ولكنه لم يخرج من كل هذه المداولات باقتراحات او اجراءات جديدة غير تلك التى كان يطبقها وينتهجها سلفه نكسون لمواجهة التضخم .

وهكذا توصل زعماء الدول الغربية الرئيسية وخبراء المال البارزون الى نتيجة ان الاقتصاد الراسمالى يواجه مأزقا . ان كساد الانتاج ، والتضخم وما يترتب عليه من البطالة الجماهيرية وتدنى مستوى معيشة الجماهير العاملة ، يؤدى الى تفاقم التناقضات الطبقيه ويكشف عن عجز المجتمع البرجوازى عن حل المشاكل الملحة للجماهير العاملة . وتنمو نضالية الطبقة العاملة فى البلدان الراسمالية ، كما تتسع جبهة المعارك التى تخوضها البروليتاريا .

ومع ذلك ، فان محاولات التكيف مع الظروف الجديدة لايعنى باية حال ان الراسمالية قد توصلت الى استقرار نظامها . فالازمة العامة للراسمالية تستمر وتزداد عمقا

●●●

جرائم ذوى الياقات البيضاء

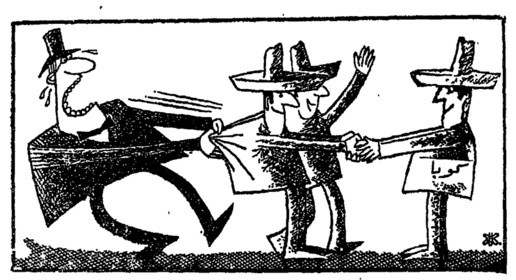
نيويورك

الجريمة فى الولايات المتحدة كابوس يجثم على صدر المجتمع ويؤرقه ويشغل بال الحكومة والرأى العام ، ويرعب كل مواطن هناك ، غير ان هناك جرائم معينة تشغل الراى العام اكثر من غيرها . ويدور الحديث عن جرائم « ذوى الياقات البيضاء » التى تسبب للامريكيين اضرارا اكثر فداحة مما تسبب لهم الجرائم العادية للسرقة والنهب والاغتصاب فالمشاركة فى مؤتمرات سرية لفرض اسعار معينة فى مجال سلعة او اخرى ، مع اخفاء المدبرين الحقيقيين وعن طريق الحد من الدخول وتزييف جودة البضائع واستخدام العمليات الاخرى غير القانونية فى مجال الانتاج والتجارة والخدمات ، تؤدى فى الواقع الى سرقة الامريكيين بصورة اخطر مما تقوم به عصابات المافيا اواللصوص الافراد

ونادرا ما يتم اكتشاف المجرمين من «ذوى الياقات البيضاء » ، كما انه من النادر بدرجة اكبر تقديمهم للمحاكمة . بيد انه فى بعض الاحيان تطفو الحقائق الدامغة على السطح فقد تظهرت فى عام ١٩٦١ فى فيلادلفيا قضايا شركات انتاج وتصريف المعدات الكهربائية ، وكان لهذه القضايا دوى هائل فى طول البلاد وعرضها . وفى احدى تلك القضايا اتهمت ٢٩ شركة للمعدات الكهربائية من بينها «جنرال الكتريك » و«وستنجهاوس الكتريك » بمخالفة قانون شيرمان المعادى للاحتكار . وكانت التهمة الموجهة اليهم هى الاتفاق سرا على فرض اسعار معينة على بعض انواع المعدات الكهربائية . وعند تقرير نتائج هذه المؤامرة ، اتضح ان الاتفاق السرى الذى فرضت عن طريقه تلك الشركات اسعارا معينة على المعدات الكهربائية ، عرض المستهلك الامريكى العادى لخسائر تعادل الاعمال الاجرامية لكافة جرائم السرقة فى الولايات المتحدة خلال عام .

غير ان التحقيق الذى اجرى فى فيلادلفيا اتخذ مجرى معينا . فعلى الرغم من توجيه الاتهام لرؤساء عدد من الشركات الصغيرة والى خمسة نواب رؤساء شركتين كبيرتين ، تعمدت الحكومة عدم المساس باى من القيادات العليا اوتحميلها للمسئولية ، تلك القيادات التى تنتمى الى الصفوة العليا من رجال الاعمال فى صناعة الكهرباء .

ومن الصعوبة بمكان تقدير حجم عمليات النهب التى قامت بها عصابة ذوى الياقات البيضاء بدقة . ويرجع ذلك على وجه التحديد الى انه لم يتم الكشف الا عن جزء يسير من جرائمهم . ولا تتوفر لدينا اية بيانات احصائية عن مستوى هذا النوع من الجرائم . غير ان المعلومات التى تحت ايدينا توضح ان جريمة ذوى الياقات البيضاء فى الولايات المتحدة هى ظاهرة منتشرة فى البلاد ، وتسبب اضرارا جسيمة للمجتمع وتفوق هذه الجريمة كثيرا الضرر



مصافحة قوية — ف . فولكوف

الذى تسببه هذه الجرائم التقليدية كالسطو ونهب الممتلكات »

لقد اوضح البروفسور ساترليند منذ سنوات ، وهو أول من اكتشف جريمة ذوى الياقات البيضاء ، ان مخالفة القانون الجنائى ، التى ارتكبتها الشركات التجارية والصناعية الضخمة فى الولايات المتحدة ، توقع اضرارا بالغة فى المحل الاول بالطبقات الكادحة .

وكتب البروفسور ساترلينند ، يصف الموقف الناجم فى ذلك الوقت فقال :

« ان الالات الجراحية ، التى بواسطتها يرى المولود نور العالم ، والزجاجة والغطاء ، الذى يلف فيه ، والشارة التى علقها له والداه يوم مولده ، وكل ما يستخدمه المولود على امتداد حياته ، حتى التابوت ، الذى يوضع فيه ، عندما تاتيه المنية ـ كل هذا تم انتاجه وبيعه بشكل مناف للقانون !! « الجريمة والتجارة ـ تاريخ الاكاديمية الامريكية فى السياسة وعلم الاجتماع ، المجلد ٢١٧ ، ص ١١٢ . »

ورغم ان ذوى الياقات البيضاء لايقومون عادة بتقديم الرشاوى للبوليس ، ولايقتل الشهود ، فهناك وجه شبه حقيقى بينهم وبين الجانجسترز . فكلا النوعين من الجريمة ظهر تحت تاثير وفلسفة ممارسة التجارة الاحتكارية الضخمة . ويتصف الاثنان بالمنافسة « الداخلية » ، و « الخارجية» [illegible] ، كما ان تكوين الشركات انما يستهدف تحقيق دخول منافية للقانون .

وفيض الجريمة المنظمة ، الذى يغمر الولايات المتحدة ، سواء ما يرتكب منها على قارعة الطريق او يرتكبه ذوو الياقات البيضاء ، يجب ان ينظر اليه كجزء من ظاهرة متكاملة ، للازمة التى تضرب بجذورها فى أعماق المجتمع الامريكى . وتولد تلك الازمة أزمة الثقة العميقة عند الامريكيين فى كل نظام الحياة الامريكية ومبادئه .

على طريق الثورة الاشتراكية

بقلم : اريك هونيكر

يوافق السابع من اكتوبر ١٩٧٤ ذكرى مرور ٢٥ عاما على تأسيس جمهورية المانيا الديموقراطية . وخلال تلك الفترة سار تاريخ امتنا فى طريق جديد من حيث الاساس وحققت الجماهير العاملة فى بلادنا ، بتنفيذها للثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية تحت قيادة الطبقة العاملة المتحدة وحزبها الماركسى اللينينى ، تغييرات بعيدة المدى فى وجودها الاجتماعى .

وتحتفل جمهورية المانيا الديموقراطية بعيدها الخامس والعشرين وهى دولة قوية حية تتبع سياسة ثابتة للسلام والتضامن المعادى للامبريالية . وكسبت حكومتنا ، حكومة العمال والفلاحين ، اعترافا عالميا شاملا ، بوحدتها التى لا تنفصم مع الاتحاد السوفييتى ، وكجزء لا ينفصل عن اسرة البلدان الشقيقة . وبفضل القوة الخلاقة للطبقة العاملة والعمل المتفانى المجيدلشعب تخلص من الاستغلال الراسمالى ، تبرز فى بلادنا مزايا الاشتراكية وتفوقها بوضوح يتزايد على الدوام .

واتسمت كل مرحلة من مراحل الطريق الذى قطعناه طوال خمس وعشرين عامابعمل شاق وصراع طبقى مرير ضد الامبريالية والنزعة العسكرية . وقد شهدت هذه السنوات اندحار المحاولات المتكررة للقوى الرجعية فى جمهورية المانيا الاتحادية لتحطيم الدولة الالمانية الاولى للعمال والفلاحين . وكان تاسيس وتطوير جمهورية المانيا الديموقراطية مساهمة هامة فى التحول المستمر لميزان القوى العالمى لصالح الاشتراكية . فقد زادت فى اضعاف الامبريالية الالمانية العدوانية المسئولة عن شن حربين مدمرتين .

ويجد شعور الاعتزاز بما انجزته بلادنا تعبيره فى مبادرات عديدة من العمال تهدف الى ضمان التنفيذ المستمر لقرارات المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكى الالمانى الموحدالتى استهدفت بناء مجتمع اشتراكى متطور . وافضل ما تميز به جو الاعداد للعيد هو السعى لتنفيذ الخطة الاقتصادية لعام ١٩٧٤ قبل الموعد المحدد ، والتحديد الدقيق لخطة العام القادم . ومواطنو جمهوريةالمانيا الديموقراطية تحدوهم خبرة ودروس خمسة وعشرين عاما من الكفاح فى سبيل السلم والديمقراطية والاشتراكية ، يتقدمون بعزم وتفاؤل على الطريق التى رسمها المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكى الالمانى الموحد .

ويرتبط تاسيس ونمو جمهورية المانيا الديموقراطية بشكل لا ينفصم مع الانتصار التاريخى العالمي لشعوب الاتحاد السوفييتى على الفاشية الهتلرية. فالجيش السوفييتى هو الذى قام ، فى صراع بطولى تطلب تضحيات هائلة ، بتحرير الشعوب التى كانت تستعبدها الامبريالية الالمانية ، وفتح بذلك افاقا جديدة للتطور الاجتماعى العالمى . وظهرت فى الاراضى المحررة ، المحمية من التدخل الامبريالى ، ظروف ملائمة لتغيير ثورى ضرورى موضوعيا . واصبح من الممكن فى آراضى جمهورية المانيا الديمقراطية ، وعدد من البلدان الاخرى . الاستفادة من الطاقات الثورية الضخمةالتى تحررت نتيجة لانهيار الفاشية الالمانية . وهكذا، ادى انتصار الاتحاد السوفييتى فى الحرب الوطنية العظمى والانطلاق القوى لجميع الحركات الثورية عقب الحرب العالمية الثانية ، الى رفع العملية الثورية العالمية الى مستوى جديد اعلى . ومنذ البداية، كانت جمهورية المانيا الديموقراطية جزءا لا يتجزا من هذا التطور الثورىالعالمى ومساهما نشطا فيه .

وكما هو الحال فى البلدان الاخرى ، فان تاسيس حكم عمالى فلاحى فى بلادنا سرعان ما اصطدم بمعارضة ضارية منقوى طبقية محتضرة ، من الاحتكاريين والاقطاعيين والفاشيين النشطين والعسكريين . وواجه جبهة موحدة من اشد قوى الامبريالية رجعية ، التى لم تدخر جهدا لمنع تقدم الاشتراكية فى وسط اوروبا .

وفى مثل هذه الظروف من الصراع الطبقى ، لا يمكن ضمان وجود وتطور جمهورية المانيا الديموقراطية الا من خلال التعزيز المتواصل لسلطة العمال والفلاحين والتحالف الذى لا تنفصم عراه مع بلد الاشتراكية الاول ، بلد لينين . ان تكوين وتطور جمهورية المانيا الديموقراطية لميصبح نقطة تحول فى تاريخ شعبنا وحدثا ذا مغزى عالمى الا لان جمهوريتنا ، بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الثورى ، كانت اول دولة المانية تستاصل السياسة الرجعية المعادية للوطن ، القائمة على كراهية الاتحاد السوفييتى ومعاداته . ومنذ البداية ، جعلت التقاليد الثورية للصداقة الالمانية السوفييتية حجر الزاوية لسياستها الرسمية . « والحزب الاشتراكى الالمانى الموحد » كما اعلن ويلهلم بيك ، اولرئيس لجمهورية المانيا الديموقراطية ، « ان الشعب الالمانى ، يجب ان يقيمعلاقاتجديدة ودية مع الاتحاد السوفييتى ، وان الدعاية الافترائية ضد الاتحاد السوفييتى لا يجب ان تحدث مرة اخرى على الاطلاق فى المانيا وقد اعتبر حزبنا دائما الموقفمن الاتحاد السوفييتى مسالة حاسمة بالنسبة لتطور وتدعيم الاشتراكية على الارض الالمانية .

وتؤكد تجربتنا درس التاريخ: فالصداقة الراسخة مع الاتحاد السوفييتى ، والنضال ضد معاداة الشيوعية والسوفييت يتفق تماما ومصالح كل شعب . فسياسة وايديولوجية معاداة الشيوعية والسوفييت قد تكشفت دائما وفى كل مكان على انها سياسة وايديولوجية الطبقات التى ادانها التاريخ الاجتماعى .

ان السنوات الخمس والعشرين من عمر جمهورية المانيا الديموقراطية تشكل ربع قرن من المشاركة الاخوية مع الاتحاد السوفييتى والاسرة الاشتراكية كلها . وجميع انجازاتنا الحاسمه تقوم على اساس متين من التحالف الاخوى بين الجماهير العاملة فى جمهورية المانيا الديموقراطية وشعوب الاتحاد السوفييتى ، على علاقات ودية واسعة بين الحزب الاشتراكى الالمانى الموحد والحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى وعلى الاممية البروليتارية . والانضمام الى معاهدة وارسو والى مجلس التعاون الاقتصادى وكذلك المعاهدات الثنائية للصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة المعقودة منذ منتصف الستيناتهى معالم عامة فى تطور جمهورية المانيا الديموقراطية ضمن اطار الاسرة الاشتراكية. واليوم يتمثل الاتجاه الرئيسى للعلاقات بين جمهورية المانيا الديموقراية والاتحاد السوفييتى فى روابط اكثر وثوقا فى جميع الميادين ، فى الحياة الحزبية والعلاقات الحكومية ، فى الشئون الاقتصادية والثقافية . وهكذا ، يتسع التحالف المجرب بين جمهورية المانيا الديموقراطية والاتحاد السوفييتى من حيث مداهونطاقه . وامكن للاهداف التى تكلم عنها بريجينيف ، السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ، فى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب ان تعطى ثمارها : « اننا نريد ان نرى النظام العالمىللاشتراكية كعائلة متماسكة من الشعوب تبنى المجتمع الجديد وتدافع عنه سويا ، ويغنى بعضها بعضا بالتجربة والمعرفة ، عائلة قوية

متلاحمة ، ترى فيها شعوب العالم نموذجا للأسرة العالمية المقبلة للشعوب الحرة » .

ولتحقيق التحول الحاسم فى تاريخ شعبنا، كان من الضرورى أن نربى فى الطبقة العاملة القدرة على قيادة تلك العملية التاريخية . وقد تطلب ذلك ، اولا وقبــــل كل شىء ، التغلب على الانشقاق الذى سببته الانتهازية فى حركة الطبقة العاملة . فالشيـــوعيون الخارجون من سجون الفاشية والعائدون من المهجر ، ركزوا جهودهم على توحيدالطبقة العاملة ، مسترشدين بفرضية لينين القائلة بأن فرض الماركسية - اللينينيــــة هــو البرهنة على الرسالة التاريخية العالميـــة للطبقة العاملة .

لقد بينت اللجنة المركزية للحـــــزب الشيوعى الالمانى اهداف واتجاه الكفـــاح الثورى فى ندائها الصادر فى ١١ يونيو ١٩٤٥! وكانت المهمة الملحة كما حددها هذا النداء هى تاسيس جمهورية ديموقراطية معـــادية للفاشية تمنح جميع الحقـــوق والحريات للجماهير العاملة ، وبذلك تمهد الطريق الى الاشتراكية . واصبحت تلك الوثيقة الهامة برنامجا للعمل المشترك للطبقة العـــاملة ، واساسا لتشكيل حلف بين جميع الاحزاب الديموقراطية المعادية للفاشـــــية . وايد المجلس المركزى للحزب الاشـــــــــتراكى الديموقراطى الالمانى بصـــورة مطلقة نداء الحزب الشيوعى الالمانى وبفضل تعـــاون الحزبين الشيوعى والاشتراكى الديموقراطى شكلت الحركة النقابية ، التى انتعشت بعد جفاف دام اثنتى عشرة سنة ، تنظيما متكاملا يستند الى نقابات صناعية .

وازداد العمل الموحد للشـــــيوعيين والاشتراكيين - الديموقراطيين قوة فى كفاحهم من اجل اقامة نظام ديموقراطى معــــاد للفاشية ، من خلال التوضيح المشــــترك للمسائل الايديولوجية والسياسية. واصبح الحلقة الرئيسية فى توحيد جميع القـــوى الديموقراطية المعادية للفاشية . ولهـــذا السبب ركز الرجعيون والقادة الاشتراكيون - الديموقراطيون اليمينيون جهودهم لاضعاف الوحدة الوليدة . لقد كانت المســـالة بين سنتى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ هى : اما رفع العمل الموحد الى مســـــتوى اعلى يقترن بدمج الشيوعيين والاشتراكيين - الديموقراطيين فى حزب ماركسى ثورى واحد او الا يكـون هناك عمل موحد على الاطلاق .

وفى ذلك الوضع بالذات بادر الحـــزب الشيوعى الالمانى للعمل على دمج الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين فى حزب اشتراكى المانى موحد . وقد تحقق الاندماج فى ابريل ١٩٤٦ على اساس برنامج ماركسى متماسك. وكانت المطالب الرئيسية لذلك البرنامج ، المستندة الى نداء الحزب الشيوعى الالمانى الصادر فى ١١ يونيو ونداء الحزب الاشتراكى - الديموقراطى الالمانى الصادر فى ١٥ يونيو تستهدف تاسيس جمهورية ديموقراطية معادية للفاشية بلا احتكارات ولا اقطاعيين، واعلنت الاشتراكية هدفا بعيد المدى .

وفى وقت الاندماج لم يكن لدى جميـــع اقسام الحزب وضوح تام بشان طريق او هدف الطبقة العاملة . غير ان الحـــزب الشيوعى الالمانى توصل الى الاستنتاج بان مهمة التوضيح يمكن ان تنجز من خلال عمل صبور داخل الحـزب الموحد . وكان ذلك استنتاجا صائبا . فلقد نضج الحـــزب الاشتراكى الالمانى الموحد سياسيا فى الكفاح من اجل تنفيذ المهام الاساسية للتغيـــير الديموقراطى المعادى للفاشية ، واصـــبح بصورة متزايدة الطليعة الواعية للطبقـــة العاملة .

ومارس حزبنا عملا ايديولوجيا واسعا . وكانت تجربة الحزب الشيوعى فى الاتحـــاد السوفييتى ذات عون كبير لنا وكان الالمام بتاريخه لا يقدر بثمن فى تعزيز الوحـــدة والتماسك الايديولوجى - السياسى للحزب الاشتراكى الالمانى الموحد . وفى مجـــرى عملية تقسيمة ايديولوجية دامت بضـــع سنين ، اتخذ الحزب الاشـــتراكى الالمانى الموحد شكله كتحـــالف ماركسى - لينينى لاناس متشابهى التفكير وحلقة قوية فى الحركة الشيوعية العالمية . وكانت المقدمة الرئيسية لذلك هى ، بالاضافة الى الالمام الجيـــد بتجربة الحزب الشيوعى فى الاتحـــــاد السوفييتى، فهم عميق للينينية، الماركسيه عصرنا .

ان حقيقة ان جمهورية المانيا الديموقراطية منذ انشائها كان يقودها حـزب ماركسى - لينينى موحد اكدت استقرارها السياسى . ففى بلد مثل جمهورية المانيا الديموقراطية، حيث تؤلف الطبقة العاملة الاغلبية الساحقة من السكان ، تكتسب وحدة الطبقة العاملة على اساس الماركسية - اللينينية اهميـــة خاصة بالنسبة لتطور الحـــزب اللاحق . ونحن نستطيع ان نتحدث عن انفســـــنا

بكلمات لينين : « ان كل ما حققناه يأتى ليبين باننا نستند الى اروع قوة فى العالم — قوة العمال والفلاحين» « المؤلفات الكاملة « المجلد ، ٣٣ ص ١١٧ » .

ويزداد دور الطبقة العاملة وحزبها الماركسى — اللينينى مع كل درجة جديدة من التقدم الاجتماعى . فكلما تعاظم نطاق ومجال الاحداث التاريخية ، تعاظم عدد الجماهير المساهمة فيها ، والعكس ، بالعكس ، فكلما ازداد عمق التغيير الذى نرغب فى تحقيقه ، وجب علينا اثارة مزيد من الاهتمام به والموقف الذكى منه» واقناع مزيد من الملايين وعشرات الملايين من الجماهير بانه ضرورى . « المرجع السابق ، المجلد ٣١ ، ص ٤٩٨ » . وهذه الحقيقة ، التى قال عنها لينين بانها «واحدة من اعمق قواعد الماركسية » « المصدر نفسه » ، تقدم تبريرا مقنعا للتعزيز الطبيعى لدور الحزب الماركسى اللينينى فى تاسيس نظام اشتراكى . وهى تنطبق تماما على بلادنا .

لقد ركز المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكى الالمانى الموحد الانتباه على دور الطبقة العاملة فى المجتمع ، وفى الوقت نفسه حدد عددا من الاجراءات التى تستهدف زيادة تقوية المكانة الاجتماعية للعمال فى الدولة . وتم اتخاذ الاجراءات لزيادة نصيب الطبقة العاملة فى الدخل الوطنى المتنامى مما ينسجم مع موقع العمال فى المجتمع ، وخاصة فى الصناعة . ويزداد باضطراد عدد من يشتغلون فى الصناعة مباشرة بين مندوبى الهيئات التمثيلية المنتخبة . كما تحسن التركيب الاجتماعى السياسى لحزبنا لصالح عمال المصانع .

واخيرا وليس اخرا ، كشفت قابلية الطبقة العاملة للقيادة السياسية عن نفسها فى التقوية المستمرة والتعزيز المتزايد لتحالفها مع طبقة الفلاحين التعاونيين والجماهير العاملة الاخرى فى المدينة والريف. وهكذا، اصبح فى مقدور الفلاحين والمثقفين، والحرفيين والجماهير العاملة الاخرى الاستفادة من مواهبهم لمنفعة الشعب كله فى بناء المجتمع الجديد .

لقد عزز الحزب الاشتراكى الالمانى الموحد، بتطبيقه الخلاق لمبادىء لينين فى سياسة التحالفات ، التعاون بين حزب الطبقة العاملة والاحزاب الديموقراطية التى ظهرت بعد ١٩٤٥ : الاتحاد الديموقراطى — المسيحى ، الحزب الديموقراطى — الليبرالى ، الحزب الديموقراطى الوطنى ، والحزب الديموقراطى الفلاحى . وقد نضج التعاون فى مجرى التغيير الديموقراطى المعادى للفاشية واصبح اكثر وثوقا فى مجرى بناء الاشتراكية .

ان تطور جمهورية المانيا الديموقراطية يؤكد بان حزب الطبقة العاملة لا يستطيع قيادة الشعب بصورة صحيحة الا اذا اهتدى بالقوانين العامة للثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى ، وهذا ما يتطلب التطبيق الخلاق للماركسية — اللينينية فى الظروف الملموسة للكفاح ، وكذلك . الاستفادة الكاملة من التجربة الغنية للحركة الشيوعية العمالية، وبالدرجة الاولى للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى لان كل ثورة تحدث فى ظروف خاصة ، وبالتالى ، تكتسب اشكالا وسمات خاصة . ولا يمكن لاية ثورة ان تكون نسخة طبق الاصل من ثورة اخرى . ومما له اهمية كبرى فى تطوير استراتيجية وتكتيك قائمين على اساس علمى هو الفهم العميق للمضمون الرئيسى لكل مرحلة من مراحل العملية الثورية .وتجربة الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى لم تساعد حزبنا فى وجهته الاساسية فحسب ، بل ساعدته كذلك فى التوصل الى افضل السبل والوسائل لحل كثير من القضايا العملية .

وتؤكد تجربتنا بان تحطيم ماكينة الدولة البرجوازية القديمة فى المرحلة الديموقراطية الثورية المعادية للامبريالية ، هو شرط حاسم للتقدم نحو الثورة الاشتراكية . واقامة السيطرة السياسية للطبقة العاملة ليست عملا يتم بضربة واحدة . ففى بلادنا انطوت على عملية طويلة من التغيير الثورى ، كما انها لم تكن عملية سلمية ، فقد اقترنت بصراع طبقى مرير تطلب مستوى عاليا من الوعى السياسى للطبقة العاملة وتنظيما افضل لجهاز الدولة الجديد .

واكمل دستور جمهورية المانيا الديموقراطية الصادر فى اكتوبر ١٩٤٩ بناء جهاز الدولة لدكتاتورية البروليتاريا . ولم يستطع الامبرياليون الاجانب والقوى المحلية المضادة للثورة ايقاف الانتقال من التغيير الديمقراطى المعادى للامبريالية الى الثورة الاشتراكية على الرغم من تخريبهم وتجسسهم، ومن تنظيمهم « عمليات الهروب من

الجمهورية» ، ومن محاولاتهم المباشرة لاسقاط حكومتنا العمالية – الفلاحية .

وهكذا، فان فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية فى بلادنا اتسمت بعوامل مواتية للغاية ، وبعدد من التطورات المعقدة غير المواتية كذلك . والعوامل المواتيةلتطور الثورة الاشتراكية كان خلقها انطلاقالعملية الثورية العالمية نتيجة لانتصار الجيش السوفييتى على الفاشية الهتلرية ووجود القوات السوفييتية فوق اراضى جمهورية المانيا الديموقراطية ، وكذلك ، المساعدة الاخوية للدولة الاشتراكية الاولى وبقية اعضاء الاسرة الاشتراكية . وفى الوقت نفسه ، كان علينا بناء الاشتراكية فى بلد فرضت ضده القوى الامبريالية حصارا دبلوماسيا وحصارا اقتصاديا جزئيا . اما فى جمهورية المانيا الاتحادية فقد استعادت البرجوازية الاحتكارية بدعم من سلطات الاحتلال الامبريالية علاقات التملك والسلطة القديمة . وكان احد اهداف القوى الامبريالية فى جمهورية المانيا الاتحادية من الانضمام الى حلف الاطلنطى هو القضاء على مكاسب الاشتراكية فى جمهورية المانيا الديمقراطية وهكذا فان بناء المجتمع الجديد فى المانيا الديموقراطية ، الذى جرى لسنوات عديدة فى ظروف حدود مفتوحة مع جمهورية المانيا الاتحادية الامبريالية، تطلب جهودا ضخمة لضمان السلم على قطاع هام للغاية من المجابهة بين الاشتراكية والامبريالية

لقداكد تطورجمهورية المانيا الديموقراطية مرة اخرى كذلك نبوءة لينين بأن الامم المختلفة قد تصل الى الاشتراكية بطرق مختلفة نوعا ما ، غير أن اقامة السلطة السياسية للطبقة العاملةهو بالنسبة لها جميعاضرورة جوهرية لبناء وتطوير الاشتراكية ، كما أن السمات المميزة والمهام الاساسية لدكتاتورية البروليتارية التى برهن عليها ماركس وانجلز ولينين واكدتها تجربة الاتحاد السوفييتى تعتبر كذلك ضرورة لجميع البلدان . لقد كانت وظائفها الرئيسية فى جمهورية المانيا الديموقراطية هىخلق مجتمع اشتراكى ، وتوجيه حلفاء الطبقة العاملة نحو اشكال اشتراكية من الانتاج والحياة ، وتطوير الديموقراطية الاشتراكية ، وقمع مقاومة الطبقات المستغلة المهزومة ، وضمان دفاع النظام الجديد ضد الاعداء الخارجيين

غير انه بعد انتصار العلاقات الاشتراكية للانتاج ، يظل تدعيم سلطة العمال والفلاحين مهمتنا الرئيسية . وقد اعاد التأكيد مجددا على هذه الحقيقة المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكى الالمانى الموحد ، الذى صد جميع المحاولات الاشتراكية – الديموقراطية اليمينية والتحريفية لتقويض دولتنا الاشتراكية باستخدام مفاهيم معادية للاشتراكية

وقد اعطى المؤتمر دافعا جديدا وقويا لزيادة تحسين النظام الحكومى والقانونى وتطوير الديموقراطية الاشتراكية . فمن بين ١٢ مليون شخص لهم حق الانتخاب، هناكاكثر من ٢٠٠٠٠٠ ممثل انتخبهالشعب واكثر من ٥٠٠٠٠٠ عضو فى لجنة دائمة او فرق نشيطة تعمل تحت اشرافهيئات حكومية وأكثر من ٣٠٠٠٠٠ مواطن يمارسون مهام عامة مختلفة فىالنظامالقضائى الاشتراكى، وبنشاط عدد اكبر من الجماهير العاملة فى الاحزاب والمنظمات الجماهيرية ، ولجان الجبهة الوطنية ، ومجالس الاباء والامهات فى المدارسوفىنظام التفتيشالعمالى – الفلاحى . وكل هذا يمتزج ليشكل صورة لديموقراطية اشتراكية واسعة ، متنوعة ، حية . ففى كل هذه الهيئات والمنظمات يعمل الناس بكفاءة فى ممارسة سلطة حقيقية . وانتخابات المجالس البلدية فى مايو الماضى والمبادرات الخلاقة للجماهير بمناسبة التحضيرات للعيدالخامس والعشرين لجمهورية المانيا الديموقراطية ، تظهر بأن قوةالدولة الاشتراكية تكمن بالدرجة الاولى فى نشاط الحزب والمساهمة الواعية للمواطنين فى ادارة الشئون الحكومية والاقتصاديةوالعامة

وبالنسبة لحزبنا يعتبر خير الشعب العامل الحاسم والمطلب الاسمى فى جميع الاعمال فمنذ السنوات الاولى قدم التحويل الثورى للمجتمع مكاسب جوهرية للجماهير العاملة . فقدسلمت المؤسساتالى الشعب واعطيت الارض لمن يفلحها . وطبق الحق فى العمل ، والتعليم والراحة والتسلية . واصبحت المساواة للنساء والشباب حقيقة. وقد احرزت الجماهير العاملة بالفعل فى فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية الحرية وحق تقرير المصير والفرصة للتعبير الخلاق عن قدراتها الى حد لا يمكن التفكير فيه فى ظل سيطرة راس المال الاحتكارى .

غير انه لا يمكن لاى من منجزات المجتمع

الاشتراكى ان تتحقق تلقائيا . ويعتمد اشباع الاحتياجات المادية والجمالية والثقافية المتنامية للجماهير العاملة بالدرجة الاولى على الاساس المادى والتكنيكى للاشتراكية، وعلى انتاجية العمل ، وعلى استيعاب منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية ، وتطوير قدرات الشعب الخلاقة ومبادرته ووعيه السياسى .

وخلق نقل المؤسسات الملكية العاملة وتوسيعها المتواصل ، القاعدة الاقتصادية الحاسمة للاشتراكية وهى الصناعة الاشتراكية الكبيرة . كما ادى تنظيم التعاونيات الانتاجية ، الذى اكتمل فى ١٩٦٠ الى تطبيق العلاقات الاشتراكية فى الانتاج فى الزراعة . وهذا كله برهان مقنع للصحة الشاملة لخطة لينين التعاونية : تحويل الانتاج السلمى البسيط فى المدينة والريف الى انتاج حديث قائم على ملكية اشتراكية جماعية . وهذا ماوضع الاساس الاقتصادى الراسخ للتحالف المتين للطبقة العاملة وطبقة الفلاحين التعاونيين .

ورسم المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكى الالمانى الموحد ، انطلاقا من تقييم واقعى للمنجزات توجيهات بعيدة المدى لتكوين مجتمع اشتراكى متطور . ووفر تطور الاشتراكية المزيد والمزيد من الفرص لتوجيه الخطة الاقتصادية فى اتجاه المتطلبات المادية والثقافية والجمالية للشعب وخلق ظروف اكثر ملاءمة للتطور الشامل للشخصية الاشتراكية .. والارتباط الموضوعى المتبادل بين تطور الانتاج واشباع متطلبات الشعب التى يقررها القانون الاقتصادى الرئيسى للاشتراكية يصبح اكثر وضوحا . وحدد المؤتمر الثامن الحزب الاشتراكى الالمانى الموحد ، وهو يضع ذلك فى اعتباره ، المهمة الاقتصادية الرئيسية بانها زيادة رفع مستويات الشعب المادية والثقافية على اساس معدل اعلى لتطور الانتاج الاشتراكى ، وكفاءة وتقدم علمى وتكنولوجى اعلى ، وانتاجية اعلى .

ونمت القوة الاقتصادية لجمهوريتنا بصورة مؤثرة خلال ربع القرن الماضى على وجودها ، وذلك بفضل التخطيط الاشتراكى .. فبينما لم يزد عدد المشتغلين فى الانتاج المادى الا قليلا جدا ، الا ان الدخل الوطنى الصناعى نما من ٢٢٫٣٠٠ مليون مارك فى ١٩٤٩ الى اكثر من ١٢٦٫٠٠٠ مليون مارك فى ١٩٧٣ وفى ١٩٧٣ تجاوزت صناعتنا الاشتراكية لاول مرة حد ٢٠٠٫٠٠٠ مليون مارك ، منتجة ما قيمته ٢٠٧٫٨٠٠ مارك من البضائع ، اى حوالى ثمانى اضعاف ماكان عليه المستوى فى عام ١٩٤٩ .

ومنذ المؤتمر الثامن حدث انطلاق قوى جديد استنادا الى منجزاتنا التى يترابط فيها بشكل وثيق الاستقرار والدينامية . كما ولدت مساندة العمال لسياستنا موجة جديدة من الحماس فى العمل على نطاق البلاد كلها .. وتصاعدت هذه الموجة عندما اخذ الشعب بوضوح متزايد ان العمل الطيب يعطى ثمارا على شكل تحسينات كبيرة فى الحياة اليومية ..وحزبنا يشجع الان حركة المباراة بمساعدة الحوافز الاقتصادية والمعنوية . وقد تطلب هذا بشكل جوهرى ، فى المقام الاول، تقديرا دقيقا للقوانين الاقتصادية للاشتراكية وبخاصة القانون الاقتصادى الرئيسى وقانون التطور المتناسق المبرمج للاقتصاد ، وجعلهما الاساس لكل سياساتنا الاقتصادية ويعتبر التقييم الواقعى لامكانياتنا مسالة لتقدمنا المتواصل فى جميع الميادين .

لقد استطعنا ، بالاعتماد على منتجاتنا الصناعية ، خلال تنفيذ خطة السنوات الخمس ، تطبيق جزء حاسم من البرنامج الاجتماعى للمؤتمر الثامن . وعلى على راس الاجراءات الاجتماعية — الاقتصادية برنامج الاسكان الذى ينص على بناء او تجديد ٥٠٠٫٠٠٠ شقة فى ١٩٧١ — ١٩٧٥ ، ويجرى تنفيذ هذا البرنامج بنجاح . وخلال السنوات الثلاث الاخيرة تحسنت احوال السكن لما يقرب من مليون شخص . ونحن نسعى الى حل مشكلة السكن كليا بحلول عام ١٩٩٠ . وقد ارتفعت مستويات المعيشة بشكل جوهرى بفضل زيادة المعاشات والاجور ، والاعانات السخية للمتزوجين الجدد والعائلات الكبيرة ، والنظام الصحى المتحسن والفرص الجديدة للراحة والتسلية

ويوضح تجربة جمهورية المانيا الديموقراطية ان الامتزاج المتناسق للمصالح الوطنية لكل دولة اشتراكية مع المصالح الاممية العامة للاشتراكية هو احد الشروط الرئيسية لزيادة تقوية الاسرة الاشتراكية والتعجيل بتطوير كل قطر اشتراكى . وحل القضايا التى تواجه البلدان الاشتراكية والاسرة الاشتراكية ككل يتطلب معالجة اممية لجميع القضايا ويشجع مثل هذه المعالجة . وفى هذا السياق ، يشكل التكامل الاقتصادى والاشتراكى على اساس البرنامج

الشامل لمجلس التعاون الاقتصادي الذي اقر في عام ١٩٧١ ، الحلقة الرئيسية في تدعيم الاشتراكية العالمية . ونحن نرى في تعجيل هذه العملية احدى المهام الحاسمة لعصرنا .

ان التكامل الاقتصادي الاشتراكي يفتح فرصا ملائمة للجمع الفعال بين فوائد الاشتراكية والثورة العلمية والتكنولوجية ونحن نضم ايضا جهودنا الى جهود البلدان الاخرى الاعضاء في مجلس التعاون الاقتصادي لتحسين تجهيزنا بالطاقة والمواد الاولية . ولتحقيق هذا الغرض تشترك جمهورية المانيا الديموقراطية في برامج استثمارية مشتركة في بلدان شقيقة وخاصة في الاتحاد السوفييتي .

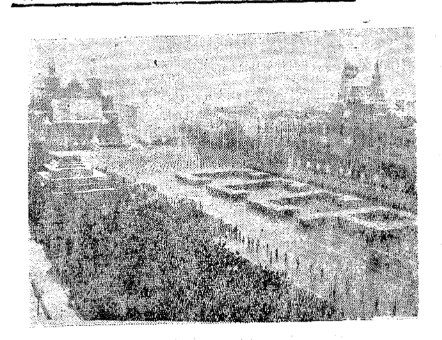
ويسهل العمل المشترك خلق علاقات متعددة الاطراف جديدة نوعيا بين الجماهير العاملة في بلداننا . وهناك وعي متنام للتلاحم الاممي وتقدير لان هذه الجهود المشتركة تفيد كلا من الاسرة ككل وكل عضو من اعضائها .

ونحن نضم جهودنا السلمية الى جهود الاقطار الشقيقة الاخرى ، وذلك لخلق ظروف خارجية ملائمة لبناء الاشتراكية وتقدم جميع القوى الثورية في كل انحاء العالم . ونرى مثل هذا العمل المشترك للسياسة الخارجية بوصفه انجازا بارزا لاسرة الدول الاشتراكية . والهدف الاول لسياسة جمهورية المانيا الديمقراطية الخارجية هو تعزيز التنفيذ الكامل لبرنامج السلام الذي اعلنه المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي . فهو يساهم بصورة بناءة في الكفاح من اجل ان تتمكن الشعوب من بناء حاضرها ومستقبلها بدون حرب امبريالية .

وجمهورية المانيا الديموقراطية نفسها تستفيد من التضامن العالمي ، وهي تظهر على الدوام التضامن مع الاخرين . اذ ان الحصار الذي دام عقودا من السنين والذي فرضته الامبريالية على الدولة الالمانية الاشتراكية ، قد انهار ، ولجمهورية المانيا الديموقراطية الان علاقات دبلوماسية مع « ١٠٩ » بلدا ، كما انها تساهم في عمل الامم المتحدة بوصفها عضوا مساويا للاخرين وهذا كله اولا وقبل كل شيء ، نتيجة لتضامن ومساعدة الاتحاد السوفييتي ، والبلدان الاشتراكية الاخرى وجميع القوى التقدمية .

ويمكننا ان نلاحظ بارتياح بان الاسرة الاشتراكية قد حققت مكاسب بارزة في النضال من اجل الانفراج الدولي والسلم الوطيد . وقد خلقت مستلزمات حاسمة في اوروبا لجعل هذه الفترة من السلم فترة دائمة ، بفضل مبادرات الاتحاد السوفييتي قبل اي شيء آخر . وتم وضع حجر الاساس للامن والتعاون في قارتنا ، بضمان حرمة حدود ما بعد الحرب بموجب معاهدات واتفاقيات عقدت بين بلدان منتمية الى نظم اجتماعية متعارضة ، ومن بينها المعاهدات بين جمهورية المانيا الديموقراطية وجمهورية المانيا الاتحادية . وهذا ما يعزز ايضا سيادة جمهورية المانيا الديموقراطية .

ان الحزب الاشتراكي الالماني الموحد ، بوصفه الطليعة الثورية للطبقة العاملة في جمهورية المانيا الديموقراطية، جزء لايتجزأ عن الحركة الشيوعية العالمية . ولسوف يواصل ، كما كان الحال في الماضي، الوقوف في صف الشعوب المناضلة ضد العدوان الامبريالي والاستغلال والاستعمار الجديد . ولسوف يستمر في الوفاء بواجبه الاممي بكل ما يملك من قدرة .



ثورة أكتوبر الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى

اكدت التجربة الضخمة التى تراكمت لدى الحركة الثورية خلال العقود الاخيرة بما لا يدع مجالا للشك ، أن شعوب اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تستطيع أن تخوض نضالا ناجحا من أجل الاستقلال القومي والتقدم الاجتماعى ، اذا ماربطت نضالها بنضال الاشتراكية العالمية ، واعتمدت عليها باعتبارها القوة الحاسمة للعملية الثورية العالمية ولقد تنبأ لينين ، حتى قبل انتصار ثورة اكتوبر فى روسيا ، بأن التحالف السياسى بين البروليتاريا فى الغرب والجماهير العاملة فى الشرق سيزداد وثوقا . وكتب فى يونيو ١٩١٧ فى مقاله « السياسة الخارجية للثورة الروسية » محددا الاتجاه السياسى للبروليتاريا الروسية ، يقول : « أن السياسة الخارجية للبروليتاريا هى التحالف مع الثوريين فى البلدان المتقدمة ومع كل الامم المضطهدة ضد كل الامبرياليين وايا منهم »

هكذا استطاعت الثورة الاشتراكية منذ أيامها الاولى أن تتنبأ بأن الروابط بين الجماهير العاملة فى روسيا والشرق ستتدعم ووضعت بذلك يدها على دعامة هامة للنضال المشترك من أجل السلام والتقدم الاجتماعى والاشتراكية .

وفكرة الحاجة الى الوحدة بين الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى تعتبر فكرة محورية فى كل ما كتبه لينين حول القضية القومية والاستعمارية . فقد اكد لينين فى دفاعه عن برنامج الاشتراكية الديمقراطية الروسية : « سوف نبذل قصارى جهودنا من اجل دعم الوحدة والاندماج مع المنغوليين والفرس والهنود والمصريين . اننا نعتقد ان من واجبنا وفى مصلحتنا ان نفعل ذلك ، والا فلن تكون الاشتراكية فى اوروبا فى مأمن » « لينين ، المؤلفات الكاملة ، مجلد ٢٣ ص ٦٧ »

وقد ادى انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى الى التحام الثورة الاشتراكية وثورات التحرر الوطنى مما فتح افاقا حقيقية للتحرر القومى والاجتماعى امام الامم المضطهدة . ووقفت الدولة السوفييتية منذ الايام الاولى لوجودها لتدافع عن حق الامم فى تقرير مصيرها وفى تطورها الحر . والغت السلطة السوفيتية كل المعاهدات الظالمة التى فرضتها حكومة القيصر على شعوب الشرق ، واقامت علاقات متساوية معها ، ووجهت بذلك ضربة قاصمة لاسس الامبريالية والاستعمار .

وفى محاولاتهم « للحد » من الاهمية العالمية لثورة اكتوبر يحاول المدافعون عن الامبريالية بكافة الطرق ان يبرهنوا أن اهدافها الخلاقة واعمال لينين لا علاقة لها بالقارات الاخرى .

لكن ذلك ليس الا كذبة مقصودة. فشعوب اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تدرك تماما انه لم يكن هناك حدث أهم بالنسبة لها من انتصار ثورة اكتوبر التى كانت فاتحة عهد الاشتراكية فى العالم .

ان انتصار الاشتراكية وحل مشكلة القوميات فى الاتحاد السوفييتى قد مارس تأثيرا ثوريا على عقول مئات الملايين فى المستعمرات والبلدان التابعة وساعد على نمو حركة التحرر الوطنى . واعترف العالم اجمع بالتجربة السوفييتية لاقامة دولة اشتراكية متعددة القوميات وحل المشكلة القومية الصعبة كما كانت عونا لا يقدر لكل المناضلين من اجل التحرر القومى والاجتماعى .

والحل اللينينى للمشكلة القومية واقامة اول دولة اشتراكية متعددة القوميات فى العالم قد وجه ضربة قاضية للاسطورة الرجعية القائلة بان البشرية منذ ازمنة موغلة فى القدم قد انقسمت الى اجناس « عليا » واجناس « دنيا » ، وأن الاخيرة عاجزة عن التطور المستقل ومحكوم عليها بالخضوع للاولى .

ولقد تنبأ لينين الذى كان يمتلىء ثقة بالقدرات الثورية لشعوب اسيا وافريقيا ، بان ثورة اكتوبر ستستهل عصرا من ثورات التحرر الوطنى فى الشرق . واستطاع ان يرى حتمية النضال « بين كل المستعمرات والبلدان التى تقهرها الامبريالية وبين الامبريالية الدولية » .

ومن المعروف جيدا انه بعد الحرب العالمية الثانية حدث تحول ذا مغزى تاريخى فى عالمنا ، وخرجت الاشتراكية من اطار بلد واحد وتكونت اسرة من الدول الاشتراكية . ويسلم الجميع اليوم بان هذه الحقيقة على وجه التحديد هى التى اثرت بشكل حاسم على نطاق وطابع حركة التحرر الوطنى.

وادت تصفية الامبراطوريات الاستعمارية القديمة وظهور اكثر من ٨٠ بلدا مستقلا فى اسيا وافريقيا الى تحولات هامة فى هيكل العالم السياسى فنتيجة لانهيار النظام الاستعمارى ، فقدت الامبريالية جهازها الادارى الذى كان يعمل فى يسر فى البلدان المستعمرة ، والذى كان اداة سياسية

هامة لنهب شعوب المستعمرات . وترتب على ذلك تقويض المواقع الاقتصادية والسياسية للراسمالية العالمية وتغيير علاقات القوى جذريا لصالح الاشتراكية . واصبحت ثورات التحرر الوطني احد الينابيع الثلاثة الرئيسية للعملية الثورية ، ويستمر دورها ينمو باطراد في هذه العملية .

والشيء الرئيسي اليوم ان نضال التحرر الوطني في كثير من البلدان قد بدأ ينمو عمليا الى نضال ضد علاقات الاستغلال الاقطاعية والراسمالية على السواء . وفي هذا الاطار يمكننا ان نتحدث عن تحول ثورات التحرر الوطني الى ثورات للتحرر الاجتماعي .

ان خبرة حل المشاكل الاقتصادية ، الاجتماعية المعقدة للتغلب على التخلف الاقتصادي وتحقيق المساواة الفعلية في البلدان الاشتراكية توضح ان طريق التطور الاشتراكي على وجه التحديد هو الذي يسمح بحل هذه المشاكل باكبر سرعة لصالح الجماهير .

ويزداد اهتمام اقسام اوسع من سكان البلدان المستقلة حديثا في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بتجربة حل المشاكل الملحة على اسس اشتراكية وهي تدرك مغزى التحالف مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى ، كما انها على استعداد لتبني كثير من الافكار الاشتراكية في اعادة بناء علاقاتها الاقتصادية والاجتماعية .

والاتحاد السوفييتي ، اخلاصا منه لوصايا لينين ، يقدم مساعدات فعالة لبلدان العالم الثالث في نضالهم من اجل الاستقلال الاقتصادي ولقد تم بناء ما يزيد عن ٧٠٠ مؤسسة ومشروع اقتصادي في هذه البلدان بالمساعدة السوفييتية ووقعت ٤٥ من البلدان النامية اتفاقيات التعاون الاقتصادي والثقافي طويلة المدى . وخلال السنوات العشر الاخيرة تضاعفت تجارة الاتحاد السوفييتي مع هذه البلدان ٢ر٥ مرة ، كما درب الاتحاد السوفييتي اكثر من ٢٠٠ الف اخصائي لهذه البلدان .

وجدير بنا ان نشير الى ان حركة التحرر الوطني تتطور اليوم في ظروف تاريخية جديدة ، يتوفر فيها بفضل جهود كل قوى السلام ، مناخ موات في العلاقات الدولية ، ويتحقق تحول واضح من الحرب الباردة الى الانفراج الدولي .

ان شعوب البلدان التي نفضت عن كاهلها نير الاستعمار تواجه اليوم مهاما اقتصادية واجتماعية جساما . ويمكن حل تلك المهام بنجاح فحسب في ظل السلام المرتكز على الامن الوطيد والتعاون ذي النفع المتبادل بين كافة بلدان العالم .

ومن غير الممكن فصل السلام عن التقدم الاجتماعي . ولقد برهن على ذلك بما لايدع مجالا للشك كل تاريخ البشرية منذ ثورة اكتوبر . اعظم ثورة اجتماعية خلقت لنا الاتحاد السوفييتي ، المعين الجبار لنضال الشعوب من اجل السلام والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي .

معاداة الشيوعية سياسة الرجعية المنهارة

بقلم : هايمان لومر

صدر اخيرا كتاب « حرب الافكار فى العلاقات الدولية المعاصرة : ـ الدعاية السياسية الخارجية للامبريالية مذهبا ووسائل وتنظيما »(*) وهو احدث كتاب الفه جورجى أرباتوف رئيس معهد الولايات المتحدة الامريكية فى الاتحاد السوفييتى ويمثل الكتاب عملا رائعا يعالج موضوعا له اهمية حيوية تتأكد وتزداد باطراد . ويرتكز الكتاب على فكرة اساسية هى دور الصراع الايديولوجى الذى يبرز ويتضح اكثر فاكثر فى الشئون الدولية لعالم اليوم .

ويعرض المؤلف فى مقدمة الكتاب جوهر القضية موضوع الكتاب فى الكلمات التالية :

« ثمة تحولات سريعة وجذرية تقع اليوم فى كل مجالات الحياة الاجتماعية وتؤدى الى ظهور كثير من الظواهر الجديدة تماما . وجدير بالذكر ان العلاقات الدولية ليست استثناء من ذلك . فقد طرات تعديلات اساسية على الجوهر الاجتماعى للعلاقات الدوليه مع ظهور النظام الاشتراكى اذ بينما كانت حلبة الصراع الدولى قاصرة قبل ظهور الاشتراكية على عناصر قومية متباينة ولكنها تمثل طبقة اجتماعية واحدة او طبقات متجانسة اجتماعيا « اى طبقات مستغلة » اذا بهذه الحلبه اليوم هى حلبة صراع طبقى يدور بين البرجوازية وبين البروليتاريا ، اى بين الطبقتين الرئيسيتين فى الحقبة الراهنة . وبينما كانت « السياسة الكبرى » منذ بضع عقود فقط ، والتى تحدد المسار والاتجاه الرئيسى للعلاقات الدولية ، كانت تتالف من حفنة صغيرة مما كان يسمى بالامم المتحضرة ، فان تحلل الامبراطوريات الاستعمارية أدى الى دخول دول حديثة كثيرة الى اطار هذه السياسة بحيث اصبحت الغالبية الساحقة من شعوب الارض وليست الاقلية

(*) صدر الكتاب عن دار التقدم للنشر ـ موسكو ـ عام ١٩٧٣

عناصر نشطة تشارك فى العلاقات الدولية . وحدث فى نفس الوقت ان نما وازداد بصورة لم يسبق لها مثيل دور الجماهير فى السياسة الخارجية . هذا فضلا عن ان تغير ميزان القوى لصالح الاشتراكية وتقدم اسلحة الصواريخ النووية قد ادى الى وضع مشكلة الحـرب والسلام على طريق جديد تماما .

ونذكر من بين التغيرات الجديدة التى حدثت هذا التطور الكيفى المهول الذى طرأ على دور الدعاية الايديولوجية فى مجال العلاقات الدولية وهذا التطور هو احد النتائج اللازمة عن طبيعة العلاقات الدولية المعاصرة . اذ ادت الى ظهور اساليب وادوات جديدة للسياسة الخارجية ، كما اعطت الاولوية والسيادة لمهام دبلوماسية جديدة ، وحددت اتجاهات جديدة للسياسة الخارجية . » ص ١٠

يقول ارباتوف ان الايديولوجية وحـرب الافكار ظهرا تاريخيا مع ظهور المجتمع الطبقى والدولة . ولكنه يضيف قائلا : لقد كانت بداية عصر الامبريالية علامة النهاية لكـل احداث ما قبل التاريخ والبداية للتـاريخ الحقيقى للصراع الايديولوجى فى العـلاقات الدولية بالمعنى الحديث للمصطلح » ص ٢٣ لقد اصبحت الامبريالية الرجعية العدوانية ترى فى « الكبت الروحى للشعب » اهم اداة من ادوات السياسة بالاضافة الى العنف المادى ». ص ٢٤

وبلغ هذا النهج ذروته فى الحرب العالمية الاولى ثم فى « نظام الدعاية الشاملة » الذى استنه النازى وبعد ذلك فى الحرب العالميـة الثانية ومنذ ذلك الحين بدأت الحرب الباردة واحتدم وطيس الصراع بين النظامين الاجتماعيين، وهنا اصبحت حرب الافكار نشاطا دائمـا وراسخا ومشروعا له قواعده التى تنظمه على اعلى مستوى .

ويعزو بعض المراقبين البرجوازيين احتدام الصراع الايديولوجى مؤخرا الى مظاهر التقدم فى مجال تكنولوجية الاتصال والافادة منهـا عمليا . بيد ان السبب الاسـاسى مسبب اجتماعى : تقسيم العالم الى قطاعين اشتراكى ورأسمالى وما صاحب ذلك من انتصارات كبرى حققها نضال التحرر الوطنى .

ولنضيف الى هذه الاسباب ضعف القـوة العسكرية اذ لم يعد لها البأس والنفـوذ المعهود ، ثم تعاظم نفوذ وقوة الجماهير وما صاحب هذا من ازدياد حاجة الطبقة الحاكمة الى ان تضع الرأى العام موضع الاعتبار كلما حاولت تحديد معالم سياستها . وعلاوة على هذا فان الحرب الحديثة تتطلب حشد الجماهير فى صفوف القوات المسلحة وهو ما يؤثر بصورة مباشرة على ملايين الجنود وعائلاتهم . وهناك بعد هذا كله الدمار المهول والمروع الـذى تحدثه الاسلحة الحديثة وبخاصة الاسـلحة النووية التى تشكل خطرا ماحقا يهدد الوجود ذاته للمجتمع الانسانى المتحضر كله . كل هذا يخلق الظروف التى تدعم اطراد الصراع الايديولوجى بدلا من الصراع العسكرى بين النظامين .

ان النمو المطرد لمشاركة الجماهير فى الشئون الدولية وازدياد نفوذها فى هذا المجال قـد وجها ضربة قاضية للتصور القـديم عن الدبلوماسية السرية الـذى كان يعنى ان العلاقات الدولية حـكر على حفنـة من الدبلوماسيين يعملون وراء ابواب مغلقة . لقد اصبحت الدبلوماسية الصريحة والعلنية هى القسمة المميزة للعلاقات الدولية بعد ثـورة اكتوبر وبعد ان كشفت الحكومة السوفييتية المعاهدات السرية للقوى الامبريالية وفضحت بذلك الاسباب الحقيقية لحمامات الـدم التى سفكتها الحرب العالمية الاولى . ان الممارسة العملية للدبلوماسية الصريحة والعلنـة من جانب الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى قد ضاعفت من صعوبة اعتماد الحكومات الرأسمالية على السرية والخداع .

وسبق ان اوضح لينين الفارق بين المفهومين حين قال : « القوة حسب المفهوم البرجوازى تكون عندما يذهب الشعب مغمض العينين الى المذبحة طيعا ذلولا التزاما باوامر الحـكومات الامبريالية .. ولكن فكرتنا عن القوة مختلفة تماما . اذ تكون الدولة قوية حسب مفهومنا عندما يكون الشعب واعيا سياسيا . انها قوية حين يعرف الشعب كل شئ ويستطيع ان يكون لنفسه رأيا عن كل شئ ويفعل كل شئ واعيا » . « الاعمال الكاملة ـ مجلد ٣٦ ص ٢٥٦ » . وترتكز الدبلوماسية الاشتراكية على الفكرة القائلة بان ليس ثمة ما يستحق ان نكتمه ونخفيه هذا على عـكس المفهـوم البرجوازى الذى ترتكز دبلوماسيـته على الخداع .

ويشير ارباتوف الى ان الفلاسفة وعلمـاء الاجتماع البرجوازيين يحاولون الانتقـاص من قدر الدور النشط للجماهير فى التأثير على السياسة الخارجية . مثـال ذلك ان والتر ليمبان وجوستاف لوبون وارنولد توينبى وكارل ياسبرز وغيرهم يشيرون الى عامة الناس باسم

((الدهماء)) و ((القطيع البشري)) و ((الجمهور الغفير)) والذى يجب ان تمايز بينه وبين الصفوة المفكرة التى تصنع السياسة وتحدد معالم التاريخ .

ويقول ارباتوف ان الازمة المتفاقمة التى تعانى منها الراسمالية تجد اصدق تعبير لها فى الازمة المتفاقمة للايديولوجية . وباتت المذاهب البرجوازية تعانى من عجز مطرد عن تقديم اجابات للقضايا المطروحة كما اصبحت تبعد شيئا فشيئا عن الاعتماد على افكار التقدم، وتحاول اكثر فاكثر تصوير المستقبل لا فى شكل يوتوبيا اجتماعية بل فى شكل معاد ومناقض لليوتوبيا « ما هو على نقيض المجتمعات الفاضلة الخيالية » . ويرى ارباتوف ان خير مثال على ذلك هو كتاب الدوس هكسل « عالم جديد جرىء » وكتب اخرى معادية للشيوعية مثل رواية اورويل «العالم عام ١٩٨٤»

ان الراسمالية مكرهة اكثر فاكثر على ان تخفى طبيعتها الحقيقية وتواجه التسليم المتزايد بالافكار الاشتراكية وذلك بأن تصور نفسها شيئا اخر غير الراسمالية . انها لا تستطيع الدفاع عن « المشروعات الاقتصادية الحرة » ولا عن الاستعمار او الحرب ، ولهذا فانها بدلا من ذلك تنبرى لتطرح نظريات عن « التقارب » وتتنبىء بظهور مجتمع جديد يجمع افضل القسمات المميزة لكل من الراسمالية والاشتراكية وترفع نداء « نهاية الايديولوجية » — وهو النداء الذى قدم فكرته اساسا عالم الاجتماع البرجوازى دانييل بيل . فالقرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لم تعد ترتكز على اعتبارات خاصة بالمصالح الطبقية ، بل تتحدد كما يرى بيل طبقا لحسابات « علمية »لتكنيك يوجه وينظم واقعيا الانتاج الصناعى ، والذى تحفز اليه اعتبارات خاصة بفعالية للبحث والانتاج . هذا هو « مجتمع ما بعد الصناعة » الذى يصوره بيل ومن ساد على دربه بانه خليفة الراسمالية — والاشتراكية بطبيعة الحال .

ومع ذلك فليس ثمة « نهاية للايديولوجية» فالراسمالية كنظام حكم طبقى مكرهة على ان تدافع عن نفسها ايديولوجيا ، وكلما حققت الافكار الاشتراكية والمعادية للاحتكار تقدما على الطريق كلما تضاعفت الصعاب فى وجه هذا الدفاع وكلما برزت اكثر فاكثر الفوارق الايديولوجية داخل الطبقة الحاكمة ذاتها ، بين العناصر المعتدلة والعناصر المتحجرة .

ولم يعد لزاما على الراسمالية ان تخوض صراعا ايديولوجيا محليا داخل البلاد فحسب بل بات لزاما عليها ايضا ان تعد الايديولوجيا للتصدير وترسم صورة عن ((العالم الحر)) وعن « الديمقراطية الغربية » مقابل ما اصطلح على تسميته « عبادة الفرد فى الشرق » . ولكن هنا ايضا اصطدم بالواقع . ذلك لان الايديولوجية البرجوازية لا تجد لها سندا الا فى الماضى فحسب — ايام ان كانت البرجوازية قوة تقدمية فى الصراع ضد الاقطاع . بيد ان راس المال الاحتكارى الحديث اعجز من ان يعيش على تراث ثورى يسرقه من الماضى ، ويشتد عجزه هذا يوما بعد يوم كلما افتضح امره اكثر فاكثر باعتباره العدو اللدود للثورة وقلعة الرجعية فى العالم . ويشير ارباتوف الى ان هذا التناقض يبدو واضحا الان للجميع حتى اشد المؤرخين امعانا فى نزعتهم المحافظة من امثال المؤرخ البريطانى توينبى . هذا فضلا عن ان فضيحة ووترجيت قد كشفت بوضوح شديد هذا التناقض للجماهير فى الولايات المتحدة الامريكية وفى غيرها من البلدان .

لقد افلست الراسمالية ولم يعد لديها جديدا تقدمه . انها لا تملك فى حلبة الصراع الايديولوجى سوى ان تكابر للدفاع عن وضع بال عفى عليه الزمن ، وان تهاجم كل من يقفون فى صدق مسانديه ومؤيديه للتقدم الاجتماعى . ولهذا كان سلاحها الايديولوجى الرئيسى هو معاداة الشيوعية ، وهو كما وصفه ارباتوف « سلاح الهالكين » الذين ادانهم التاريخ وعفا عليهم الزمن . وتمثل معاداة الشيوعية عاملا اساسيا فى النشاط الدعائى للطبقة الحاكمة فى الداخل والخارج. انها دعاية هادئة ومنظمة تنظيما دقيقا وتتدرج من حملات المطاردة والتعذيب داخل الولايات المتحدة الى شن الحروب الصليبية « ونذكر على سبيل المثال حلف معاداة الكومنترن ومشروع ترومان)) . وتتضمن هجمات ليست فقط ضد التنظيمات الشيوعية وضد الشيوعيين كافراد بل ايضا هجمات ضد النظرية الماركسية اللينينية ذاتها التى تصورها الدعاية المعادية على احسن الفروض كنظرية قديمة بالية خاصة بعد الثورة العلمية التكنولوجية . وقد انشات الرجعية مؤسسات ومعاهد « للدراسات » الشيوعية تزخر بتدريب من يسمونهم « علماء الدراسات السوفييتية » . ولا تدخر الرجعية جهدا فى سبيل تزييف والحط من قدر افكار الاشتراكية العلمية وتشويه سمعة البلدان الاشتراكية .

ويقول ارباتوف : « ان معاداة الشيوعية هى اضخم مشروع ايديولوجى فى تاريخ الراسمالية

من حيث موظفيه وثرواته ومصادره وروس اموالة المستثمرة ومجال نشاطه » ويضيف قائلا : « ولكن على الرغم من ظاهره المثير الا انه اجوف ايديولوجيا » ص ١٤٤ . ونظرا لان معاداة الشيوعية تتسم اساسا بطابع سلبي خالص فانها تفقد شيئا فشيئا كل فعاليـة وتاثير بينما تتدعم الاشتراكية ويقوى نفوذها وتاثيرها باطراد . وجدير بالذكر انه كلما حاولت الطبقة الراسمالية جاهدة ان تفيد من الاخطاء التي تقع داخل المعسكر الاشتراكي والانحراف عن الماركسية اللينينية من جانب بعض الفرق ، الا ان الايديولوجية البرجوازية تجد نفسها دائما وابدا في ازمة تتفاقم وتزداد عمقا باطراد ، وتنتظرها هزيمة محققة وقاضية في الصراعات التي تجرى اليوم .

وخصص ارباتوف جزءا كبيرا من كتـابه ((باب يصل الى اكثر من مائة صفحة)) لدراسة الجوانب المنهجية والنظرية والتنظيمية لتطور الدعاية السياسية الخارجية باعتبـارها الاداة الاولى والاهم في سياسة الحكومة البرجوازية . وعرفت هذه السياسة اول دفعة حيوية كبيرة لها ابان الحرب العالمية الاولى حيث ظهـرت الجهود الاولى لوضع « علم » للدعاية . وكانت من اول ثمار هذه الجهود كتاب والترليمبان « الرأى العام » الذى صـدر عام ١٩٢٢ . وشهدت هذه الفترة قيام مؤسسات ومعـاهد خاصة بدراسة الدعاية كما ظهرت برامج في علم النفس وفي علوم اخرى هدفها تقـديم اساس « علمى » لاساليب التاثير على الرأى العام سواء في المجال السياسى او التجارى .

وتلقت هذه العملية اهم واخطر دفعة لهـا ابان الحرب العالمية الثانية التى ظهرت بعدها وتكاثرت الوكالات الخاصة واقسام الجامعات ومراكز الابحاث ومعاهد ومؤسسات تخصصت في دراسة الاساليب الفنية « تكنيك » للدعاية . وتطورت بوجه خاص الدراسات التي نمت في ميدان علم النفس . وقد تطور القسط الاكبر من هذه الدراسات بفضل مؤسسات اقتصادية كبرى ولاغراض تجارية ، ولكن كان لهـا استخداماتها السياسية ايضـا ـ مثال ذلك الحملات الانتخابية .

وطبيعى ان انتشار الوعى السياسى والتقدم الثقافى بين صفوف العمال فضلا عن المامهم باخبار البلدان الاشتراكية ، ومعرفتهم بنظمها كل هذا وغيره استلزم العمل على نطاق واسع للتدخل في عملية الاعلام وابتداع اساليب تكنيكية جديدة اكثر اتقانا . وينعكس هـذا بوضوح في طبيعة الاشكال السائدة للثقافـة الجماهيرية ـ السينما والتليفزيون وغيرهما . وتولى الاوساط الرجعية المسئولة اهتماما كبيرا وجادا لاستعمال العقاقير والاجهزة الالكترونيـة كوسائل لخلق ارتباطات شرطية عامة لـدى الناس . بيد ان هذه الجهود كلها تنقلب الى نقيضها مع نمو الوعى السياسى وارتفاع مد الصراع السياسى الديمقراطى والاشتراكى .

لقد تطورت الدعاية السياسية الخارجية ابان الحرب العالمية الثانية باعتبارها شـأن من شئون الحرب النفسية وباعتبارها علم الخداع القائم فقط على الحاجة الى الاعتقاد فيـه واستخدامه كعنصر مكمل للتخريب والتجسس واستمرت عملية تطويره وفق هذا الاتجاه طوال فترة الحرب الباردة .

وادت هذه التطورات كلها الى ظهور جهاز ضخم للدعاية السياسية له فروعه وشعبه التى لا حصر لها . مثال ذلك ان الاحتـكارات الامريكية العملاقة التى تعمل خارج الولايات المتحدة الامريكية تمتلك اجهزة ضخمة ومنتشرة وظيفتها التاثير على الرأى العام في البلدان التى تعمل فيها . وهناك الاجهزة الحكومية الضخمة التى تمثلها هيئات مثل هيئـة الاستعلامات الامريكية فضلا عن انها جزء من نشاط الهيئات الدبلوماسـية والمؤسسات التجارية وغيرها . وجدير بالذكر ان السياحة واتفاقيات التبادل الثقافى لها دور ايضا في ذلك .

نضيف الى ما سبق اثر الصحافة ووكالات الانباء ونفوذهما الضخم مثل وكالة انبـاء يونيتدبرس واسوشيتدبرس والمجلات المترجمة الى لغات اخرى « مثال ذلك مجلـه ريدرز دايجست ((والمعروفة في مصر باسم مجلة المختار » وتصدر باللغات الاجنبية قرابة ٢٧ مليون نسخة » وثمة ايضا اصـدار الكتب المترجمة وبرامج تليفزيون الولايات المتحـدة الامريكية التى يجرى تصديرها تحت عناوين مختلفة وتعمل الولايات المتحـدة على نشرها وترويجها على اوسع نطاق . ونذكر علاوة على ذلك دور المؤسسات الكبرى الامريكية وبخاصة مؤسسة فورد التى تنفق اموالا طائلة لاغراض الدعاية .

ان هيئة الاستعلامات الامريكية تسيطر على شبكة ضخمة من برامج الاذاعة والتليفزيون . ان اذاعة صوت امريكا وحدها تمتلك احدى واربعين محطة ارسال داخل الولايات المتحـدة واحدى وستين محطة خارج الولايات المتحـدة تتحدث ٣٨ لغة مختلفة وتمتلك القوات المسلحة

الامريكية شعبا خاصة للحرب النفسية اذ لها ٢٥٠ محطة اذاعة و ٣٤ محطة تليفزيون خارج البلاد . يضاف الى هذا كله النشاط الواسع لوكالة المخابرات الامريكية فضلا عن مجموعات مثل الحرب الصليبية من أجل الحرية ولجنة اوروبا الحرة ، واذاعة اوروبا الحرة وكثير جدا غيرهم وكلها تستهدف تقـــويض دعائم الاشتراكية .

ويقول ارباتوف : « على الرغم من الدعاية الامبريالية لها مجموعة كاملة من الاهـــداف الثابتة ذات الطبيعة الايديولوجية « الهجوم على المثل العليا الاشتراكية ، والدفاع عن المبادىء الاساسية لوجهةالنظر البرجوازية ... الخ » الا انها بدأت تتجه أكثر فأكثر الى خدمة سياسية محـــددة للقـــوى الامبريالية ، وتسير هذه الدعاية وتتآزر داخل اطار الاستراتيجية والتكتيـــــك المشترك ، ولهذا فاننا لو شئنا دراســة الخطـــوط الاساسية للدعاية الامبريالية فسوف يكون لزاما علينا أن ندرس هـذه الاستراتيجية والتكتيك » ((ص ٢٢٢)) .

وبوسعنا أن نحدد في يسر وسهولة أسس هذه الاستراتيجية . ويشير ارباتوف في هذا الصدد الى الوثيقة الاساسية الصـــادرة عن اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية المنعقد عام ١٩٦٩ ، وهي الوثيقـــة التي تؤكد أن ((جـــوهر السياسة العدوانية للامبريالية هي الحافز الى استخدام كل الوسائل الممكنة لاضعاف مراكز الاشتراكية وقمع حركة التحرر الوطني وشل نضال الشعب العامل داخل البلدان الرأسمالية والحيلولة دونالانهيار الحتمي للرأسمالية)) ((الاجتماع الدولي للاحـــزاب الشيوعية والعمالية ــ موسكو ١٩٦٩ ــ ص ١٢)) .

ولكن الواجب يقتضينا أيضا أن نفهم الاتجاهات الواقعية والمحددة لتكتيـــكات وسياسة الامبريالية هذا اذا ما شـــاءت الطبقة العاملة وحلفاؤها أن ينتهجوا خطا مؤثرا وفعالا ، وماركسيا لينينيا أصيلا . ويلزم أيضا تقديم تقويم صـــحيح لكل التحولات والاختلافات التي تظهر داخـــل صفوف القوى الامبريالية ــ ابتغاء تجنب الاتجاهات الانتهازية اليمينية التي تنقص من قدرةالامبريالية علىالالتزام باستراتيجية طبقية مشتركة ، وتجنب كذلك الاتجاهات الخالقية اليسارية التي ترى الامبرياليـــة كتلة واحدة متجانسة .

لقد استنت البرجوازية الامبريالية في المراحل الاولى من أزمتها القادمة تكتيك الانقضاض المباشر الذي أفضى الى الحرب العالمية الثانية . وهو نفس التكتيك الذي انتهجته بعد ذلك الامبريالية الامريكية مع البدء في شن الحرب الباردة . ولكن مع تفاقم حدة الازمة العامة للامبريالية ، ومع التحول المطرد في ميزان القـــوى العالمية لصالح الاشتراكية وضد الامبريالية ، بدأت قطاعات متزايدة من رأس المال الاحتكاري تبحث عن تكتيكات جـــديدة أكثر مرونة وملاءمة للظروف الجديدة .

ونحن على يقـــين من أن الامبريالية لم تتخل الى الابد ونهائيا عن تكتيكاتها الاولى فلا تزال هناك قوى رجعيـــة متطرفة لها نفوذها وبأسها تواصل الدعوة الى الالتزام بأسلوب المواجهة والهجوم المباشر . ويكفينا كمثال شاهد على ذلك ما يقوله جولدووتر ودالاس وغيرهما من ((الصقور)) . بيد أننا نجد رويدا رويدا وأكثر فأكثر تكتيـــكات أشد تعقيدا وصـــورا متباينة للمناورات تحتل مكان الصدارة . ان رأسمالية الدولة الاحتكارية تكتسب مظاهر جـــديدة ، كما تواجه الطبقة العامة خصـــما له قدرة تنظيمية عالية . واذا كانت الامبريالية لا تزال تواصل استخدامها لاساليب القهر الا أننا نجد أيضا محاولات جديدة وأكثر دهاء وحذقا تدعو الى اتســـاع تكتيكات اصلاحية ووفاقية. انديبلوماسية الاساطيل لم تختف بعد ولكن بدأ الاعتماد يتزايد أكثر فأكثر على الاســـاليب التكتيكية للاستعمار الجديد وعلى أشكال جديدة من المشاركة الاقتصادية وحيل جديدة للسيطرة الامبريالية .

ان أفكارا مثل ((الاحتواء)) و ((الصد)) قد تراجعت الى الخلف في مجـــال صراع الامبريالية ضد العالم الاشتراكي . اذ لابد من تصورات الاطاحة المباشرة بالحـــكومات الاشتراكية أصبحنا نواجه اليوم أفكارا عن ((تحات)) النظام الاشتراكي والعمل عـلى تقويضه وتحلله من الداخل . ويرتكز هـذا التكتيك على مفهوم ((بنـاء الجسور)) مع عناصر الثورة المضادة داخـــل البلدان الاشتراكية ، وهو المفهوم الذي قدمه عدد من الايديولوجيين البرجوازيين من أمثال زبيجنيو بريززنسكي Zbigniew Brzezinsky اذ يرى أن أي مظهـر من مظاهر الانفراج الدولي وتخفيف حدة التوتر بين البلدان الاشتراكية والراسمالية هو أداة تخريب .

ولا ريب في أن التحـــول الى سياسة الانفراج الدولي لا يغير من الطبيعـــة

الاساسية اوالاهداف الرئيسية للامبريالية، ولكنها تعبر يقينا عن الاعتراف بالحاجة الى التعايش مع النظام الاشتراكي حتى على الرغم من انها تفيد أيضا كاطار للمؤامرات والدسائس الامبريالية .

ولكن مع ظهور التكتيكات الجديدة بمقدم سياسة الانفراج الدولى حل الصراع الايديولوجى الاصيل محل الحرب النفسية، واخذ الكفاح من أجل الايديولوجية البروليتارية مكانه الصحيح .

ومن المعروف ان الصراع بين النظامين لا يلغى الكفاح من اجل التعايش السلمى ، والكفاح من أجل حسم قضايا الصراع باساليب سلمية . وقد بدأ هذا الضرب من الكفاح مع عام ١٩١٧ عام انتصار ثورة اكتوبر .

لقد واجه لينين منذ البداية دعاة « تصدير الثورة » وتصدى لهم منذ دعواهم القائلة بان مهمة قوى الثورة المظفرة فى روسيا هى اشعال الثورات فى كل مكان . نبذ لينين كل هذه الافكار وما شابهها ، واكد أن دور القوى الثورية هو مساعدة تلك البلدان التى تطلب المساعدة ، والكفاح ضد « تصدير الثورة المضادة » . كما أن لها دورا اخر بالاضافة الى ذلك وهوالعمل على دعم السلام كلما كان ذلك ممكنا حماية لنمو الدولة السوفييتية ودعما لها وتعزيزا لقوتها . وبعد ان تغير ميزان القوى لصالح النظام الاشتراكى اصبح ممكنا التاكيد بأن الحرب لم تعد أمرا حتميا .

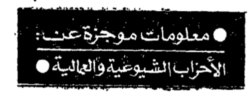
وتواجه فكرة التعايش السلمى هجوما متصلا من جانب مصادر برجوازية . وكما سبق ان لاحظنا فان اليمين المتطرف لايزال يعد نفسه لخوض غمار حرب نووية . وثمة قطاعات اخرى من الامبريالية تدفع بان الحديث عن « التعايش السلمى » من جانب الاتحاد السوفييتى ليس حديثا جادا ذلك لان الاتحاد السوفييتى لا يزال يهدف الى الاطاحة بالراسمالية وان « حرب الافكار » ليست سوى صورة اخرى من صور الحرب الباردة . ويؤكد هذا الفريق ان التعايش السلمى الاصيل يستلزم تسليم كل من الجانبين بالاخر والموافقة على بقائه - اى يستلزم تعايشا أيديولوجيا .

ولكن النضال مناجل انتصار الاشتراكية ليس مؤامرة أو مكيدة يفتعلها اليسار وانما هو جزء من التطور الاجتماعى الموضوعى . ان الصراع الطبقى الدولى واقع موضوعى شانه شان الصراع الطبقى داخل كل بلد راسمالى على حدة . ومن ثم ليس لاحد ان يتغاضى عنه أو يحجبه عن الانظار ، ولكن الاختيار الحقيقى الوحيد هواختيار لشكل هذا الصراع . انه اختيار بين الحرب وبين التنافس السلمى .

ان افكارا مثل « التقارب » بين النظامين او « الهدنة المسلحة » هى محض هراء ، ذلك لان القوة الدافعةللسياسة الامبريالية هى الربح وليست الايديولوجية . وطالما ظل الراسماليون يواصلون استخلاص أرباحهم عن طريق الاستغلال . فان الطبقة العاملة لن تجد بديلا عن الكفاح ضد الاستغلال والطبقة الراسمالية . ان ما يفعله التعايش السلمى فى مجال الايديولوجيا هو احلال الصراع الاصيل بين الافكار محل الحرب النفسية .

ويمثل هذا الضرب من الصراع جانبا اساسيا فىالكفاح من اجل تنمية الوعى الطبقى بين صفوف العمال . وقد حدث تغير هام وخطير فى هذا الصراع منذ ثورة اكتوبر . ذلك ان العمال الان يشهدون امام اعينهم مثالا عمليا للاشتراكية . وطبيعى ان التعايش السلمى سيدعم ويعزز اثر هذا المثال ، اذ انه سوف يعنى خطوة عظمى الى الامام فى مسيرة العمال فى كل انحاء العالم على طريق الاشتراكية .

لقد حاولنا جهدنا فى هذه الصفحات التى عرضنا فيها الكتاب ان نقدم موجزا للمحتوى الفنى الزاخر لكتاب ارباتوف . هذا فضلا عن أنه غنى بالوثائق ومدعم باسانيد وامثلة عملية لفقرات اقتبسها المؤلف من عديد من الكتاب والمفكرين البرجوازيين مما يعبرون عن اراء ومذاهب متباينة . ولا ريب فى ان من شاء الحظوة بكل ما تضمنه الكتاب من معانى ومعلومات قيمة فليس امامه الا ان يطلع على الكتاب ذاته فلن يغنيه عنه شيئا وسوف يجد القارىء فى اطلاعه عليه خير الجزاء .



الحزب الشيوعي في أورجواي

أسسه الجناح اليسارى للحزب الاشتراكى فى ٢١ سبتمبر ١٩٢٠ • ويضم الحزب الشيوعى فى اورجواى الان بين صفوفه ٥٠٫٠٠٠ عضو ، أكثر من ٧٠٪ منهم عمال صناعيون •

وقد عقد الحزب مؤتمره الاخير ، العشرين، عام ١٩٧٠ عندما كان الحزب لا يزال يعمل بشكل قانونى • واشترك فى هذا المؤتمر ٧٨٠ مندوبا لهم حق التصويت ، ١٧٨مندوبا لا يحق لهم التصويت . وكان ٥٠٪ من هؤلاء المندوبين من عمال الصناعة ، ١٥٪ من النساء • ومن بين ٧٥ شخصا انتخبوا للجنه المركزية كان ٣١ ينتخبون للمرة الاولى •

وفى فبراير ١٩٧١ ، تم تشكيل الجبهة العريضة فى اورجواى كتحالف للقوى الديموقراطية المعادية للامبريالية ، بما فى ذلك ممثلون عن الحزب الشيوعى ، وفى انتخابات ١٩٧١ حصلت الجبهة العريضة على ٣٠٤٫٠٠٠ صوت وجاء ترتيبها ثالث قوة سياسية فى البلاد .. وقد لجا الرجعيون الذين اقلقهم آفاق الحركة الجماهيرية ، الى اساليب فاشية فى محاولة لقمع العمز، الشعبى ، وقاموا باعمال ارهابية وحشية ضد جميع الديموقراطيين والوطنيين •

وفى الثامن من مايو من هذا العام ارتكبت الرجعية العسكرية عملا جديدا من اعمال العنف : فقامت فى ذلك اليوم باعتقال رودنى اريسمندى السكرتير الاول للحزب ، ورجل الدولة البارز ، والعضو القديم فى البرلمان •

وجرى تصعيد الهجوم الرجعى منذ ان دبرت الاوساط الحاكمة بالاشتراك مع الجناح اليمينى للقوات المسلحة الانقلاب العسكرى فى ٢٧ يونيو ١٩٧٣ • فقد حل البرلمان وفرض الحظر على مؤتمر العمال الوطنى واعتقل الجنرال ليبرسيريجنى زعيم الجبهة العريضه• وفى ديسمبر ١٩٧٣ اقترف الرجعيون جريمة جديدة عندما فرضوا الحظر على الحزب الشيوعى ، ومنظمة الشباب الشيوعى ،وكافة الاحزاب والمنظمات السياسية الاخرى بما فى ذلك الاتحاد الفيدرالى لطلبة الجامعات • واضطر الحزب الشيوعى تحت رئاسة لجنته المركزية الى العمل سرا •

وفى العام الماضى قاد الشيوعيون ومؤتمر العمال الوطنى اضرابا عاما بطوليا شل البلاد طيلة ١٥ يوما • وعلى الرغم من ان اورجواى قد عاشت فى العام الماضى فى جو لم يسبق له مثيل من الاضطهاد ، والاعتقالات ، واعمال التعذيب والاغتيالات ، فقد نظمت كثير من المظاهرات ، وعقدت لقاءات التضامن مع شعب شيلى ، ونظمت حملة دعائية واسعة فى الشوارع ووزعت مطبوعات سرية .

وعطلت دكتاتورية بورداليرى وشركاؤها العسكريون الصحيفة اليومية المركزية للحزب الشيوعى بوبولار ، التى كان توزيعها يتراوح ما بين ٢٠٫٠٠٠ ، ٤٠٫٠٠٠ نسخة ، والمجلة النظرية استوديوس • فشرع الشيوعيون فى اورجواى فى اصدار صحيفة اسبوعية سرية، هى كارتا سيمانال ديل بارتيدو كومونستا•

ويواصل الحزب عمله المكثف بين الجماهير ويقود نشاط الطبقة العاملة • ان فضح الحزب للفساد وتحليله للاوضاع ، الذى

يسير جنبا الى جنب مع نشاطه الملموس فى الظروف الجديدة، ظروف السرية والاضطهاد، قد جذب كثيرا من الممثلين الجدد للطبقة العاملة الى صفوف الحزب والى منظمة الشباب .

ان أورجواى تمر بظروف عصيبة . ولكن كما ورد فى بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى أورجواى ، فان الشعب يؤمن بقوته ،وبالطبقة العاملة وحزبها ، الذى يثق بانه من خلال التحالف مع جميع الديموقراطيين والوطنيين ، بما فى ذلك ، رجال القوات المسلحة ذوى العقلية الوطنية ، يمكن تحقيق تغييرات ايجابية ، وستتحقق تغيرات ايجابية فى المستقبل القريب ، رغم الصعوبات الكامنة فى كل نضال كبير .

●●●

الحزب الشيوعى البرتغالى

تأسس فى سنة ١٩٢١ ، وظل غير قانونى منذ سنة ١٩٢٦ ، عندما قام الانقلاب العسكرى .

والمنظمات الاساسية للحزب خلايا تشكل فى المؤسسات والمزارع وثكنات الجيش ومعاهد التعليم . وتشكل بين الحين والاخر خلايا شوارع لاعضاء الحزب فى مختلف المؤسسات والهيئات وتقسم الخلايا الى مجموعات . وفى الظروف غير القانونية تتكون هذه المجموعات من عدد صغير من الاعضاء .

واعلى سلطة فى الحزب هى المؤتمر .وقد عقد مؤتمران قانونيان قبل سنة ١٩٢٦ ، وعقدت أربع مؤتمرات فى الظروف غير القانونية . وقد اقر المؤتمر السادس ، الذى عقد فى سنة ١٩٦٥ ، برنامجا جديدا للحزب وأدخل تعديلات على نظامه الداخلى

وينتخب المؤتمر اللجنة المركزية التى تقود نشاط الحزب فيما بين فترات انعقاد المؤتمر . وتنتخب اللجنة المركزية سكرتارية وهيئات تنفيذية أخرى .

ونتيجة للظروف غير القانونية للعمل ، فلا توجد خطة موحدة لتنظيم هيئات مناطق أو محافظات .

وتعمل منظمات الشباب والطلاب والجيش وغيره من المنظمات تحت قيادة الحزب .

واجرى تقييم فى سنة ١٩٧٣ شمل ثلثى اعضاء الحزب تقريبا ، تبين منه أن ٥٧ ٪ منهم عمال وموظفون ، و ٥٩ ٪ تقل اعمارهم عن الثلاثين و ٨ ٪ فوق الخمسين . وتكون النساء ٢٠ ٪ من اعضاء الحزب .

صحافة الحزب :

افانتى « الى الامام » هى جريدة الحزب المركزية وتصدر مرة أو مرتين فى الشهر ، وقد تأسست فى سنة ١٩٣١ بشكل غير قانونى ، وظلت تظهر بانتظام لاكثر من ثلاثين عاما .

اوميلبتانى ، نشرة نظرية تصدرهااللجنة المركزية كل شهرين .

اتيرا ، جريدة لصغار الفلاحين .

اوتكستيل ، جريدة لعمال النسيج .

واى ، اى ، سى ، لسان حال اتحاد الطلبة الشيوعيين .

وتظهر مطبوعات اخرى بشكل غير منتظم، مثل جريدة كاكيوروز « الفلاح » للعمال الزراعيين

وللحزب جريدته الخاصة ادبسوس افانتى وكل مطبوعات الحزب تطبع بشكل غير قانونى داخل البلاد .

ويمتلك الحزب كذلك محطة اذاعة غير قانونية ، هى « اذاعة البرتغال الحرة »

●

دائرة المعارف

• النقد والنقد الذاتي :

يعتبر النقد والنقد الذاتي احد القوانين الموضوعية لنشاط وتطور الحزب الثوري ، كما انه الطريق الى تصحيح النواقص والاخطاء وتحسين عمل الحزب وتربية اعضائه تربية صحيحة . وقد كتب انجلز يقول : « أعتقد انه من الضروري للغاية ان يوجه الحزب النقد لنشاطه السابق وبذلك يتعلم العمل بشكل افضل .

وعندما وضع لينين اسس بناء الحزب الشيوعي اهتم بان تسوده روح النقد المبدئي والنقد الذاتي ، وعدم التهادن حيال اللامبالاة والغرور . وعند تعميمه لخبرة الحركة العمالية في المؤتمر الحادي عشر للحزب البلشفي عام ١٩٢٢ قال : « ان جميع الاحزاب الثورية التي تحطمت ، انما تحطمت بسبب اصابتها بالغرور ولم تستطع ان تدرك اين تكمن قواتها ، وخافت التحدث عن ضعفها . لكن حزبنا لن يتحطم لاننا لا نخاف الحديث عن نقاط ضعفنا ونتعلم التغلب عليها » .

والتطوير الشامل للنقد والنقد الذاتي شرط ضروري لتدعيم الحزب وتحسين نشاطه ، وزيادة قدرته النضالية . وسيفقد مكانته ولن يستطيع القيام بدوره كقائد لحركة الطبقة العاملة اذا عجز عن معرفة اخطائه وتخلص منها في الوقت المناسب . فموقف الحزب السياسي من اخطائه هو أحد المعايير بل واصدقها لقياس مدى جدية الحزب وتنفيذه عمليا لواجباته نحو طبقته ونحو الجماهير . ان الاعتراف بالخطأ علانية وكشف اسبابه وتحليل الوضع الذي ادى اليه ، ومناقشته وسائل اصلاحه بعناية ـ تلك هي علامات جدية الحزب وتنفيذه لواجباته .

ولابد ان يعمل الحزب على تطوير النقد لا من القمة الى القاعدة فحسب بل ومن القاعدة الى القمة كذلك ، وان يعاقب بشدة كل من يعمل على كبت النقد أو يتخذ موقفا غير نزيه في تنفيذ الملاحظات النقدية .

ويتم النقد والنقد الذاتي داخل الحزب في الاجتماعات الحزبية في مختلف المستويات وداخل كونفرنسات الحزب ومؤتمراته . ويجب ان تعمل جميع المنظمات الحزبية على تنمية روح الناقد في الاعضاء وتهيئة الظروف للكشف عن النواقص التي تعرقل تقدم العمل .

والفهم الفوضوي لمفهوم حرية النقد في الحزب لا علاقة له على الاطلاق بمبادىء التنظيم الحزبي . فلكل فرد الحرية المطلقة في انتقاد ما يريد بشرط الا يعني ذلك طمس منجزات الحزب ونضاله والتشكيك فيه .

ان النقد والنقد الذاتي ضروريان لعمل الحزب ، كما انهما يشحذان لكل عضو من أعضائه النضوج السياسي وتطوير فعاليته وزيادة مسئوليته في تحقيق المهام المطروحة أمام الحزب وتدعيم الانضباط الحزبي .

والنقد والنقد الذاتي يساعدان على تطهير الحزب من كل ركود ويوسعان ويدعمان علاقة الحزب بالجماهير . وهما يتيحان للحزب تربية اعضائه بروح المبدئية والمسئولية والنضال ضد المظاهر الغريبة عليه كالبيروقراطية والجمود واللامبالاة والغرور . وبمساعدة النقد والنقد الذاتي تتوفر الفرصة لكشف النواقص ومعالجتها في الوقت المناسب .

ولا شك ان النقد والنقد الذاتي يعتبران وسيلة مجربه للحفاظ على وحدة الحزب وتدعيمها .

القيادة الجماعية :

القيادة الجماعية شرط لا غنى عنه لنشاط الحزب الثوري ولتربية كوادره تربية سليمة وتطوير فعالية أعضائه . ويتجسد مبدأ القيادة الجماعية في الحزب في اعترافه بحق كل عضو في المشاركة في المناقشات الحرة داخل الاجتماعات بشأن جميع القضايا المتعلقة بسياسة الحزب ، وبحقه في انتخاب الهيئات المختلفة والترشيح لها ، ومحاسبة اي هيئة حزبية مهما كان مستواها .

ويرتبط مبدأ القيادة الجماعية باحتفاظ هيئات الحزب المختلفة بروابط واسعة مع الاف العمال والكادحين والاحساس الدقيق بارائهم والتعبير عن هذه الاراء والمطامح . ولا يجب لاي شخص مهما بلغت قدراته وكفاءته الشخصية ان يسمح لنفسه على الاطلاق بان يقوم بمفرده بالعمل الذي هو من اختصاص الهيئات التي يمثل هو احد افرادها .

ان الاعتراف بالقيادة الجماعية وبدور الجماهير لا يعني انكار دور الفرد في التطور الاجتماعي . حقا ان الفرد لا يمكنه أن يغير سير التاريخ على هواه ، لكنه مع ذلك يلعب دورا كبيرا اذ يمكنه ان يعجل باعماله من سير الاحداث ، ويساعد في تحديد الطريق الافضل لتحقيق الهدف والزعماء كافراد يدركون أكثر من غيرهم الاوضاع التي يعيشون فيها وحاجات التطور الاجتماعي ، ويكون لديهم القدرة أكثر من سواهم على تحديد اتجاه الجماهير وقيادتها ان الطبقة العاملة لا يمكنها ان تتصدرون أن تقدم زعماء سياسيين وممثلين طليعيين ، قادرين على تنظيم وقيادة حركتها . وهذه الشخصيات ذات المكانة هي تعبير عن الثقة بالانسان والاعتراف الشامل باعماله ومقدرته وخبرته . مثل هذه الشخصيات ضرورية لقيادة المجتمع بشكل اكثر نجاحا .

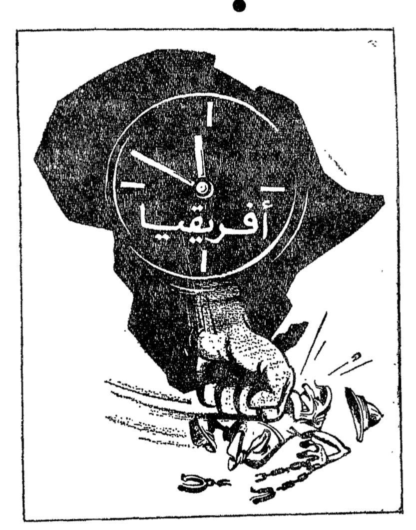
والقيادة الجماعية هي اعلى مبدا في القيادة الحزبية . ويكمن جوهر القيادة

الجماعية بالدرجة الاولى فى ان جميع القضايا المبدئية للسياسة الحزبية تقررها مؤتمرات الحزب وهيئاته القيادية المنتخبة. ان الروح الجماعية تشبه اتحاد اراء كثيرة فى رأى موحد ، ومواهب كثيرة فى موهبة واحدة . وتزيد الجماعية من روح المسئولية الفردية عن تنفيذ القرارات .

ويتم تحقيق مبدأ القيادة الجماعية فى الحزب من خلال القواعد التنظيمية التى تضمن الدعوة المنتظمة لانعقاد المؤتمرات والكونفرنسات والاجتماعات الوسعة على مختلف المستويات التى تعتبر المعبر عن الرأى العام لجميع اعضاء الحزب .

والمسئولية عن سير الامور فى الحزب عموما انما تقع على عاتق جميع الاعضاء المنتخبين الذين يدعون لتحضير القضايا المطروحة للمناقشة فى الاجتماعات المختلفة، كما يتوجهون الى المنظمات الحزبية لتقديم معونتها فى تنفيذ القرارات . ان استقصاء الحقائق ، والتشاور مع اعضاء الحزب، وابداء الرأى بشكل موضوعى هى الشروط اللازم توافرها للقيادة الجماعية .

وتعنى القيادة الجماعية النشاط الفعال وروح التنظيم والشعور بالمسئولية والانضباط الحديدى . والقيادة الجماعية لا تنفى ، بل على العكس ، تفترض المسئولية الفردية لكل عضو من اعضاء الحزب ، مهما كانت مكانته ، عن المهمة الموكلة اليه .



الساعة تدق ف. تشيرنيكوف

العالم الثالث

العلم و التكنولوجيا و مشكلة التنمية

فى ابريل ١٩٧٣ انعقد فى موسكو على مدى ثلاثة أيام مؤتمر لبحث ومدارسة موضوع ((الثوره العالمية والتكنولوجيه ومشكلات البلدان الناميه)).وتم المؤتمر تحت رعاية ((المجلس العلمى للمشكلات المعاصرة التى تواجه الدول النامية)) وهو المجلس التابع لاكاديمية العلوم السوفييتية .

واشترك فى المؤتمر ما يقرب من ١٨٠ عالما سوفييتيا ، هذا فضلا عن حشد ضخم من وفود مراكز البحوث العلمية فى بلغاريا والمجر وجمهورية ألمانيا الديمقراطية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا .

وقدم التقرير الرئيسى للمؤتمر ج . سوروكوف ـ دكتوراه في العلوم الاقتصادية،وأستاذ بمعهد الاقتصاد العالمى والعلاقات الدولية التابع لاكاديمية العلوم السوفييتية . وابرز سوروكوف في تقريره أربع مشكلات يعتقد انها ذات دلالة هامة وأساسية بالنسبة لموضوع تطبيق العلم والتكنولوجيا الحديثة فى العالم الثالث .

وهذه المشكلات هى : ـ

ـ دور العلم فى الاستراتيجية الشاملة للتنمية القومية .
ـ المحتوى الاجتماعي لشعار ((اللحاق ببلدان العالم المتقدمة .
ـ سبل ووسائل التغلب على التخلف التكنولوجى والاقتصادى .
ـ بعض الاتجاهات الاكثر ترجيحا لمسار التقدم العلمى والتكنولوجى فى البلدان النامية .

واسهم فى هذا الحوار الشيق والرفاقى ثلاثة واربعون متحدثا تناولوا فى تقاريرهم القضايا الحيوية التى تضمنها التقرير الاساسى .

ونقدم فيما يلى عرضا للحوار كتبه م . فولكوف ـ دكتوراه فى العلوم الاقتصادية .

افتتح المؤتمر ف . تياجو نينكو العضو المراسل بأكاديمية العلوم السوفييتية ، واشار فى كلمة الافتتاح الى ان هدف المؤتمر هو تقديم عرض مجمل لآراء علماء البلدان الاشتراكية عن الاتجاهات العامة لاثر الثورة العلمية والتكنولوجية على الوضع الراهن وآفاق المستقبل للعالم الثالث وتحديد الامكانيات الاساسية للافادة من منجزات العلوم والتكنولوجيا الحديثة فى الدول النامية من أجل الاسراع بعجلة التقدم الاجتماعى الاقتصادى فيها .

ولفت الانظار فى حديثه الى الطبيعة المعقدة للمشكلات موضوع الحوار وتعدد صورها ، اذ تتداخل هنا كثير من قضايا العلاقات الدولية والحياة الداخلية للدول النامية نظرا لان هذه البلدان لا تعيش كمجتمع منعزل بل باعتبارها جزءا من الميكانيزم الاقتصادى العالمى .

لقد أصبحت الثروة العلمية التكنولوجية مجالا ضخما للتنافس بين النظامين العالميين المتضادين — الاشتراكية والرأسمالية — وطبيعى أن الصراع الطبقى والتنافس بين هذين النظامين هما على وجهالدقة والتحديد اللذان يحددان الكثير من القسمات المميزة والنتائج الاجتماعيه للثروة العلمية التكنولوجية كما يحددان بالمثل التأثير المتناقض على تقدم بلدان العالم الثالث .

دور العلم فى استراتيجية التنمية القومية :

قال ج . سوروكوف «على الرغم من أن الثورة العلميه والتكنولوجيةتزدهر اليوم اساسا فى البلدان الصناعية الاشتراكية والرأسمالية . الا انها تحتوى ايضا بلدان العالم الثالث . ذلك أن الدول النامية هى اليوم المستهلك الاساسى للاختراعات والمستحدثات التكنولوجيه .

بيد أن هذا الكنز الضخم من ثروات الحضارة والثقافة الذى جمعته شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية على مر الاحقاب والعصور منذ زمان سحيق يمكن فى سهولة ويسر أن يتحول من عنصر سلبى الى عنصر ايجابى يؤدى دورا أهم حيوية وأخطر شأنا مما نستطيع ان نتنبأ به اليوم .

لقد أكدت الحياة ضرورة وأهمية الجهود العلمية الذاتية فى استراتيجية التنمية القومية . وتستطيع الخبرة السوفييتية أن تؤدى جانبا هاما فى اعداد هذه الاستراتيجية والتخطيط لها . ونحن نعرف أن الحكومة السوفييتية تولى اهتماما كبيرا منذ ثورة اكتوبر للعلم والتعليم والتجديد التكنولوجى للاقتصاد القومى . وأصبح الاتحاد السوفييتى بفضل مبادىء

لينين أول دولة تضـــــع استراتيجية علمية وتكنيكية متكامله كجـزء من سياستها الاقتصادية الشاملة ، واقتضت هذه السياسة حشد جهـود كل العلماء والمهندسين والتكنيكيين والعمال المتقدمين وفاء بأكثر المهام الحاحا ، وأدى انجاز هذه السياسة على المدى الطويل الى ضمان أسباب التنمية الاقتصادية السريعة وتحول الاتحـــاد السوفييتى بذلك الى قوة صناعية رائدة . وتبدى كل البلدان الاشتراكية اليوم ، ابتداء من فيتنام شرقا حتى كوبا غربا اهتماما كبيرا لا يعرف الكلل من أجل تقدم العلم وتطبيق منجزات التكنولوجيا الحديثة . وترصد دول مجلس المساعدة المتبـــادلة ميزانيات ضخمة للانفاق على البحث العلمى تتضاعف من مرتين الى اربع مرات بمعـدل زيادة الدخل القومى .

وبدأ مؤخرا يسود فى البلدان النامية اعتقادا بأنه بدون توفر قاعدة خاصة بهم للبحث العلمى والتنمية سيكون من المستحيل عليهم تطبيق المختـرعات العلمية بما فى ذلك ما هو متاح لهم منها .

وليست القضية اليوم هى ما اذا كان ضروريا بناء قاعدة وطنية للعلم والبحث بل كيف يتحقق ذلك وفى اى اتجاه يكون . وهنا لفت سوروكوف الانظار الى ثلاث مشكلات هامة تواجه الدول النامية . أولا تنشيط الجهود بهدف دعم عملية التعليم الشاملة للجماهير ونشر المعرفة العلمية على أوسع نطاق ممكن وتدريب كوادر وطنية على كل المستويات ـ من العلماء حتى التكنيكيين والعمال المهرة .

ثانيا ـ خلق أساس علمى حديث بمثابة بناء تحتى للمجتمع . وثالثا بناء قاعدة مادية وتكنيكية حديثة فى صورة مصانع قادرة على تصنيع المعدات والآلات على نحو يضاهى أحدث المستويات العالمية .

وواضح ان الوفاء بهذه المهام سيتم عبر سبل مختلفـــة فى تلك البلدان الضخمة والمتطورة صناعيا نسبيا مثل الهند والبرازيل بالقياس الى الدول الصغيرة والاكثر تخلفا . وواضح أيضا أنه بالنسبة للبلدان الصغيرة والمتوسطة (والتى تمثل الاغلبية الساحقة من بلدان العالم الثالث) سيكون من الانفع لها أن تخطط وتنتهج سياسة مشتركة فى العلوم على أســـاس اقليمى وما دون الاقليمى على نحو يسمح لها بتركيز جهودها العلمية . وعلى أية حال فلا سبيل لبناء العلم ودعمه فى بلدان العالم الثالث الا على أساس التقدم العلمى العالمى وفى ارتباط وثيق به .

وكشف المؤتمر عن اهتمام كبير بخبرة الهند التى تعد البلد الوحيد فى

العالم الثالث الذى وضع بنفسه المبادىء الاساسية لاستراتيجية قومية فى العلم والتكنولوجيا .

وربط أعضاء المؤتمر بين أسس استراتيجية الافادة من العلم والتكنولوجيا فى البلدان النامية وبين تطلعات هذه البلدان من أجل تحقيق استقلالها الاقتصادى . ووضح أن الانتقال من حالة التبعية الاقتصادية والاعتماد على الراسمالية العالمية الى حالة الاستقلال الاقتصادى لابد وأن يتم بمساعدة العلم والتكنولوجيا الحديثة . وليس معنى هذا انطواء الدول النامية وانعزالها ذاتيا بل على العكس اذ يقضى بداية ضرورة الاندماج الاقتصادى العالمى ولكن على أساس مختلف أى على أساس المساواة والتعاون المتحرر من كل قيود الاستقلال . وثمة امكانية لبلوغ هذا ولكن بشرط تملك ناحية العلوم والتكنولوجيا الحديثة وتحديث وتنويع الاقتصاد ووضع حد لنظام الاعتماد على السلعة الوحيدة والقضاء على مظاهر التخلف التكنيكى والاقتصادى الموروث منذ عهود الاستعمار .

وطبيعى أن تحقيق معدل عال للنمو يمثل أمرا حيويا لكل الدول النامية . ومن الاهمية بمكان لانجاز هذه المهمة بنجاح أن تحدد هذه الدول أنفع مناطق ومجالات الاستثمار حتى يمكن الاستفادة من مصادر الثروات الطبيعية على نحو اكثر فعالية . **ويتعين هنا على المرء الا يحصر نفسه فى اطار الجانب التكنيكى الاقتصادى وحده ذلك لان اتباع نهج اجتماعى اقتصادى هو وحده الكفيل بتحديد اتجاه هادف لتخطيط التقدم العلمى والتكنولوجى وتحديد اهداف مرغوب فيها وواقعية فى نفس الوقت ، ووضع برامج عملية وموضوعية لتحديث الاقتصاد الوطنى طبقا لاحدث السبل التكنيكية .**

التصنيف العلمى لانماط الدول النامية :

ان وضع استراتيجية تطبيق العلم والتكنولوجيا ، وتحديد البرامج اللازمة لذلك لا يمكن أن يكون وفق نمط واحد فى كل البلدان النامية نظرا لان كلا منها يختلف عن الاخر اختلافا بينا . ولهذا السبب أشار كثير من المتحدثين الى ضرورة العمل على تحسين واستكمال التصنيف العلمى لانماط الدول النامية بقدر التباين بين هذه البلدان من حيث امكانيات وأهداف تطبيق العلم والتكنولوجيا .

واذا نظرنا الى هذه البلدان من زاوية امكانياتها لاستخدام الالات المعقدة سنجد من الاهمية بمكان تقسيمها وفق انماط اجتماعية اقتصادية : بلدان تتبع طريق التطور غير الراسمالى وبلدان تتطور وفق خطوط راسمالية

(مع التمييز في النمط الاخير بين بلدان تتجه نحو توظيف رأس المال الاجنبي على نطاق واسع وبلدان تتجه نحو تنمية اقتصادية مستقلة) .

ومن الاهمية ايضا ، علاوة على ما سبق ، تقسيم البلدان النامية طبقا لمبدأ أولوية تخصص الانتاج . ومن ثم يمكن وضع تصنيف تقريبي لجماعات من الدول النامية وفق هذين المعيارين . بلدان اختارت طريق النمو غير الراسمالي ، وهذه تؤلف مجموعة بذاتها تضم مجموعات ثانوية هي دول زراعية ودول زراعية صناعية . وتنقسم البلدان التي تنطـور وفق خط راسمالي الى ثلاث مجموعات : ا ـ بلد تسود فيها العـلاقات الراسمالية وتكون لها الغلبة على الاقتصاد على الرغم مما يثقل كاهلها من بقـايا خطيرة ورثتها عن المرحلة قبل الراسمالية . ب ـ بلدان قطعت فيها العـلاقات الراسمالية شوطا طويلا في مجال الاقتصاد ولكن لم تصبح بعد هي العلاقات السائدة الغالبة . حـ ـ بلدان ليس بها سوى عنـاصر أولية للعـلاقات الراسمالية . وتضم المجموعتان الاوليان ثلاث مجمـوعات ثانوية : بلدان متخصصة في الانتاج الزراعي وانتاج المواد الخام المستخرجة من المنـاجم ، وبلدان متخصصة في انتاج المواد الخام الزراعية ، وبلدان متخصصة في انتاج المواد الخام المستخرجة من المناجم .

وكان الرأى في المؤتمر أن هذا التصنيف للدول النامية يعكس مستوى وصور تطور قوى الانتاج التي تستخدم الدول من أجلها الوسائل التكنيكية الحديثة في نطاق كاف . واشار المؤتمر بوجه خاص الى أن قدرا كبيرا من أحدث التجهيزات الآلية يمكن استخدامه في البلدان التي تستطيع بنـاء مشروعات صناعية ضخمة على قاعدة من مصادر الثروات الهائلة من المواد المعدنية .

وطبيعي أن مثل هذه المشروعات اذا إستخدمت أحدث الآلات وأكثـرها انتاجية لا يمكنها أن تقصر إنتاجها على السوق المحلي للبلد . ولهذا فان المصلحة تقضي بألا نبني مثل هذه المشروعات الا اذا ما تـوفرت امـكانيـة تصريف الانتاج لدول أخرى نامية .

مثال : بعض بلدان أفريقيا التي تمتلك ثروات طبيعيـة معدنية هائلة ولكن تنقصها الصناعة التحـويلية ، هـذه البلدان يمـكنها بناء مشروعات لصناعة الحديد والصلب ، والالمونيوم ، وصناعات كيميائية ، وبخاصـة مصانع لإنتاج الخامات المركبة صـناعيا الحديثة . وطبيعي أن تشييد

مشروعات صناعية ضخمة كهذه يقتضي استخدام أحدث التجهيزات الآلية وتشغيل عمال مهرة واخصائيين على درجة عالية من الخبرة والتدريب . ويمكن اقامة مثل هذه المشروعات على أساس التكامل الاقتصادي الاقليمي الذي يمكن ان يجمع بين البلدان المتخصصة في فروع مختلفة من الانتاج الحديث .

ان الاعتبارات النظرية العامة بشأن سبل ووسائل التنمية العلميـــة والتكنولوجية ممكنــــة فقط بالنسبة للعالم الثـــالث ككل . ولن تكون التوصيات العملية والموضوعية العيانية والبنائية ذات فائدة ما لم تضع في الاعتبار النمط النوعي المميز للتنمية وتخصصها . والنجاح هنا رهن بدرجة التعاون المتبادل والتكامل العلمي والتكنيكي والاقتصـــادي على ألا يكون هدفه هو العمل باطراد على توسيع نطاق الاحتكارات الرأســمالية المتعددة الجنسية ، بل يكون هدفه دعم التقدم الاجتماعي والاقتصـــادي للبلدان النامية .

التكامل الاقتصادي والامبريالية

اشار المؤتمر الى ما نلحظه اليوم من اتجاهات قوية للتكامل الاقتصادي في العالم الثالث . فقد بدات تظهر الى الوجود اتحادات اقتصادية جديدة .. **فاذا كانت العوامل السياسية او الذاتية هي التي كانت تحدد في الماضي عمليـــات التكامل الاقتصادي فانهــا الان ترتكز اكثر فاكثر على اساس اقتصادي واقعي . ونتيجة لذلك فان المتوقع ، آجلا او عاجلا ، ان تتكون في العالم الثالث اتحادات اقتصادية متطورة الى حد ما بدلا من العـــدد الكبير المتنـــاثر من البلدان المفككة والمنعزلة عن بعضها وان تلعب هـــذه الاتحادات الدور الرائد في التنمية . ومن المتوقع ان يتحقق داخل هــذا الاطار على وجه التحديد اعظم قدر من النجاح في حل مشكلات التقـــدم العلمي والتكنولوجي وفي توحيد الاقتصـــاديات القومية المنعزلة . ولـــكن الراسمالية الاحتكارية الدولية تعوق نشوء مثل هذه الاتحادات التكاملية نظرا لانها موضوعيا موجهة ضد الامبريالية .**

واوضح المؤتمر ان تطبيق العلم والتكنولوجيا في الدول النامية يرتبــط ارتباطا وثيقا بتغيير نمط التقسيم الدولي للعمــل ، والدور الذي تؤديه التجـــارة العالمية بكل قيودها والاشكال التنظيمية التي تســـتخدمها الاحتكارات الرأسمالية لمصالحها الخاصة ابتغاء الاضرار بالدول النامية .

ولهذا تضع الامبريالية عراقيل خطيرة فى طريق استيراد البضائع المصنعة من الدول النامية ، ويمكن القول بأن اكبر هذه العراقيل هى نظام الخفض المستمر لقوائم الاسعار الذى يؤدى الى خفض مفتعل وتكاليف انتاج الصناعات التحويلية التى تقام قواعدها بعيدا عن المصادر الطبيعية للموادالخام . والملاحظ ان أكثر البلدان الرأسمالية الصناعية بدأت منذ أوائل السبعينات تتبع أسلوبا مشتركا يتمثل فى تفضيل استيراد السلع شبه المصنعة وبعض السلع المصنعة من الدول النامية بيد ان هذا العامل الجديد فى السياسة التجارية للامبريالية لايمكن النظر اليه وحده باعتباره رضوخا لمطالب الدول النامية . اذ ان الدافع اليه هو التزايد المطرد فى عدد الاحتكارات الرأسمالية التى تحول جزءا من طاقاتها الانتاجية الى الدول النامية ثم تصدر منتجات فروعها الى الدول الام والى بلدان العالم الثالث . وثمة ميل عام الى تحويل كل الصناعات وبخاصة الصناعات غير الدينامية والصناعات التى تحتاج الى استهلاك طاقة عمل والصناعات « القذرة » التى تستخدم معدات قديمة نسبيا . وترتبط هذه العملية الجديدة بالتغيرات التكنيكية فى السياسة الامبريالية للتجارة الخارجية ولهذا يجب أن نضعها فى اعتبارنا عند تقويم امكانيات وآفاق التقدم العلمى والتكنولوجى فى البلدان النامية .

وقد أحست الاحتكارات الامبريالية بعجزها عن عرقلة وتعطيل التوسع الصناعى فى العالم الثالث ولهذا اتجهت الى البحث عن وسيلة تكفل لها التحكم فى هذه العملية وتضمن لها تقسيما دوليا غير متكافىء للعمل فى الاقتصاد الراسمالى العالمى . **وتنشىء الاحتكارات اليوم شركات « مختلطة » بالاشتراك مع راس المال المحلى ، وتعتبر هذه الشركات وسيلتها لكسر الحوافز الجمركية والتدخل فى السوق المحلية للدول الجديدة . ولقد تم نقل الالات والتكنولوجيات وبراءات الاختراع الحديثة الى هذه الدول بمعنى انها بيعت لها باسعار باهظة . وتجلت فى هذا الاشكال الجديدة للتبعية الاقتصادية والتكنيكية والتى نعرفها الان باسم « الاستعمار التكنولوجى الجديد » .**

وأشار أحد الابحاث المقدمة الى المؤتمر الى أن تشريع الاحتكار الذى وضعته الرأسمالية ويتطابق مع أوضاع وأهداف الاقتصاد الرأسمالى المتطور يشكل احدى وسائل « الاستعمار التكنولوجى الجديد » . **والملاحظ أن البلدان التى بدأت تستخدم انجازات العلوم والتكنولوجيا العالمية لحل مشكلاتها الخاصة وجدت أن هذا التشريع يمثل عقبة رهيبة فى طريق تقدمها : اى اتضح لها ان النظام الاحتكارى يعمل ضد الدول النامية .**

وتقتضى مصالحهم استبدال النظام الاحتكارى والقوانين الاحتكارية التى فرضـها عليهم الاسـتعمار قسرا بنظـام جديد يحمى الاختـراعات وييسر استخدام منجزات الحلول والتكنولوجيا العالمية من أجل دعم التقـدم والتحرر من الاستغلال الاجنبى .

واعترف أعضاء المؤتمر بالحاجة الى دراسة دقيقة وفاحصة للاتجاهات والمظاهر العامة « للاستعمار التكنولوجى الجديد » باعتبـاره أحـدى النتائج المترتبة على الثورة العلمية والتكنولوجية فى ظـل الامبرياليـة .

وأكد المؤتمر ان النظام الاشتراكى العالمى يمثل عاملا هاما قادرا على مساعدة الدول النامية لمقاومة ((الاستـعمار التكنولوجى الجديد)) واستخدام منجزات الثورة العلمية والتكنولوجيـة العالمية دون التعرض لمخاطر التحول الى دول تابعة للامبريالية . ولا ريب فى ان امكانيـات الدول النامية لاستخدام ثمار الثورة العلمية والتكنولوجية ستعتمد الى حـد كبير بمسار التنافس الاقتصادى والعلمى والتكنيكى بين النظـامين العالميين . ان التعاون بين البلدان الاشتراكية والشعوب المتحررة حديثا فى اسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية قد يسر بالفعل لهذه الشعوب امكانية الحصول على الـكثير من منجزات العلوم والتكنولوجيا الحديثة . وقد اصبح فى مقدور البلدان النامية بمساعدة البلدان الاشتراكية ان تبنى مشروعات صناعية وفق احدث صيحة فى عالم العلم والتكنولوجيا . وخير مثل على ذلك مشروعات الحديد والصلب فى بلـدة بهيـلاى وبوكارو فى الهند وعنابة فى الجزائر وحلوان فى مصر واصفهان فى ايران هذا عدا الكثير من المشروعات الصناعية الاخرى .

ان بلدان النظام الاشتراكى تقدم المساعدة الاقتصادية والتكنيكية المبرأة من كل غرور وتقدم الخبرة والتدريب لبلدان العـالم الثـالث . وطبيعى أن هذه المساعدة لها أثرها المفيد الذى يتزايد باطراد على نظام العـلاقات الاقتصادية الدولية بأكمله .

المحتوى الاجتماعى لشـعار

((اللحاق بالدول المتقـدمة))

تخلق الثورة العلمية والتكنولوجية امكانيات لا نظـير لهـا لمضاعفـة التنمية الاقتصادية فى الدول الحديثة والوصول بها الى مصاف البلدان

الصناعية ولكن ما معنى شعار « اللحاق ببلدان العالم المتقدمة ؟ » وما هو المحتوى الاجتماعي لعملية التنمية ؟ وما هي المصالح التي تخدمها هذه العملية ؟ وكيف سيكون توزيع ثمارها ؟ هل لصالح غالبية السكان أم لصالح الاقلية صاحبة الامتيازات ؟

يعتقد المؤتمر ان المهمة ليست بحال من الاحوال أن نخلق في الدول النامية صورة طبق الاصل او نسخة مكررة للتركيب الاقتصادي الراهن في البلدان الرأسمالية الصناعية . ان القوى التقدمية في العالم الثالث اذ تستوحي ظروفها وتقاليدها وتراثها المتميز وتتطلع الى تطوير نسقها الخاص من القيم بحيث يكون مبرءا من كل قرحات ورذائل المجتمع الرأسمالي ، ويضطرها كل هذا الى البحث عن طرق خاصة بها للاستفادة من العلوم والتكنولوجيا الحديثة وتكون مميزة عن الطرق التي قادت بلدان العالم الغربي الى « مجتمع الاستهلاك » الراهن .

وأصبح من المسلم به الان ، حتى لدى الايديولوجيين البرجوازيين ، ان زيادة الدخل القومي ليست بحال من الاحوال كل محتوى عملية التنمية ، اذ انها اوسع من ذلك بكثير وتفوقها من حيث تعدد المظاهر . ويرى سوروكوف أن ثمة سببين مباشرين لهذا التغير في الاتجاه : اولا تفاقم حالة الظلم والتفاوت الاجتماعي ، وهي حالة تشكل خطر الاطاحة الثورية بنظم الحكم التي تنتهج طريقا راسماليا في التنمية . ثانيا تلوث البيئة في الدول الرأسمالية الصناعية والذي أدى الى ظهور عدد لا حصر له من المشروعات التي تستهدف « انقاذ » البشرية من الكارثة البيئية وجدير بالذكر ان أحد هذه المشروعات يدعو الى توقف التنمية الاقتصادية . ويعلق سوروكوف على ذلك بقوله : وهكذا تحول موقف الاقتصاد السياسي البرجوازي فبعد إن كان يدعو في الماضي الى الوصول بالتنمية الاقتصادية الى أقصى حد لها أصبح يدعو الان الى فكرة خيالية هي « وقف التقدم » .

واكد المتحدثون الحاجة الى معايير عامة مقننة ، ونظام متكامل للقياس مما يفيد كأساس لعقد مقارنات دولية بين مستوى التنمية لقوى الانتاج وتحديد الاهداف الاستراتيجية للتنمية .

ووجد أكثر المشتركين في الحوار ان المؤشر المستخدم الان في شكل قياس الدخل القومي بالنسبة للفرد انما هو مؤشر قاصر ذلك لانه لا يبين الصورة الفعلية لعملية التنمية . ويلزم اذا شئنا اعطاء صورة كاملة عن

هذه العملية أن نبحث عن مؤشرات اخرى غير ذلك ، أو أن نبحث عن انساق كاملة من المؤشرات تعكس لنا نظم القيم التى تلتزم بها شعوب الدول النامية انطلاقا من تقاليدها التاريخية والثقافية والظروف النوعية المميزة لحياتها ، ومثلها العليا التى ترفض ((مجتمع الوفرة)) حيث تتفاقم حدة التناقض الاجتماعى وحيث يتزايد سخط الجماهير ونقمتها على الحياة . ان اشباع المتطلبات الحيوية للشعب هو معيار التنمية وهدفها .

ووضح فى المؤتمر أن نظرية ((اللحاق بالدول المتقدمة)) والتى يزخر بها الادب البرجوازى الغربى انما تتجه عمليا وجهة التنمية الراسمالية . انها تحرف شعوب الدول النامية بعيدا عن مشكلاتهم النوعية التى تواجههم وتتركهم عزلا بلا حول ولا قوة فى مواجهة الاستعمار الجديد ، وقد افضت فكرة ((اللحاق بالدول المتقدمة)) الى ظهور مقارنات خاطئة كيفيا ومنهجيا فضلا عن انها تحيل مشكلة الهوة فى مستوى التقدم الى مشكلة ذاتية ينظرون اليها من جانب مجرد لا تاريخى ولا اجتماعى. بيد أن حل هذه المشكلة يرتبط ارتباطا مباشرا بالاتجاه العام للتنمية فى الدول الجديدة مع تنفيذ اصلاحات اجتماعية اقتصادية بعيدة المدى : اصلاح زراعى جذرى وتعاون بين الفلاحين واعادة توزيع الدخل القومى بما يحقق مصلحة الشعب العامل ودعم القطاع العام فى الاقتصاد ، والقضاء على الفقر والبطالة ، وانجاز ثورة ثقافية . وجدير بالذكر أن تحديث الدول النامية فى اطار الاقتصاد العالمى الراسمالى لا يلغى علاقات التبعية الاقتصادية . ان مشكلة الدول النامية التى تنشد بناء مستقبل مستقل ترتبط ارتباطا وثيقا بالانتقال الى طريق التنمية غير الرأسمالية الذى يفتح أمامها آفاق التحول الى البناء الاشتراكى .

سبل ووسائل

التغلب على مظاهر التخلف التكنيكى والاقتصادى

عالج التقرير الاساسى هذه المشكلة واوضح أنها تتعلق أولا وقبل كل شىء باختيار التجهيزات الالية والتكنولوجية التى تمكن الدول النامية من وضع حد للتخلف الاقتصادى .

لقد اصبح واضحا للدول النامية أن المستقبل رهن باستقدام اجدى التجهيزات الالية واكثرها فعالية وانتاجية فهى وسيلتها لتعبئة وحشد كل طاقاتها الكامنة للقفز فوق المراحل المتوسطة للتنمية التكنولوجية وتجاوزها ، ومن ثم يمكن على هذا الاساس الاسراع بعجلة التنمية الاقتصادية ان طبيعة عمليات الانتاج هى التى تملى علينا أحدث الوسائل التكنيكية فى صناعات الحديد والصلب وتوليد الطاقة والصناعات الكيماوية والنقل البحرى والجوى وفى بعض الفروع الاخرى للاقتصاد . وتؤكد النظرية الاقتصادية أن استخدام التجهيزات الالية ذات الانتاجية العالية أكثر ربحا وفائدة فى الصناعات « القديمة » أيضا . ولكن يجب علينا الان أن نضع العوامل التالية موضع الاعتبار عندما نشرع فى حل القضايا العملية المتعلقة باختيار التجهيزات الالية والتكنولوجية .

عامل الزمن : يلزم وقت طويل لتحويل كل اقتصاد الدول النامية بحيث يستخدم الاليات الحديثة . ويثور هنا سؤال بشأن تلك الصناعات التى لم يحن دورها بعد فى عملية التحويل التدريجى لكل اقتصاد البلاد لاستخدام الاليات الحديثة ـ ترى هل الاجدى والاقنع أن نتركها على « حالتها الاولية » أم أن بالامكان اليوم رفع مستواها التكنيكى بمساعدة « الجيل السابق » من الالات التى تتميز بأنها بسيطة وزهيدة ومتاحة وسهلة الاستعمال بالنسبة لجمهرة المنتجين الصغار والتى يمكن أن تحقق فورا عائدا اقتصاديا ملموسا .

العوامل الاجتماعية : ان المعيار الاساسي لاختيار طراز التجهيزات الالية على مستوى المشروع الواحد هو امكانية ما قد يحققه هذا المشروع من ربح . ولكن حين ننظر على مستوى الاقتصاد العومى كله وفى ظل الظروف والاوضاع القائمة مثلا فى أكثر الدول النامية يكون لزاما علينا أن نضع فى حسابنا مشكلة العمالة . وهذه المشكلة جديرة بأن نوليها اهتمامنا وندرسها دراسة عميقة . ولهذا لم يتسن معالجتها فى المؤتمر ، الا معالجة جزئية وفى ارتباطها بمهمة اختيار أنسب الأشكال التكنيكية للظروف النوعية فى الدول النامية .

بعد أن عالج التقرير هذه الظروف انتهى الى نتيجة مؤداها ان الواجب يقضى بأن نستخدم على نطاق واسع « الميكنة ذات المستوى الصغير » أو « التكنولوجيا الوسيطة » . والمقصود بالتكنولوجيا الوسيطة التجهيزات الالية والتكنولوجية التى وان لم تكن أحدث صيحة فى التكنولوجيا فانها تؤدى الى تحقيق زيادة كبيرة فى انتاجية العمل اذا ما قارناها بالاساليب التقليدية « مثال ذلك استخدام القوى المحركة الكهربائية والتجهيزات الميكانيكية فى الصناعات الصغيرة واستخدام

أبسط الاختراعات الميكانيكية التى تزيد انتاجية العمل اليدوى فى البناء وتحميل البضائع وعمليات التخزين ... الخ » .

تناول المتحدث بالتحليل مشكلة « التكنولوجيا الوسيطة » من وجهة نظر زيادة الفعالية الانتاجية على مستوى المجتمع كله .

واوضح ان المهمة التى تواجه الدول النامية هى : اولا — ان تكفل عمالة كاملة لكل قوى العمل العاطلة ، خاصة وان أكثر العاطلين هم ممن دخلوا مجال الانتاج الاجتماعى لاول مرة ، ثانيا — العمل على رفع مستوى انتاجية العمل . واشار المتحدث الى ان هذه المشكلة الصعبة والمزدوجة لا يمكن حلها فى عملية التنمية التلقائية . اذ يتطلب حلها وضع وانجاز العديد من الاجراءات المتداخلة والمترابطة والتى تستلزم مساندة تكنيكية معينة . واقترح المتحدث طرازا لحل هذه المشكلة تدريجيا . يقضى هذا الطراز بالعمل فى المراحل الاولى على تشغيل جماهير العاطلين من السكان ممن تؤهلهم قدرتهم البدنية لذلك فى صناعات مستوى انتاجيتها منخفض ثم تشغيلهم بعد ذلك فى صناعات مستوى انتاجيتها مرتفع . **وينبغى أن يواكب هذا تشييد صناعة ذات انتاجية ضخمة** وحتى قاعدة حديثة يكون هدفها المباشر تحديث الاقتصاد وتهيئة الظروف اللازمة لكى يؤدى وظيفته مستقبلا بصورة سوية . ويكون التركيز فى المرحلة الثانية « وقد تكون هذه هى المرحلة الاولى فى بعض البلدان » على تحديث الصناعات الصغيرة والمؤسسات الصناعية وتطوير الصناعات ذات المستوى المنخفض من حيث نظام المكننة . ويواكب هذا العمل بصورة متصلة لتوسيع المصانع والقاعدة الصناعية ثم يكون الهدف من تنظيم الانتاج الاجتماعى هو تعزيز وزيادة انتاجية كل قوة العمل والوصول باكبر عدد من المشروعات الى المستوى العالمى .

وقد فجرت مشكلات اختيار التجهيزات الالية حوارا حاميا وممتعا ، واتفق راى المتحدثين على ان دعم قوى الانتاج فى البلدان النامية لا يمكن توجيهه وحده نحو استخدام الاليات الحديثة هذا على الرغم من وجود صناعات تستوجب بالضرورة استخدام مثل هذه التجهيزات الالية . « وقال احد المتحدثين أن بالامكان أن نجادل بشأن استبدال الجاروف بحفار ولكن ماذا عن الحاسب الالكترونى وبماذا نستبدله ؟ »

ان استخدام الاليات الحديثة الاساسية ذات الانتاجية المكثفة لا تخلق امكانيات حقيقية لحل مشكلة العمالة . هذا فضلا عن ان استخدامها فى الزراعة « الثورة الخضراء » يؤدى الى تفاقم المشكلة . اذ ان كثيرا من الماكينات الحديثة التى اخترعتها البلدان الصناعية لا تلائم ظروف الدول

النامية . وثمة مجالات كثيرة فى الاقتصاد يكون من الاجدى اقتصاديا والمربح ايضا الا نستخدم فيها أحدث الوسائل التكنيكية بل نستخدم الات أخرى غيرها . وأخيرا فان من المحال استخدام التجهيزات الالية الحديثة فى مجال الانتاج الصغير الذى يمثل الصفة الغالبة فى الدول النامية حيث يستهدف الانتاج اشباع السوق المحلى دون التصدير. وسبب ذلك ان الاليات الحديثة تستلزم مقدما تطور علاقات السلعة ـ النقود على نطاق واسع .

وأشار المتحدثون الى أننا نجافى الواقع اذا تصورنا امكانية تحويل كل الاقتصاد القومى للدول النامية بسرعة الى استخدام الآليات الحديثة ، ولكنهم مع هذا طرحوا فى حوارهم صورا أخرى بديلة لاستخدام « الاليات الوسيطة » لوسائل المكننة ذات الانتاج الصغير وللمعدات المصممة خصيصا وتتطلب راسمال أقل للانفاق عليها ويمكن استخدامها بصورة فعالة فى الانتاج الصغير .

وراى اكثر المتحدثين أن مصطلح « الاليات الوسيطة » هو ذاته مصطلح غير موفق نظرا لانه لا يعكس خصائص التجهيزات الالية الاكثر ملاءمة للدول النامية اليوم .

وأجمعت الآراء على أن مسألة اختيار التجهيزات الآلية لا يمكن تناولها من وجهة النظر التكنيكية الاقتصادية وحدها . ذلك أن معامل الارتباط بين تكاليف العمل وبين تكاليف رأس المال الثابت فى الغرب مختلف عنه فى الدول النامية . **معنى هذا ان القرار الامثل اذا لم يكن هدفه تحقيق اعلى انتاجية عمل فى المشروعات الفردية بل دعم وتعزيز الفعالية الاقتصادية للاقتصاد القومى ككل ، ينبغى اتخاذه بعد أن نضع فى الاعتبار الظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى كل بلد على حدة . وأشار المتحدثون الى أن معدل نمو الدخل القومى بالنسبة لكل وحدة استثمارية هو ما ينبغى أن تتخذه مؤشرا للفعالية الاقتصادية للاقتصاد القومى .**

أن المهمة الاساسية فى الدول النامية التى لم يصبح اقتصادها القومى اقتصادا متكاملا بعد ، هى جذب التراكيب الاجتماعيه الاقتصادية المتباينه داخل اطار العملية الوحيدة للتنمية الاقتصادية ، أى فى داخل نظام متكامل الانتاج . وتطرق الحديث الى الصور المختلفة التى يمكن استخدامها لتحقيق هذا الهدف ، وهنا لفت المتحدثون الانظار الى ربط الانتاج الصغير بانتاج الورش فى سلسلة واحدة على اساس علاقات تعاقدية فرعية وعلى أساس المبادرة وبمساندة الدولة .

ولا يكفى الاعتراف بأن الدول النامية بحاجة الى تجهيزات آلية مختلفة عما نعتبرها اليوم تجهيزات حديثة . ويلزم علاوة على ذلك تحديد من الذى سيطور ويدفـــع ثمن التجهيزات الالية المتميزة التى تلاءم الدول النامية أكثر من غيرها . واعرب المتحدثون عن شـــكهم فى أن تنتج الدول الصناعية هذه التجهيزات الالية خصيصا للدول النامية . وطـرح البعض للنقاش موضوع امكانية أن تنتج الدول النامية نفسها هـــذه التجهيزات الالية . وقيل فى هذا الصدد ان الدولة ستؤدى دورا هاما للغاية من أجل انجاز هذا الهدف .

وأشار أحد المتحدثين الى أن الخبرة المعاصرة لتاميم المؤسسات الصناعية الغربية تشير الى ان التـــأميم كـان ناجحا حيث اقـامت الـدولة ودعمت مؤسسات وطنية محل الاخرى مســـتخدمة تجهيزات آلية حديثة . وأوضحت هذه الخبرة عـلاوة عـلى ذلك ضرورة الالتـزام بنهج اجتمـاعى اقتصادى عند اختيـــار التجهيزات الالية ووضع العـوامل السياسية الداخلية والخارجية فى الحسبان .

وانتهى الحوار الى نتيجة مؤداها أن التنمية الاقتصادية للعالم الثالث يجب أن تتجه على المستوى الاستراتيجى الى استخدام أحدث التجهيزات الالية . وجدير بالذكر أن هذه التجهيزات يمكن ، وينبغى ، استخدامها الان بالفعل فى بعض الصناعات اليوم . أما على المســـتوى التكنيكى فان التجهيزات الالية على اختلاف صورها وتباينها ، بما فى ذلك ما تعتبره الدول الصناعية تجهيزات بدائية لكنها تقدمية بالقياس الى العمل اليدوى السائد فى مجال الانتاج الصغير ، تعد أمرا حيويا وضروريا لحل مشكلات نوعية متميزة وبخاصة مشكلة تنمية أكثر المناطق تخلفا .

البيئة واختيار التجهيزات الالية

ربط بعض المتحدثين مشكلة اختيـــار أنسب التجهيزات الالية للدول النامية بالحاجة الى وقاية البيئة .

لقد أصبحت مشكلة البيئة اليوم مشكلة حادة نتيجة الاســـتعمال غير المنظم للآليات فى ظل ظروف وأوضاع فوضى الانتاج الرأسمالى الخاص وبات مسلما به أن الدول الصناعية أساسا تسببت فى قلب حالة التوازن

الحيوى للبيئة على الارض وهو ما من شأنه أن يؤثر على كل بلدان المعمورة بما فى ذلك الدول النامية . هذا علاوة على أن اختلال التوازن الحيوى للبيئة نتيجة الاستخدام الاحمق للآليات الحديثة قد تكون له نتائج خطيرة جدا لا يمكن التنبؤ بها الان بالنسبة للدول النامية وبسبب ظروفها الطبيعية. والقضية هى أن أكثر اراضى الدول النامية تقع فى المنطقة المدارية والاستوائية والتى لم تحظ بعد بالقدر الكافى من الدراسة من زاوية تطبيق المكتشفات التكنولوجية على اختلاف اشكالها . ونحن نعرف أن هذه المنطقة الشاسعة تستقبل القسط الاكبر من الطاقة الشمسية التى تصل الى الارض كما تستقبل أعلى نسبة من المطر .

ونظرا لغزارة الدفء والرطوبة فان اختلال التوازن الحيوى للبيئة نتيجة تدخل الانسان فى الطبيعة سيكون أكثر حدة وكثافة فى الحزام المدارى وقد يخرج عن سيطرة الانسان ويصبح هنا اشد وأسرع خطرا من أى مكان آخر . ان الحساسية العالية التى تميز البيئة الطبيعية فى الدول النامية تجاه النشاط البشرى المسلح بالالات ترجع الى الكثافة الشديدة للعمليات الطبيعية فى المنطقة المدارية . ولهذا فان نفس مستوى التاثير البشرى على الطبيعة فى المنطقة المدارية والاستوائية وفى منطقة الحزام المعتدل يمكن أن يؤدى الى نتائج مختلفة تماما ، وهو ما بدأ بحدث بالفعل . لقد بات لزاما علينا ونحن نفكر فى التجهيزات الالية للبلدان الاستوائية الا يغيب عن أذهاننا ابدا هذا التحذير : « احذر ، المنطقة الاستوائية » .

وقد اكد كل المتحدثين الذين تناولوا هذه المشكلة اهمية عقد دراسات وابحاث عميقة واساسية عن البيئة الحيوية فى المنطقة الاستوائية بحيث يصبح يسيرا علينا اتخاذ راى بالنسبة لتوصيات العلماء بشأن تطبيق العلوم والتكنولوجيا مع وضع عامل البيئة الحيوية فى الحسبان .

(تكنولوجيا بدون فاقد فى الانتاج ، استخدام المواد الخام الثانوية ، الانتقال من استخدام الكيماويات الى الوسائل البيولوجية فى الزراعة ... الخ) .

اتجاهات محتملة فى التقدم العلمى والتكنولوجى

ان اثر الثورة العلمية والتكنولوجية على الدول النامية خلال العقود الثلاثة القادمة سيكون رهنا بمجموعتين من العوامل :

أولا – التغيرات الاجتماعية الاقتصادية الداخلية التى ستحدث فى كل بلد على حدة ومعدل نمو امكانياتها العلمية والتكنولوجية الخاصة .

ثانيا – الظروف الخارجية التى تحددها المنافسة بين النظـــامين الاجتماعيين ومدى نشاط دول المجموعة الاشتراكية على المسرح العالمى .

ويرى المتحدث الاساسى فى المؤتمر ان أعظم تاثير على موقف العـــالم الثالث فى السبعينات قد يحدث نتيجة التغير الكيفى فى تطور التـــكنيك الزراعى للزراعات الاستوائية والمعروف الان باسم « الثورة الخضراء » . ان ارتفاع ناتج عدد من محاصيل الحبوب ، والتجارب الجديدة لانبات انواع جديدة من المحاصيل الدرنية والحبوب وغـــير ذلك من الزراعات الغذائية التى تغل انتاجا وفيرا ، ومضاعفة إنتاجية الاغنـــام والماشية والدواجن ، كل هذا يبعد عن الاذهان شبح مجـــاعة عامة فى البلدان الاساسية للعالم الثالث ، على عكس ما اكده مؤخرا علماء الاقتصاد الغربيين حين زعموا أن مجاعة توشك أن تقع فى أوائل الثمانينات ..

وثمة مجال آخر يبشر بآمال عريضة عند استخدام احدث الاســـاليب العلمية والتكنيكية لاغراض التنمية ، ونعنى بذلك دراسة وتقويم الثروات الطبيعية والتنقيب عنها واستغلالها صناعيا . وطبيعى أن استخدام أحدث الوسائل العلمية والتكنيكية سيمكن الدول النامية من الافادة بصورة فعالة ورشيدة من ثرواتها المعدنية ومن ثرواتها الخشبية والسمكية والمائية ومن الاراضى البور وكنوز المحيطات .

واعرب المتحدث عن اعتقاده بأن الصناعات الكيماوية الحديثة وبخـــاصة صناعة البتروكيماويات وهى أكثر فروع الصناعات العلمية تقـــدما والتى تستخدم أحدث منجزات العلم والتكنولوجيا سوف تحتل مكان الصـــدارة فى الصناعات التحويلية فى البلدان النامية خلال العقد الحالى .

ويسود الاعتقاد بأن استخدام الطاقة الذرية سيكون له على المـــدى الطويل أثرا عميقا ومتعدد الجوانب على اقتصاديات البلدان النامية . اذ من المتوقع مع بداية الثمانينات أن يصل نصيب محطات توليد القـــوى الذرية فى الميزان الاجمالى للطاقة الـــكهربائية المولدة فى الدول النامية الى ٧ – ٨ فى المائة ، وسوف تتضاعف هذه النسبة خـــلال العقد الثـــانى. أن نمو صناعة الطاقة المحركة الذرية قد ييسر امكانية الاستفادة بصورة كبيرة من المياه الجوفية كما ييسر الشروع فى إزالة ملوحة مياه البحار .

وتلعب الالكترونيات ، بما فى ذلك الحواسب الالكترونية وأساليب التحكم السيبرناطيقية ، دورا بارزا فى اعادة بناء وتجديد أسلوب الحياة كله فى الدول

النامية ، هذا على الرغم من أن هذه العملية لن تتم وفق نمط محدد تلتزم به . ان استخدام الحواسب الالكترونية على نطاق واسع خـلال الاعوام القادمة سيرتبط الى حد كبير باطراد تكامل اقتصاديات الدول النامية مع الاقتصاد العالمى .

ومما هو جدير بالذكر ان الكثير من الدول النامية ستسهم فى السبعينات وفى الثمانينات بوجه خاص فى استخدام الاقمـار الصناعية والافادة منها فيجوانب وأغراض عديدة منها الحصول على معلومات مسبقة عن الكوارث الطبيعية الكبرى فى حدود ماتسديه هذه الاقمار من خدمات فى مجال الارصاد الجوية ، وكذلك فى مجال الاتصالات عن بعد .

وأكد المؤتمر من جديد النتيجة التى انتهى اليهـا التقـرير الرئيسى عن الطابع المتناقض العميق والمتعدد الصور لاثر الثورة العلمية والتكنولوجية على الدول النامية . ذلك لان هذه الثورة تعنى بالنسبة لهـذه البلدان الانتقال من التنمية الواسعة الى التنمية المكثفة . ان هذه الثورة بالنسبة لبلدان العالم الثالث تمثل قوة خارجية تنفذ الى اقتصادياتها أول الامر فى صورة عناصر منعزلة ومتفرقة ثم تحطم الروابط الراسخة القديمة وتفاقم من الفجوات ومظاهر التفاوت الاصيلة فى المجتمع المتعدد التراكيب . انهـا تقوم بدور أشبه بدور العامل المساعد فى الكيمياء الحيوية فهى العـامل المساعد الذى يضاعف ويدعم العمليات الاجتماعية الاقتصـادية لاعادة بناء المجتمع .

ومن ثم فان التغيرات الاجتماعية بعيدة المدى ، التى يجب أن يكون احد عناصرها تخطيط وانجاز سياسة علمية وتكنولوجية قومية ، هى التى تمكننا من أن نبرز وبصورة كاملة الطاقات الرهيبة للعلوم والتكنولوجيا الحديثة وان نستخدم هذه الطاقات لاشباع حاجات غالبية السكان العاملين .

وأخيرا فقد اجمعت الآراء فى المؤتمر على أن ثمة آفاق كثيرة وآمال وفيرة وعريضة تبشر بجهود مشتركة مثمرة من جانب علمـاء الدول الاشتراكية والدول النامية للتخطيط مستقبلا من أجل تقدم وتنمية العلم والتكنولوجيا فى العالم الثالث ومن أجل وضع افضل أشكال وسبل الافادة من هـذه الخطط وتطبيقها عمليا . .

تحالف الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطني

عقدت في بغداد ندوة حول موضوع ((تحالف النظام الاشتراكي العالمي وحركة التحرر الوطني)) تحت اشراف مجلة قضايا السلم والاشتراكية والجبهة الوطنية القومية التقدمية في العراق . وحضر هذه الندوة ، بالاضافة الى وفدي المجلة والجبهة ، ممثلو الاحزاب الشيوعية والعمالية في الجزائر ، والارجنتين ، وبنجلاديش ، وبلغاريا ، وشيلي ، وقبرص ، وتشيكوسلوفاكيا ، وجمهورية المانيا الديموقراطية ، والمجر ، والهند ، واندونيسيا ، وايران ، والعراق ، والاردن ، ولبنان ، والمغرب ، ومنغوليا ، والفيلبين ، وبولندا ، ورومانيا ، والسنغال ، وجنوب افريقيا ، والاتحاد السوفييتي ، وسري لانكا ، وسوريا ، وحضرها ممثلو احزاب ومنظمات يسارية تقدمية ووطنية من آسيا وافريقيا : الاتحاد الاشتراكي العربي (مصر) ، ورابطة عوامي (بنجلاديش) ، والحزب الديموقراطي الغيني ، والاتحاد الوطني الافريقي في زمبابوي ، الاتحاد الشعبي الافريقي في زمبابوي ، وحزب البعث العربي الاشتراكي (العراق) ، والحزب الديموقراطي الكردستاني (العراق) ، وحركة التقدميين الاكراد (العراق) ، والحزب الثوري الكردي (العراق) ، والحزب الاشتراكي الكردي (العراق) ، والاتحاد الوطني الديموقراطي لجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ، وحزب البعث اليمني ، والحزب الثوري الديموقراطي اليمني ، والاتحاد الديموقراطي الشعبي (جمهورية اليمن العربية) ، وحزب طليعة الشعب (جمهورية اليمن العربية) ، وحزب مؤتمر الاستقلال في مدغشقر ، والجبهة الشعبية لتحرير عمان ، وجبهة

التحرر الوطنى فى العربية السعودية ، كما حضرتها شخصيات اجتماعية عراقية بارزة .

ونحن ننشر فى هذا العدد التقرير الذى قدمه كونستانتين زازودوفا رئيس تحرير مجلة قضايا السلم والاشتراكية ، والذى وزع على المشتركين فى الندوة كبحث مطروح للمناقشة .

يقول التقرير : ان القضايا المطروحة للمناقشة ، لم تنشأ فى غرف الدراسة المنعزلة ، وانما نشأت فى بودقة المعارك الثورية ضد الامبريالية وفى سبيل تقدم المجتمع الجديد . وهذه المعارك تشكل التحالف بين بلدان الاسرة الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى . وكما يعلم جميع المناضلين النشطين والمثابرين ضد الامبريالية ، يتوقف على صلابة هذا التحالف مستقبل التطور العالمى ، وكذلك نجاحهم السياسى .

ومن المؤكد أن أعداءنا يعرفون ذلك أيضا . فالخدم السياسيون للرأسمالية العالمية لا يدخرون جهدا فى محاولاتهم لمنع البلدان التى أفلتت من العبودية الاستعمارية عن مواصلة تطورها على طريق النضال ضد الامبريالية ، الذى يتطور موضوعيا الى نضال ضد جميع أشكال الإستغلال. ويعتمد منظرو وسياسيو الإمبريالية على البلدان النامية كمصدر « لدم جديد » لجسم الامبريالية الهرم ، آملين بذلك تأخير نهايتها المحتومة . وهم يبذلون جهودا خاصة لتحطيم التحالف بين البلدان الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى ، ذلك التحالف الذى اختبره الزمن والذى يزداد قوة .

وهذا هو مصدر المناظرات الحامية فى الندوات الدولية وفى المطبوعات المختلفة فى العالم حول موضوع التحالف بين البلدان الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى . وهذا هو مصدر الاهمية النظرية والسياسية الضخمة لهذا الموضوع .

وأود أن ألفت الانتباه الى بعض النقاط ذات العلاقة بهذا الموضوع الواسع الذى يحتل أهمية كبيرة .

أولا ، كلمة حول الادراك العلمى لمفهوم « التحالف بين البلدان الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى » . ما الذى نعنيه بتحالف مثل هذا ، وبتطوره ؟ هل نعنى نظاما من المعاهدات بين الحكومات أو اتفاقية ذات صياغة واضحة بين الاطراف الراغبة فى العمل المشترك فى الميدان الدولى ؟ تعبر هذه الامور ، بكل تأكيد ، عن التحالف بين قوى الاشتراكيه والتحرر الوطنى ، الذى يتطلب مراعاة الالتزامات المتبادلة . لكن المعالجه العلمية

للموضوع تتطلب تحليلا ، فى الوقت الذى يعير فيه انتباها لهذه الاشكال من التحالف ، يكون موجها بصورة رئيسية نحو ترشيح جوهره .

ونحن نعتقد ، فى دراسة تحالف البلدان الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى من هـذه الزاوية ، انه من المناسب التأكيد على أن محتواه الرئيسى وقاعدته تكمن فى تفاعل بين العناصر الثلاثة المكونة للعملية الثورية العالمية الواحدة ، يأخذ شكله بصورة موضوعية .

وهذا ما تؤكده ، وقائع كثيرة من التاريخ القريب والبعيد . فلنأخذ الاحداث الاخيرة فى البرتغال . لقد قامت القوى التقدمية هناك بانقلاب ديموقراطى ، كان الطريق اليه قد عبده النضال البطولى للعمال البرتغاليين والجماهير العاملة وجميع خصوم الدكتاتورية الفاشية . ومن الواضح كذلك ان وقوف الجيش البرتغالى الى جانب الشعب لعب دورا حاسما فى القضاء على نظام الحكم الفاشى ، وقد جاء هذا نتيجة للهزائم المريرة التى عاناها هذا النظام فى حروبه ضـد الشعوب الافريقية . فالنضال المشترك فى الجبهتين ضد الدكتاتورية الفاشية الاستعمارية ، أدى الى انهيارها فى البلد الام قبل أن تعترف بهزيمتها النهائية فى المستعمرات . وفى الوقت نفسه ، وبينما نأخذ فى الاعتبار الكامل الدور البارز لنضال التحرر الوطنى فى المستعمرات البرتغالية ، ينبغى أن نلاحظ أيضا ما ساهمت به المساعدة المتنوعة السياسية والاقتصادية والعسكرية التى قدمتها بلدان الاسرة الاشتراكية فى ذلك النضال .

هذا ، هو المثال الحى الاخير للتفاعل بين قوى ثورية متباعدة جغرافيا ومختلفة فى تركيبها الطبقى ، ولكنها توحدها موضوعيا الاهداف والمصالح المشتركة فى الكفاح التحررى ضد الامبريالية والرجعية والاضطهاد الاستعمارى . وهو يؤكد من جديد قانونا عاما واضحا بجلاء فى الاحداث الهامة التى تلقى ضوءا على التاريخ الحديث وتمثل مراحل فى توطيد الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى .

سددت الثورة الاشتراكية فى روسيا فى أكتوبر ١٩١٧ ضربة للنظام الاستعمارى وساعدت على تحويل الجماهير فى البلدان المستعمرة الى عامل نشط فى التاريخ العالمى ، الى قوة مقوضة لاعمدة الامبريالية . وهذا ، بدوره ، ساعد على توطيد انتصار الثورة والبناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى .

فالهزيمة الساحقة للفاشية الالمانية والعسكرية اليابانية فى الحرب العالمية الثانية ، تلك الهزيمة التى ساهمت الاشتراكية ، ممثلة فى الاتحاد السوفييتى ، مساهمة حاسمة فى تحقيقها ، اسفرت عن ابتعاد عدد كبير من الاقطار الجديدة عن الفلك الراسمالى وعن اضعاف المواقع الامبريالية

فى العالم بأسره . وهذا ما مهد السبيل لثورات تحرر وطنى ناجحة فى أقطار كثيرة من المحيط الاستعمارى للامبريالية . فقد خلق هذا بدوره عوامل اضافية لمضاعفة الضغط الثورى للاشتراكية على الراسمالية .

ان ظهور وتوطيـــــد النظام الاشتراكى العالمى ، تلك القوة الرئيسية المناهضة للامبريالية ، قد غير جذريا الوضع العالمى وسهل الى حد كبير انهيار الامبراطوريات الاستعمارية تحت وطأة الهجوم الجبـــــار لثورات التحرر الوطنى ، وهـــــذا بدوره ، كان بالغ الاهمية فى تعزيز القوى الاشتراكية فى مواجهتها مع الراسمالية .

ونخرج من ذلك ، بأن دروس التاريخ ، شأنها شأن الاحداث المعاصرة ، تؤكد التفاعل بين الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى ، ومصـــــالحهما المشتركة موضوعيا .

ونحن الماركسيين اللينينيين فى تحليلنا النظرى لهذه القضايا ، ننطلق من المفهوم الذى قدمه وأقام الدليل القاطع عليه لينين ، الخلف العبقـــرى لماركس وانجلز . ان عظمة اكتشـاف لينين العلمى تكمن فى انه أقام الدليل على حتمية النمو الهائل فى نضال التحرر الوطنى ، وعلى ضرورة انصهاره مع الحركة الثورية للبروليتاريا ، وذلك فى بداية القرن ، وقبل الثورة الاشتراكية المظفرة الاولى ، وفى وقت كان فيه الاستعماريون لا يزالـــون يسيطرون بصورة راسخة على ممتلـكاتهم ويمارسون سلطة مطلقة على ثلثى سكان العالم .

وعند تطويره لافكار ماركس وانجلز ، لاحظ لينين الظروف التاريخية التى خلفها تحول الراسمالية الى الامبريالية ، وعالج من زاوية جديدة عددا من المسائل الحاسمة بالنسبة لمســـــتقبل التطور العالمى الثورى والاجتماعى . فما هى هذه المسائل ؟

لقدعرف لينين حركة التحرر لشعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات، بأنها قوة اجتماعية سياسية لن تستطيع البرجوازية العالمية ، فى نهـاية المطاف ، أن تعتبرها احتياطيا لها فى المواجهة الطبقية ضد البروليتاريا .

وأثبت لينين انه على الرغم من تباين التركيب الاجتماعى لحركة التحرر الوطنى ، ووجود بعض التناقضات الداخلية فيها ، الا انها تمتلك طاقة ثورية هائلة ، كما انها قوة نشطة ومستقلة فى النضال الثورى على النطاق العالمى . ولذلك ، فان موقف البروليتـــاريا والقوى الاشتراكية ازاءها لايمكن أن يكون سوى موقف التعاون والتحالف .

وأوضح لينين أن نضال الشعوب ضد الامبريالية ليس فى جوهره نضالا وطنيا فحسب ، وليس فى وجهته ديموقراطيا عاما فحسب ، ولـكنه فى

المستقبل القريب سوف « يتحول ضـــد الراسمالية والامبرياليـة » المؤلفات الـكاملة ، المجلد ٣٢ ، ص ٤٨٢ .

واعطى لينين توضيحا علميـا لامكانية انتقال الشعوب المتحـررة من الاستعمار مباشرة الى الاشتراكية ، مع تخطى المرحلة الرأسمالية ، فى الظروف التاريخية الجديدة .

واكد لينين انه فى المسألة القومية الاســتعمارية لايجب أن يقتصر الماركسى على مجرد الاعتراف بحق الامم فى تقرير مصــيرها . اذ من الضرورى كذلك أن يســاند العناصر الثورية فى حركة التحرر الوطنى بالاعمال ، ومعنويا وماديا ، وبأكثر الطرق حسما . انظر المؤلفات الكاملة، المجلد ٢٢ ، ص ١٥١ ــ ١٥٢ .

ونحن مقتنعون اقتناعا عميقا ان هــذه المعالجـة لا تزال هى المعالجـة العلمية الوحيدة للمسألة القومية الاستعمارية ، ولطبيعة الثورة الاشتراكية العالمية ذاتها ، التى كان لينين أول من أدرج حركة التحرر الوطنى ضمن قواها المحركة .

فتح تفكير لينين أفقا واضحا أمام الشعوب المناضلة من أجل التحرر الوطنى والاجتماعى ووفر قاعدة ايديولوجية ونظرية وسياسية يعتمـد عليها فى توطيد التحالف ، أولا ، بين بروليتاريا الاقطار الاستعمارية وقوى التحرر الوطنى المناهضة للامبريالية ، وفيما بعد بين الطبقـة العـاملة الحاكمة فى الدول الاشتراكية وشعوب الاقطار النامية ، وفى المحل الاول، الجماهير العاملة .

ومفهوم هذا التحالف جزء من استراتيجية لينين عن التحالفات الطبقية الواسعة بين البروليتاريا ، السائرة فى طليعة الثورة العالمية ، وجميـع القوى المعادية للامبريالية ــ وهى استراتيجية ليست محصورة فى أطر دول وطنية ، ولـكنها تنطبق على العملية الثورية العالمية بأسرها .

ولقد اكد الاجتماع العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ ، مسترشدا بأفكار لينين العميقة على : « انه لذو أهمية عظيمة بالنسبة لافاق النضال المعادى للامبريالية ان يتعزز التحالف بين النظام الاشتراكى، وقوى حركة الطبقة العاملة والتحرر الوطنى » (١)

وكثير من زعماء حركة التحرر الوطنى البــارزين ، هم الآخرون ،

---

(١) الاجتماع العالمى للاحزاب الشـيوعية والعمالية : موسكو ١٩٦٩ . دار النشر السلم والاشتراكية ، براغ . ١٩٦٩ ، ص ٣٠

دعاة مقتنعون للتحالف مع الاشتراكية . وتختلف منطلقاتهم النظرية فى كثير من الاحيان عن منطلقات الماركسيين اللينينيين ، بيد ان آراءهم موضوعيا قريبة من آرائنا فيما يتعلق بالتحالف ، لانهم يسعون للتعمق فى جوهر الحقبة التاريخية الراهنة ، والتقييم الدقيق لميزان القوى على المسرح العالمى ، وكذلك دور النظام الاشتراكى فى النضـــال المعادى للامبريالية ، ويبحثون عن أفضل سبل وأساليب النضال فى سبيل المصالح الوطنية لبلدانهم على أساس هذا التحليل للعوامل الشاملة . وقد أعطى هذا الموقف ثماره فى النضال من أجل التحرر الوطنى .

وفى الوقت نفسه « وهذا ما لانستطيع اغفاله » ، تظهر بعض الدوائر السياسية ذات النفوذ فى البلدان النامية ميلا ، بين الحين والآخر ، نحو التفكير والعمل بصورة مختلفة ـ اى تتخذ قرارات تقف وراءها دوافع عرضية ، بدلا من انطلاقها من تحليل جدى للعمليات الموضوعية . وهذا ، بكل تأكيد ، مصدر خطر على التحالف العالمى للقوى الثورية ، ومع ذلك ، فان الخطر الاكبر على الحركات الوطنية التى تتأثر بمثل هذه التيارات الايديولوجية والسياسية الخادعة . لانها لابد وأن تخسر مواقع لصالح رأس المال العالمى ، لصالح الامبريالية . فأى التطورات الجديدة ينبـــغى اخضاعها للتحليل النظرى من أجل فهم علمى أفضل للتحالف الذى ندرسه؟

اننا نعتبر ان اكثرها أهمية هى التغيرات الجديدة فى ميزان القوى العالمى ، واعادة التشكيل الاولية لنظام العلاقات الدولية بكامله ، واكتساب ثورات التحرر الوطنى محتوى اجتماعيا متزايدا ، وبعض التغيرات التى أجرتها الامبريالية والاستعمار الجديد فى استراتيجيتها تمشيا مع الظروف الجديدة .

ان التحالف بين البلدان الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى لايقوم فى فراغ ، بل فى بيئة عالمية محددة . وهو يؤثر على هذه البيئة ويتأثر بها .

لقد سجلت بلدان الاسرة الاشتراكية مكاسب اقتصادية هائلة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية . واتسع التعاون الاقتصـــــادى بين اعضائها ، كما ازدادت وحدتها السيـــاسية متـــانة ، وتدعمت القــدرة الدفاعية للاشتراكية . وعزز ذلك كله من المكانة الدولية لبلدان الاسرة الاشتراكية وقوى لدرجة كبيرة من هيبتها ونفوذها الدوليين .

ويمكن أن يقال ان الامبريالية ، هى الاخرى ، كانت تعزز فى هذه الفترة قدرتها ، اقتصاديا وعسكريا على حد سواء . وهذا صحيح ، الا ان ميزان القوى العالمى قد تغير لصالح الاشتراكية وجميع القوى الثورية . ولم يعد بمقدور الامبريالية تنفيذ مخططاتها العدوانية دون عقاب ، ولا الاعتماد على نجاح مغامراتها العسكرية . ان انتصار الشعب الفيتنامى البطل ، والضربات القوية التى كالتها الشعوب العربية الى العسكريين

الاسرائيليين ومخططات الامبريالية فى الشرق الاوسـط ، وغير ذلك من الامثلة العديدة ، هى شاهد دافع على ذلك .

وفى ظروف هذا التغير فى ميزان القوى العالمية ، شن الاتحاد السوفييتى والاعضاء الآخرون فى الاسرة الاشتراكية حملة دبلوماسية منقطعة النظير ، توصف اليوم على نطاق واسع بأنها الهجوم السلمى للاشتراكية .

ان مصطلح « الانفراج » بعيد عن أن يعبر تعبيرا تاما عن التغير الذى يحدث فى السياسة العالمية نتيجة لهذا الهجوم . وربما كان أكثر ملاءمة أن نؤكد إننا فى بداية اعادة صياغة أساسية لنظام العلاقات الدوليـة بكامله . وبالتأكيد فهناك ما يرتبط بذلك أكثر من مجرد التخفيف فى المواجهة العسكرية والسياسية فى أوروبا أو فى العلاقات السوفييتيـة الامريكية ، فبلدان الاسرة الاشتراكية تطرح المسألة بفهم أرحب كثيرا وتنظر بعيدا الى الامام • وتتركز جهودها على أن يعقب الانفراج السياسى انفراج عسكرى ، أى ، اجراءات حقيقية لوضع حد لسباق التسلح ، وضمان الا تقتصر الحملة من أجل نظام أمن جماعى يعتمد عليه على نطاق أوروبا ، وانما تمتد الى آسيا ، ومن ثم الى بقيـــة العالم ، وتدعيم العمليات الصحية الجارية فى السياسة العالمية بتعاون اقتصادى دولى متزايد ، وبالتالى ، استبعاد كل عنصر لعدم المساواة ، وفرض الاسعار أو التمييز فى التعريفة والقروض ، من العلاقات الاقتصادية بين الدول . وقد قال ليونيد بريجنيف وهو يتحدث فى المؤتمر العالمى لقوى السلام : « لايمكن أن تكون هناك معالجة جوهرية لحل قضايا المستقبل الشاملة ، ولا انجاز ناجح للمهام العديدة الراهنة الملحة ، خارج نظام للعلاقات الدولية يقوم على التعايش السلمى » .

وغنى عن القول ، انه كلما ساندت حركة التحرر الوطنى والبلدان النامية بنشاط أكبر سياسة وضع العلاقات الدولية على أساس أسلم ، كلما حققت هذه السياسة تقدما مثمرا بسرعة أكبر .

وحول هذا الموضوع ، على وجه التحديد ، تبرز قضايا جديدة خطيرة . واحدى هذه القضايا يتمثل فيما يلى : يود الامبرياليون ، أن يفسروا التعايش السلمى على انه تطور يسد الطريق على نشاط الشعوب التحريرى الثورى . والعكس هو الصحيح ، فالسياسة الخارجية للاشتراكية وهى سياسة طبقية ومحبة للسلام فى نفس الوقت ترى أن مهمتها ، ليس فى تحويل تطور التناقضـــات الدولية عن مجرى مواجهة عسكرية خطرة فحسب ، وانما فى لجم قوى العدوان الامبريالى كذلك وتوفير الظروف الملائمة لكفاح الجماهير العاملة الطبقى وثورات التحرر الوطنى . فالنضال من اجل السلام الديموقراطى العادى والنضال فى سبيل المثل الثورية لايستبعد احدهما الآخر ، بل هما ، على العكس ، جانبان لهجوم عالمى واحد ضد الامبريالية ، يكمل احدهما الآخر .

أن بلدان الاسرة الاشتراكية عازمة ، فى جو الانفراج السائد اليوم ، كما كانت فى الماضى ، على مساندة نضال الدول الافرو ـ اسيوية ضد الامبريالية والرجعية ، ذلك النضال الذى يمكن أن يتخذ أكثر الاشكال حدة ، بما فى ذلك العمل المسلح ، كما نعرف جميعا . ومثال على هذه المساندة اليوم ، المساندة التى يقدمها الاتحاد السوفييتى للشعوب التى تعرضت لهجوم عدوانى شنته اسرائيل وشركاؤها الامبرياليون . ومن جهة أخرى ، فان البلدان الافرو ـ اسيوية تقوم ، مع تعزيز مواقعها الدولية بدور أكبر ذى مسئولية أوسع فى النضال من أجل توطيد الانفراج السياسى فى العالم وتعميقه . والنضال ضد الامبريالية ينبغى أن يستمر، ولكن بطريقة لا تحبط بل تعمق الانفراج ، الذى يفيد جميع الشعوب ، ومن جهة أخرى ، تمنع الامبريالية من استغلال الوضع الجديد لاشاعة الاستقرار فى مواقعها المهزوزة .

وثمة ميزة هامة أخرى من ميزات الفترة الواهنة ، هى ازدياد الثورات الوطنية عمقا ودخولها مرحلة تتخذ فيها الكثير من الحركات الاجتماعية فى الاقطار النامية طابعا يزداد وضوحا باستمرار ، دون أن تفقد اتجاهها العام المعادى للامبريالية .

ويحدث ضمن اطار المحتوى الذى يزداد عمقا للثورات الوطنية ، تمايز اجتماعى متنام داخل الاقطار النامية ، وكذلك تفاقم للتناحرات الطبقية الحادة فى الكثير منها . فالنضال التحررى ، وبخاصة فى البلدان ذات الوجهة الاشتراكية ، يتحول ، بصورة تزداد وضوحا ، ضد العلاقات القائمة على الاستغلال الاقطاعى والراسمالى على حد سواء . ويحدث ذلك ، بالطبع ، لا حيث يعلن عن التطور غير الراسمالى ، بل حيث يتبع هذا الطريق فعلا .

وأحد التيارات النابعة من هذه العملية العالمية حقا ، والتى تؤثر ، بصورة مباشرة فى مصير التحالف العالمى بين قوى الاشتراكية والتحرر الوطنى ، هو ان وحدة الاهداف فى النضال المعادى للامبريالية التى تقوى هذا التحالف ، تكملها مصالح اجتماعية طبقية تزداد وثوقا . وفى الواقع فان فى البلدان التى يجرى فيها تنفيذ اصلاحات عميقة معادية للراسمالية تحت قيادة انظمة حكم ديموقراطية ثورية ، وحيث يتجه التطور الاجتماعى بكامله وجهة اشتراكية ، وحيث « وهذا هام بصورة خاصة » توجد جبهات وطنية ـ قومية ، تتشكل قاعدة اجتماعية وسياسية تنمو باستمرار ، تتوسع على أساسها العلاقات مع الاشتراكية . وهذا يجد تعبيرا له فى التعاون الاقتصادى المتنامى مع بلدان الاسرة الاشتراكية ، وفى العلاقات الاوثق بين الدول وفى تطوير الاتصالات بين الاحزاب .

وعلى أية حال ، يجب الا نسقط من الحساب تيارا آخر ، هو ان البرجوازية فى الكثير من البلدان النامية توطد سيطرتها الاقتصادية

والسياسية . فهل يعنى هذا ان تحالفها مع الاشتراكية وضد السياسة الامبريالية لابد وأن يتفكك ثم يزول ؟

فى تناولنا لهذه القضية يجب أن نضع نصب أعيننا ان اختيار طريق التطور الاجتماعى اللاحق يبقى مسألة مفتوحة ، بالنسبة للعديد من البلدان التى كانت ذات يوم مستعمرات وشبه مستعمرات . ويجرى حولها صراع سياسى طبقى ، وهذا الصراع هو محور الحياة العامة فى البلدان النامية. وعلى اية حال ، فانه يحدث فى وقت تواجه فيه هذه الاقطار، أيضا ، مهام توطيد استقلالها الوطنى السياسى وتحقيق الاستقلال الاقتصادى. ان الطبقات المختلفة والقوى السياسية التى تمثلها تصرعلىسبل ووسائل غير متماثلة فى انجاز هذه المهام . بيد انها ترى هدفها الاساسى فى تحطيم الاغلال الموروثة عن حالة التبعية . وبكلمات أخرى ، فحتى الطبقات المتناحرة لها مصلحة مشتركة فى مقاومة الامبريالية . وهذا ما يفسر لماذا لا يزال حتى بين صفوف برجوازية البلدان النامية من يهتم بالتحالف مع أعظم قوة مناهضة للامبريالية اليوم ، مع الاشتراكية .

والوقائع تشير الى ان عددا متزايدا من البلدان النامية التى تحكمها البرجوازية تدخل فى علاقات متعددة الجوانب مع الاتحاد السوفييتى والاعضاء الآخرين فى الاسرة الاشتراكية . فهل يعنى هذا ان البرجوازية المحلية قد فقدت غريزتها الطبقية ؟ لا ، ان ذلك نتيجة لحساب رزين ، لان هذه العلاقات تساعد البرجوازية على الدفاع عن استقلالها الاقتصادى يضاف الى ذلك ، ان قسما كبيرا من البرجوازية الوطنية يعلق آماله فى اقامة شكل من اشكال التطور الراسمالى المستقل عن الامبريالية العالمية على تحالف مع الاشتراكية . ويمكن أن يطرح سؤال : هل يساعد تحالف الاشتراكية مع مثل هذه البلدان النامية على اعادة خلق علاقات رأسمالية وتوسيع مجال عمل ونفوذ الرأسمالية كنظام اجتماعى ؟ من الواضح ، انه لايمكن الاجابة عن السؤال بصورة صحيحة دون أن نأخذ فى الاعتبار خصائص وآفاق النضال بين الاشتراكية والامبريالية ، وهو نضال يقرر المجرى العام للتطور العالمى ، أو دون أن نضع نصب أعيننا الطاقات المعادية للامبريالية لدى دوائر برجوازية معينة فى البلدان الافرو ــ اسيوية

واذا ما أخذنا فى الاعتبار السلسلة الكاملة من القضايا المعقدة والمتناقضة التى تواجهها اليوم البلدان النامية ، سواء داخل البلاد أو خارجها ، فيمكننا أن نقول ان الكفاح من أجل اختيار حر لطريق التطور الاجتماعى قضية محورية فى علاقاتها مع الامبريالية . وهذا الاستنتاج ينبع من الحقيقة الماثلة فى أن الثورات الوطنية تكتسب محتوى اجتماعيا يزداد عمقا باستمرار ، ومن الاسلوب الذى كانت الامبريالية تعيد بموجبه النظر ، فى الآونة الاخيرة ، فى استراتيجيتها تجاه البلدان النامية .

لقد انقضت الى غير رجعة تلك الايام التى كانت تستطيع فيها الامبريالية

كما تريد تشكيل الهيكل الاقتصادي للبلدان المتخلفة ، واعاقة نموها الاقتصادى اعاقة تامة .

والامبرياليون اليوم مضطرون ، بسبب الميزان الجديد للقوى الدولية ، الى التكيف مع الرغبة التى لا تقاوم للشعوب التى أحرزت حريتها ، فى تطوير اقتصادياتها الوطنية . يضاف الى ذلك ، أن مصالح الاحتكارات العالمية ذاتها تتطلب ، فى ضوء المقاييس التكنولوجية الراهنة للانتاج ، درجة من تحديث الميكانيزم الاقتصادى للبلدان التى ترغب هذه الاحتكارات فى الاحتفاظ بها كأسواق وميادين لاستثمار راس المال .

ومن الواضح تماما أن الاستثمارات الاجنبية الحكومية والخاصة هناك تتطلب ظروفا محددة . وهذه عوامل تحث الامبريالية على منح القروض للبلدان النامية وتقديم المساعدة التكنولوجية لها .

ولكن الامبرياليين يريدون ضمانات بان هذه الاقطار النامية سوف تبقى فى فلك الاستغلال الرأسمالى العالمى . فالمبدأ الاساسى للسياسة الامبريالية ازاء البلدان النامية هو مساندة الرأسمالية حيثما ضربت هذه بجذورها ، ودعمها حيث لا تزال ضعيفة .

وباختصار ، فان استراتيجية الاستعمار الجديد ترمى الى سلب الشعوب التى كانت مستعمرة حريتها فى اختيار طريقها فى التطور الاجتماعى . هذه هى النقطة الحاسمة فى المسالة لان حرية البلدان النامية التى تناضل من اجلها الان بعد تحقيقها الاستقلال السياسى ، هى حرية الاختيار الاجتماعى .

ولا يمكن أن توجد ، كما يرى الماركسيون ـ اللينينيون ، حرية اجتماعية حقة بدون تحرير العمل من نير رأس المال . وينبع من هنا اعتقادهم بأن الاشتراكية هى التى تنسجم مع المصالح الاساسية للجماهير فى البلدان النامية . وعلى أية حال ، فان بلدان الاسرة الاشتراكية تعتقد بأن طريق التطور الاجتماعى هو قضية داخلية . ولكى يكون الاختيار حرا حقا فمن المهم للغاية منع أية امكانية لتدخل الرجعية الخارجية والامبريالية ، أو تقليص ذلك الى الحد الادنى . ومن هنا تنشأ الحاجة للتعزيز الشامل للاستقلال الوطنى للبلدان النامية ، بما فى ذلك استقلالها الاقتصادى .

ومن الامور التى تسهل ذلك تطور التعاون الاقتصادى والتكنيكى بين البلدان الاشتراكية والنامية . وهكذا ، لا يمكن أن يكون ثمة شك فى أن المشروعات والمؤسسات التى أقيمت أو تقام فى هذه البلدان بمساعدة مالية وتكنيكية من الاتحاد السوفييتى وبلدان الاسرة الاشتراكية الاخرى ، تساهم مساهمة فعالة فى تكوين اقتصاد مستقل متنوع . ان القسم الاعظم من قروضها ومساعداتها التكنيكية يتجه نحو الصناعات التى تنتج وسائل الانتاج ، وهى العمود الفقرى للاستقلال .

والعالم الاشتراكي في تعزيزه هذا النوع من التعاون ، يعتقد أن أي مساعدة يقدمها التياران الثوريان أحدهما للآخر هي مساعدة متبادلة تقوي المواقع المشتركة ، وهي بذلك، تغير ميزان القوى في المواجهة التاريخية مع الامبريالية نحو الافضل .

ان الدعاية البرجوازية ، في محاولتها للتقليل من أهمية هذا التعاون تزعم أن تلك المساعدة من حيث الحجم المادي تقل كثيرا عن العلاقات الاقتصادية للاقطار الرأسمالية عالية التطور مع آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . واذا ما تحدثنا بلغة الاحصاءات فان الامر كذلك بكل تأكيد . ولكن في العمليات المعقدة للحياة الاقتصادية الدولية تعتبر النوعية أكثر اهمية من الكمية ، ولا يمكن تحليلها على افضل وجه بأساليب مسك الدفاتر التي تتعامل مع الارقام ، بل بأساليب الاقتصاد السياسي . واذا ما تناولنا القضية من مواقع علمية ، فلا بد اننا نرى خلف كل مؤشر احصائي واقع المصالح الطبقية ، والتناقضات الاجتماعية والاقتصادية على النطاق الوطني والعالمي .

وهذا الواقع هو أن تحالف قوى الاشتراكية والتحرر الوطني ، في شكله الاقتصادي وكذلك أشكاله الاخرى ، يتطور على أساس من المساواة والمساعدة المتبادلة والمنفعة المشتركة . وهذا التحالف لا تفسده تركة من تركات الماضي مثل النهب الوقح للمستعمرات ، وصمة العار في تاريخ علاقات الامبريالية مع شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . ولا يجمعه جامع مع ميكانيزم الاستغلال الذي يجعل احتكارات وبنوك الامبريالية حتى يومنا هذا ، قادرة على استخلاص أرباح وفوائد هائلة من البلدان النامية ، مقابل القروض التي تقدمها تلك البلدان . ولكن الشيء الرئيسي هو أن الامبريالية في المدى البعيد ، تسعى لمنع شعوب البلدان النامية من الافلات من هذا النظام من الاستغلال الدولي ، بينما ترمي السياسة الاشتراكية بكاملها الى ضمان الظروف التي تستطيع في ظلها تحقيق حريتها من جميع أشكال الاضطهاد .

وهناك مجموعة أخرى من القضايا تتعلق بالعقبات والصعوبات التي يتوقف على حلها تقوية وتطوير التحالف بين قوى الاشتراكية والتحرر الوطني . وهنا أعتقد أنه سيكون من المفيد الا نركز كثيرا جدا على العقبات التي تحاول الامبريالية بطبيعة الحال أن تقيمها في طريق هذا التحالف . اذ لا بد من الكشف عنها وازالتها بحزم ، وهذا أمر بديهي جدا . ولكن ثمة صعوبات أخرى : المشكلات أو الخلافات أو ربما سوء الفهم ، التي تنشأ في اطار التيارين الثوريين . والتي لا يمكن حلها ، لذلك ، الا بجهودنا . وهذه المشكلات ذات طابع ذاتي في الاساس .

ان السؤال الاول الذي يبرز في هذا الصدد ، هو الحاجة الى معالجة طبقية للتحالف . ولتحقيق ذلك من الضروري ، أولا وقبل كل شيء تحديد تلك الاهداف المشتركة الاساسية في النضال العالمي التي توحد موضوعيا

قوى الاشتراكية وحركة التحرر الوطني دون المبالغة في أهميـــة بعض الفروق . فالانانية وضيق الافق القومي ، الذي ينكر اي وحدة في الهدف ويقلل من اهمية التحالف بين بلدان الاشتراكية والتحرر الوطني ، يتعارض في الواقع كذلك مع الايديولوجية الوطنية الحقة للدوائر الراديكالية المعادية للامبريالية في البلدان النامية ، وينجـــذب بطبيعته نحو البراجماتيـــة البرجوازية . انه يعترف بتكتيك المناورات السياسية فحسب ، متجـاهلا الاهداف الاستراتيجيه للثورات التحريرية ، معتبراً النتيجة المباشرة لتلك المناورات هي وحدها الشيء الذي يستحق الاهتمام . وهو يتغافل ، كليا ، عما اذا كانت الوسائل المستخدمة في تحقيق نتيجة معينــة تنسجم مع المصالح الوطنية بعيدة المدى أو في نهاية المطاف مع مبادىء معـــاداة الامبريالية .

ان هذا النوع من القومية هو الذي يغذي أفكارا متنوعة تهدف الى عزل البلدان النامية عن الاسرة الاشتراكية . وهذا ما يفسر لماذا يتطلب توطيد القاعدة السياسية لتحالف التيارين الثوريين ، نقد النظريات المعادية . فلنأخذ ، على سبيل المثال ، ما يسمى بنظرية « العوالم الثلاثة » التى ترفعها بعض الدوائر السياسية الى مصاف استراتيجية شاملة . ويمكن الحكم على قيمتها العلمية من أنها تعتبر « العالم الثاني » الذي يشـــتمل على الدول الاستعمارية السابقة ، أي الامبرياليين ، حليفا لـ « العـــالم الثالث » الذي يتألف من شعوب المستعمرات السابقة . وهي تذهب الى حد التصريح بأن عدو البلدان النامية هو « العالم الاول » الذي يحشر فيه الاتحاد السوفييتي ، الصديق الوفي لقوى التحرر الوطني ، جنبا الى جنب مع امبريالية الولايات المتحدة . وتضع ، في الواقع في مرتبة واحدة البلدان التي هي في جوهرها الطبقي على طرفي نقيض . وبالمناسبة ، فان الموقف من انقلاب شيلي يكشف عن أولئك الذين يقفون الى جانب الامبرياليـــة الامريكية ، وليس الاتحاد السوفييتي من بينهم بكل تأكيد .

ان واضعي مفهوم ((العوالم الثلاثة)) بالاضافة الى ذلك ، ينظرون الى ((العالم الثالث)) من ناحية شكلية بحتة وليس من ناحية طبقية . انهم يتجاهلون التنوع الاجتماعي لهـــذه المنطقة ، التي تضم بلدانا ترفض الرأسمالية كنظام اجتماعي ، ودولا برجوازية تنتهج سياسة معـــادية للامبريالية ، ودولا منهمكة في توسع في الاقطار المجاورة ، وحتى انظمة حكم فاشية صريحة .

وهناك ((نظريات)) أخرى تهمل الجانب الطبقي مثل : نظرية ((الدولتين العظميين)) ونظرية ((المدينة العالمية والريف العالمي)) ونظرية ((الامم الغنية والامم الفقيرة » ونظرية ((تساوي البعد)) ونظرية « المنـــاورة » الخ . وبصورة عامة كيف يستطيع المرء التوفيق بين الدعوة للنضال من أجـــل الاشتراكية والصداقة مع بلدان الاسرة الاشتراكية وبين الدعاية المبـــاشرة

او غير المباشرة ضد الشيوعية والسوفييتية ؟ الا ان مثل هذه الوقائع قائمة .

وثمة مسالة هامة اخرى تتعلق بالمعايير العلمية لكفاءة الروابط الاقتصادية المتبادلة بين البلدان الاشتراكية والنامية . وبينما يعترف المرء بقيمة مثل هذه الروابط ودورها فى تقوية الطاقات الاقتصادية للدول الفتية ، يجب الا يغفل عن الشيء الرئيسي وهو تحقيق التطور المستقل لكل بلد على اساس موارده الطبيعية . والمسالة هنا ليست « الاعتماد على النفس » بالمعنى المبتذل الذى يستخدم فيه هذا المصطلح فى بعض الاحيان لتقويض التحالف بين التيارين الثوريين . فالاكتفاء الذاتي والعزلة الاقتصادية فى عصر الثورة العلمية والتكنولوجية ليس اكثر من خيال . ولكن من المهم ان نتفادى التطرف الآخر الذى يرى فى المساعدة الخارجية المخرج الرئيسي من كل صعوبة . فالمساعدة لا تكون فعالة الا اذا اقترنت بالجهود الاقتصادية للبلدان المستقلة حديثا ذاتها .

وفى الآونة الاخيرة طرحت اسئلة كثيرة فيما يتعلق بقضية الروابط الاقتصادية بين بلدان الاسرة الاشتراكية والبلدان الرأسمالية المتطورة . وغالبا ما يسأل : ألن تتناقض هذه الروابط مع مهام النضال الثورى ضد الامبريالية ، ألن تلحق الضرر بالعلاقات بين البلدان الاشتراكية والنامية ؟ وكما ذكرنا سابقا ، فان أفضل الظروف للعمليات الثورية فى العالم يخلقها الانفراج الدولى الذى حققته الشعوب ، والروابط الاقتصادية عنصر هام فى الانفراج . والتجارة العالمية هى أداة للسياسة الاشتراكية ويصبح الانفراج الحق بدونها مستحيلا . وينبغى ان نتقن استعمال هذه الاداة لكى تخدمنا ، لا لتخدم أعداءنا .

ومن المهم بنفس الدرجة تدعيم صفوف الحركة التحررية نفسها . فعلى الرغم من جميع الصعوبات التى تواجهها ، والتنوع فى الفصائل المكونة لها ، ينبغى على المرء الا ينسى ان المهام الديمقراطية العامة لثورات التحرر ــ مثل الاستقلال الاقتصادى وتعزيز السيادة الوطنية ــ تبقى اليوم صحيحة كما كانت دائمة ، يبقى ماهو أكثر اهمية العدو المشترك : الامبريالية .

ان تلاحم الفصائل المختلفة لنضال التحرر الوطنى ، داخل كل بلد وعلى نطاق الحركة بأسرها ، يزيد الطاقات الثورية لتحالف البلدان الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى ويقوى الجبهة الموحدة المعادية للامبريالية .

وقال زارودوف فى الختام ، ان تحالفا راسخا بين النظام الاشتراكى والطبقة العاملة العالمية وثورات التحرر الوطنى هو وحده الذى سيوفر امكانية الانجاز التام لقضيتنا ذات الاهمية التاريخية ــ العالمية وهى الحاق الهزيمة النهائية بالامبريالية وتحقيق التحرر الاجتماعى للبشرية بأسرها .

●

● اشترك في هذا العدد :



● ايريك هونيكر

السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد

● خايمة شميرجيلد

عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الارجنتيني

● اورلاندو ميلاس

عضو اللجنة السياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الشيلي

● كاترينا منديس

ممثلة الحزب الشيوعي البرتغالي في مجلة قضايا السلم والاشتراكية

● جون بيتمان

عضو اللجنة السياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة

● لويس بايو

عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي

SOCIALIST STUDIES

NOVEMBER 1974

MAIN SUBJECTS

Editorial : The alliance of the forces of the working people is the way.

- On the road of the socialist revolution.
- Culture intellectuals and the working class.
- Detente and USA after Nixon
- 1975 - Women international year.
- Economic chaos in Chile
- Alliance of world socialism and the national liberation movement.
- Lenin and the trade unions.
- Housing problems in Egypt.
- Portugal and the African national liberation movement.

● ف . كودريافتسيف

المعلق السياسي للازفستيا

● هايمان لومر

رئيس تحرير مجلة الشئون السياسية الامريكية

● ● ●

دراسات اشتراكية

مجلة شهرية
تصدر عن دار الهلال
بالتعاون مع مجلة
السلم والاشتراكية

رئيس مجلس الإدارة :
فكرى أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة :
صالح جودت

رئيس التحرير :
إبراهيم عبد الحليم

***

الاشتراكات :

ثمن العدد : جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم — عن الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا . فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا .

قيمة الاشتراك السنوى : ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربيه وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ فى سائر انحاء العالم ونصف دولار أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او شيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى — وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب : القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

من أجل الأمن الأوروبي والسلام لشعوب العالم

١٠ قروش